

الحج والعمرة

أسرار وأحكام

مأخوذ من فيض علم العلامة

فضيلة الدكتور

على جمعة

مفتي الديار المصرية

مركز
الدراسات
المنهجية
والمعرفية

الحج والعمرة
أسرار وأحكام

مأخوذة من فيض علم العلامة
فضيلة الدكتور

علي جمعه
مفتي الديار المصريه

مركز الدراسات المنهجية والمعرفية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة مركز الدراسات المنهجية والمعرفيه

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين .

ثم أما بعد ،،،

فإن مركز الدراسات المنهجية والمعرفيه يهدف إلى ترقية الوعي المسلم المعاصر، والمساهمة في بنائه منهجيًّا بحيث يجمع بين الاستقامة على الوحي والكفاءة في التعامل مع الواقع ومشكلاته. والمنهجية التي يسعى المركز لترسيخها هي منهجية وسطية جامعة: روحية عملية، ومثالية واقعية، وأصيلة معاصرة، تستقي من الأصول الإسلامية ثوابتها، وتتابع في فكر الراسخين فى العلم متغيراتها الملائمة لقضايا العصر.

من هنا قررنا – في مركز الدراسات المنهجية والمعرفيه – أن نقدم إلى القارئ الكريم سلسلة من الكتابات المتعلقة بالعلوم الإسلامية وقضايا الفكر والحياة الراهنة تعبر عن هذه المنهجية الوسطية الجامعة. ويسرنا أن نستهل هذه السلسلة بكتاب ماتع في موضوعه ومنهاجه بعنوان "الحج والعمرة: أسرار وأحكام" نراه معبرًا أفضل تعبير عن الخط الذي اختطه المركز في هذا الصدد.

فمن رحمة الله تعالى التي وسعت كل شيء أن كتب علينا عبادته والاستقامة على سبيله، تشريفًا في صورة التكليف، وإنعامًا في هيئة الإلزام، وتربية وترقية وعطاءً، فله الحمد وله الشكر. ومن ذلك أن كتب على الناس قصدَ بيته الحرام لمن استطاع إليه سبيلاً ، فقال جلَّ شأنه ، ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾. (آل عمران: 97)

وقال مخاطبًا إبراهيم، عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم:

﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ. لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ . ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ (الحج: ٢٧-٢٩)

وألحق بالحج العمرةَ وأمر بإتمامهما فقال تعالى ذكره: ﴿ وَأَتِمُّواْ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلّهِ﴾. (البقرة: ١٩٦)

وإزاء هذه المكانة السامية للحج والعمرة، فقد ضمّنهما ربّنا سبحانه أطرافًا من سائر العبادات وحباهما بمعان وأسرار، وعبر وآيات جديرة بالتوقف عندها، والتأمل فيها والتعرض لنفحاتها عسى الله تعالي يكتب لنا الفوز بها علمًا وعملًا. ففي الحج – وأيضًا العمرة– صلاة وإنفاق وصوم وذبح ،وسفر كالهجرة قلبًا وقالبًا، وسعي وطواف وذكر ودعاء وجهاد، وتذكر شريف لموكب العابدين من لدن أبي الأنبياء إلى خاتمهم عليه الصلاة والسلام .. فهو عبادة جامعة، ومنهاج سلوك إلى الله تعالي ، ومنهاج حياة لمن استوعب معانيه ومغازيه .. وهو مقام تجديد عهد وتوبة ، ومئاب إلي الله تعالي ومتاب يغتسل فيه المسلم من كل أدرانه ، وينسلخ فيه عن سيئات أعماله وأدرانه، ليعود منه طاهرًا مطهرًا، كما قال نبيّ الله ﷺ : (مَنْ حَجَّ البَيْتَ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِه كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ) (١)

والحج تشريع لتحقيق التوحيد والعبودية الحقة لله رب العالمين ، وهو تدريب علي الالتزام والاستقامة على الأمر ؛ ومن ثم اشتملت رحلته على شعائر وحرمات ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ﴾،﴿ ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾(الحج ٣٠-٣٢)

---

(1) أخرجه البخاري (ج٢/٥٥٣رقم١٤٤٨) و في (ج٣/١٠٢٦رقم٢٦٣٢) ط ابن كثير اليمامة، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى (ج٩/٢١رقم١٧٥٨٣) ط دار الباز.

وهو تربية على معنى التعظيم والاستعظام لأوامر الله تعالي ونواهيه ، وتربية على الدقة والضبط والجدية والإتقان ، وتربية علي الوحدة والاجتماع والتعاون وعيش حقيقة الأمة الواحدة، والإنسانية المتساوية ، وتربية على تعظيم ما عظم الله تعالى، وحسن الانقياد لرسوله ﷺ ، بلا إذلال ولا إرهاق ولا حرج ، إنه فاعلية بلا تضييق ولا حرج .... وعنوان أحكامه ومَعلمه الأعلى: (افعل ولا حرج) (١)

والمسلمون – ولله الحمد والمنّة – لا يزالون علي الحج والاعتمار مقبلين حريصين ، يُبدون أمام الله تعالي و أمام سائر الخلق أشواقهم الحارّة إلى زيارة البيت العتيق والقبر الشريف وما بينهما من معالم الإيمان والتوحيد – فهم بذلك أمة إجابة ، وهم دعاة لسائر الأمم للاستجابة لله ورسوله ، وهم في حجّهم نموذج لبقاء الأمة الواحدة الجامعة التي تؤمن برب واحد وتصدر عن كتاب واحد ونبيٍ واحد هو خاتمة عقد أنبياء الله المصطفين ..

وفي كل عام يُظهر المسلمون الراغبون في الحج أو العمرة أو المقبلون عليهما حرصًا كبيرًا على القراءة والاطلاع والتعرّف علي متعلقات الحج والعمرة من الأحكام والشعائر ، ومن القضايا والمسائل ، ومن الحكم والمعاني والأسرار الروحية ، ومن المعالم وخطوط السير ومواقع الوقوف وأداء المناسك ، إلى آخر ما هناك من مسائل ومعلومات تهم الحاج والمعتمر .. وبيانًا لهذه الأمور تصدر العديد من أدوات التعليم والإعلام للتعريف بأجزاء من ذلك بأشكال وطرائق متنوعة كلها بلا شك عظيمة النفع لمن اطّلع عليها .

(1) أخرجه البخاري (ج١/٥٨رقم١٢٤)ط ابن كثير اليمامة. وأخرجه مسلم (ج٢/٩٤٩رقم ١٣٠٦)ط إحياء التراث العربي.

منهج الكتاب

من هنا، أردنا لهذا الكتاب أن يكون جامعًا لسائر أمور هذه العبادة العظمى (المعاني والأسرار، الأحكام: إجمالًا وتفصيلًا، الأسئلة والفتاوى، المعالم والنواحي) هذا من جهة ، ومن جهة أخرى يكون كتابًا أصيلًا في مادته ، يصدر عن عَلَمٍ من أعلام الشرع الشريف، ويتميز بالدقة والعمق ، والتيسير والسعة ، والوضوح والبيان ، فكان هذا الكتاب .

لفضيلة مفتي الديار المصرية الأستاذ الدكتور / **علي جمعة محمد.**

وفضيلة المفتي غنيٌّ عن التعريف به ، إلا أنه يتميز بكونه مدرسة علمية وفكرية معبرة عن أصالة أهل العلم ، وبقية الخير في هذه الأمة ، الصادرين عن الكتاب والسنة ، والحافظين للكنز التراثي العظيم، والعاملين لتحقيق مراد الله تعالى من خلقه وفي خلقه .. أجزل الله لهم الأجر والثواب في الدنيا والآخرة .

هذا، وقد قام مركز الدراسات المنهجية بتجميع هذه المادة الثرية من كتابات الشيخ الكريم -وتحت إشراف فضيلته- بالإضافة إلى مادة صوتية تم تحريرها في الصورة الكتابية، وتم الترتيب والجمع بحيث خرج الكتاب بصورته هذه التي نرجو أن تحوز إعجاب القراء وأن تحقق المرجوَّ منها ..

ويشمل هذا الكتاب – بعد هذه المقدمة – على أربعة أجزاء متتابعة :

(١) **أسرار الحج والعمرة**: وفيها يغوص الشيخ في بواطن أعمال الحج والعمرة ليستخرج الدرر المضيئة والجواهر الوضيئة التي هي لب اللباب وغاية الأمر، يستشعر فيها الحاج بتخلية روحه وضميره عما سوى الله تعالى وتحليتهما بالتوحيد والإيمان والقرب والأنس، حتى تتجلى عليها أنوار رحمته ورضوانه جلّ وعلا .

(٢) **أحكام الحج والعمرة:** وتشتمل علي مختصر الرحلة لكل من الحج والعمرة لمن أحب الاكتفاء بإدراك المختصر والمجمل دون التفاصيل ، ثم يأتي تفصيل الأحكام لمن طلب علمهما على التفصيل .

(٣) **أسئلة وفتاوى:** تتعلق بمعظم أمور الحج والعمرة .

(٤) أدعية مأثورة يدعى بها في مناسك الحج والعمرة .

(٥) ملخص معلومات لمعالم مهمة: من المسجد الحرام و الشعائر المقدسه وغيرهما ..

(٦) لمحة عن تاريخ المدينة المنورة ومعالمها وتطوراتها ومزاراتها .

وفي هذا الصدد يتقدم المركز بجزيل الشكر والتقدير للباحثين والباحثات الذين أسهموا في إخراج هذا العمل ، سائلين الله تعالي أن يجزل لهم الأجر والمثوبة . ونسأل الله العلي القدير أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم ، وأن يغفر لنا أخطاءنا فيه وأن يجزي الشيخ عنا وعن أمته خير الجزاء .. إنه سبحانه هو البر الرحيم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

مركز
الدراسات المنهجية والمعرفيه

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد فلقد بنى الله ﷻ الإسلامَ دينَه الحنيفَ الذي يخاطبُ به العالمين إلى يوم الدين على خمسة أركان: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا. وأمرنا ﷻ بهذه الأركان وعاءً للإسلام يُفيض علينا فيه من أنواره، ويُنـزِل علينا فيه من أسراره، سبحانه وتعالى هو العليم الخبير بأحوالنا وأمورنا، الرءوف الرحيم اللطيف بنا؛ فهو مستحق للحمد منا، مستحق أن نحمده ﷻ وأن نَلهَجَ بذلك الحمد ليلَ نهارَ وفي كل حال؛ ولذا صدَّر بحمده كتابه في السبع المثاني العظيمة فقال: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الفاتحة:٢).

ولقد أمرنا الله ﷻ بالعبادة وإخلاص النية فيها باعتبارها غايةَ خَلقنا وخلاصةَ مُرادِه منا كما قال جل شأنه: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات:٥٦)، وكما قال: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾ (البينة:٥)، ولَخَّصَ كُلَّ ذلك في الحج والعمرة، فالحج ركنٌ من أركانِ الإسلام، لكنَّه يَجمَعُ بين كلِّ العبادات بالإضافة إلى ما له من خصوصيّةٍ وتميُّزٍ، حتى إنه لم تُسَمَّ سورةٌ من القرآن بـ(سورة الصلاة) ولا (سورة الزكاة) ولا (سورة الصيام) ولا (سورة الشهادتين)، إنما سُمِّيَت سورة بـ(سورة الحج)؛ فهو في أحكامه فريد في باب الفقه، لا يشابهه باب، ولا تقاس عليه عبادة. مَن دخل في الحج لا يخرج منه وإن فسد، ولكن إن فسدت الصلاةُ أو فسد الصومُ خرج الإنسان منها؛ نعم، إن الله ﷻ قد جمع في الحج والعمرة كل معاني العبادات الإسلامية؛ فترى في الحج والعمرة: الصلاة والصيام والذكر والدعاء والقراءة والنذور والكفارات والهدي.

والحج والعمرة يشتملان على التوحيد، ويشتملان على عبادة بدنيـة، وعبـادة مالية، وحل وترحال، وأقوال وأفعال، وسكنات وحركات، ومعان وأسرار، وفيوض وأنوار. فيشمل الحج كل ذلك في آن واحد، وفوق ذلك كله فيه الوقوف بعرفة والطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة، إلى آخر ما هنالك من شعائر جمعت بين عبادات الإسلام كلها، فالحمد لله الذي جعلنا مسلمين.

ومن أجل هذا بشَّرَنا النبي ﷺ بعموم المغفرة للحجاج والمعتمرين فقال: (العُمرةُ إلى العُمرةِ كفّارةٌ لما بينهما، والحجُّ المَبْرُورُ ليس له جَزاءٌ إلا الجَنّةُ)[1].

وأشهُر الحج تدخل برؤية هلال شوال، وتستمر بذي القعدة إلى نهاية عشرٍ من ذي الحجة. والحج في اللغة: القَصد؛ يقصد فيه المسلمون بيت الله الحرام حتى يعلنوا لأنفسهم وللعالمين أنهم أمة واحدة، وأنهم يعبدون ربًّا واحدًا، ويتبعون نبيًّا واحدا، ويتّبِعون كتابًا واحدًا، ويُصَلّون إلى قبلة واحدة؛ في توحيد شامل يَبدأ بإفراد ربنا ﷻ بالعبودية ليَصلَ بنا إلى الأمة الواحدة: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ (الأنبياء:٩٢)، ﴿ وإنّ هذه أُمّتكم أُمّةٌ واحدةٌ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ﴾ (المؤمنون:٥٢)، فالأمّة في أصلها ووفقَ مراد الله ﷻ أمّة واحدة، ولكنَّ المسلمين اليوم نَسُوا هذا، واستطاع أعداؤهم أن يُنسُوهم أنّهم أمّة واحدة تَعبُدُ ربًّا واحدًا، فينبغي على قلوب أمة محمد ﷺ أن تتّحِدَ لكي تكونَ أمّة واحدةً في مواجهة العَصرِ وما يَكتَنِفُنا من أحداثه الجِسامِ.

فالحج أشهر معلومات، فرض الله ﷻ الحجَّ فيها وجعلها ميقاتًا زمنيًّا لهذا القصد المبارك الشريف إلى بيته الحرام، حيث تتنزل الرحمات وتُستجاب الدعوات وتتحد الأمة وتظهر وحدتها أمام العالمين. هكذا أراد الله أن نكون، حتى إذا انحرفنا عما أراد وتفككت كلمة الأمة أرانا الله ذلك الهوان الذي نراه؛ لعلنا نستيقظ؛ لعلنا نعود إلى وَحدتنا وإلى تكاتفنا، وإلى إعلاء كلمة الله فينا.

---

(١) أخرجه البخاري (ج٢/٦٢٩ رقم ١٦٨٣) ط ابن كثير- اليمامة، وأخرجه مسلم (ج٢/٩٨٣ رقم ١٣٤٩) ط إحياء التراث العربي.

والحج تجديدٌ للحياة، وبداية لما بعده. ومِن أجل هذا جعل سيدُنا عمرُ ﷺ أوَّلَ العامِ هو العودة مِن الحج؛ فجعل المُحَرَّمَ مِن شهور الله ﷻ أوَّلَ السَّنة في التقويم الهجري بعد ذي الحجة؛ لأنها -فيما بعدَ الحج- بدايةُ سَنة جديدة في العلاقة مع الله ﷻ.

د/ على جمعة

القسم الأول

آيات

الحج والعمرة وأسرارهما

اولا : رحلة قرءانية في الحج والعمرة

وأتموا الحج والعمرة

يقول الله تعالى: ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۖ وَلَا تَحۡلِقُواْ رُءُوسَكُمۡ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡهَدۡيُ مَحِلَّهُۥۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ بِهِۦٓ أَذٗى مِّن رَّأۡسِهِۦ فَفِدۡيَةٞ مِّن صِيَامٍ أَوۡ صَدَقَةٍ أَوۡ نُسُكٖۚ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلۡعُمۡرَةِ إِلَى ٱلۡحَجِّ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۚ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةۗٞ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمۡ يَكُنۡ أَهۡلُهُۥ حَاضِرِي ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿١٩٦﴾ ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡۚ فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَٰسِكَكُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗاۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّمَّا كَسَبُواْۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ ۞ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۖ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ ﴾ (البقرة:١٩٦-٢٠٣)

إن القرآن يخاطبنا خطابًا مباشرًا؛ ولذلك سوف نتبع طريقته ونخاطب أهل الحجِّ

والعمرة والمُقدمين عليهما بكلام مباشرٍ مُوَجَّه إليهم عسى أن ينفعنا الله وإيّاهم بذلك. كما أنّنا نُعنى في هذا المقام بالمعاني والأسرار لا بالأحكام الفقهيّة، ولذلك قد نطيل في مَوضعٍ ونوجزُ في الآخر حَسَبَ ما يقتضيه الحال.

يقول ربنا ﷻ: ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ (البقرة:١٩٦) تأمل أيها المسلم في كلمة الحج، فإنها تأتي من الجذر اللغوي الحاء والجيم (حجج)، ومن هذه المادة تأتي كلمة الحَج أو الحِج وهي تعني (القصد)، ومنها تأتي أيضًا كلمة (الحُجّة) وهي "البُرهانُ". والعرب تَربطُ بين معاني ما جاء من جذرٍ واحد، فما العلاقة بين "القصد" وبين "البرهان"؟ ما العلاقة بين الحَج (أو الحِج) وبين "الحُجّة"؟

العلاقة أن الله ﷻ جعل الإخلاص في القصد بُرهانًا على الإيمان؛ ومن ثَمَّ فالحج حُجّة، والآيات تعلمنا وتُشدِّدُ علينا كيف نُخلصُ دينَنا لربِّنا، فلله الدين الخالص: ﴿ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ (غافر:١٤)، هذه الآية في مطلعها وختامها ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ (البقرة:١٩٦) تعلمنا أن نقصد ربنا ﷻ في حجّنا أو عمرتنا بإخلاص، فإن لم يكن هناك إخلاص وكان هناك فقط التفات للدنيا فاعلموا ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾، وإن لم يكن هناك إخلاص وكان هناك شرك بغيره ﷻ فاعلموا ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾، وإن كان هناك خوف من الناس من دون الله ﷻ أو نسيان لقضية الألوهية العظمى التي عليها مدار الكون فاعلموا ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾.

هكذا يجعلُ الله ﷻ كلَّ العبادات في ذلك القَصدِ إلى بيتِه الحرامِ الكريمِ الشَّريفِ، ويجعل الحج كلّه برهانًا لصدق النية والإخلاص لله رب العالمين وإخلاص الدين من كل الشوائب التي أمر الله ﷻ أن يُخلِّص الدِّين منها.

وفي هذا المقام نحتاج إلى تمهيد وتحضير، تمهيد تُهيِّأ فيه النفوس لأداء المناسك أداءً يجمع عليها الاستقامة على الأحكام والمباني، والتعرض لنفحات الأسرار والمعاني، وتستعد فيه القلوب لتلقي العطاءات الربانية، واستقبال المنح الرحمانية، واستحقاق

الفُتُوح والفُيُوض والأنوار وغفران الذنوب وحَطّ الخطايا ومحو الأوزار، والارتقـاء في درجات الوصول وطبقات القبول، وتحصيل الحسنات ورفع الدرجات.

وليس أَقدَرَ على هذا التَّحضيرِ والإعدادِ، وتحقيقِ الهداية فيه والرَّشاد، من كتاب ربنا المجيد الذي جعله نورًا وهدًى ورحمة للعباد، وأنزله مباركًا، فيه آيـات بينـات، وضوابط وروحانيات، تبقى هدًى للعالمين إلى يوم المعاد. فنستعين الله تعالى في التعرض لكلامه الحكيم، والتأمل في معانيه ومراميه، في جوانب الحج والعمـرة ونواحيهمـا، سائلين ربنا أن يُعَلِّمَنا ويُفَهِّمَنا وينفعنا بكل ذلك في الدنيا والآخرة، وأن يجعله خالصًـا لوجهه الكريم، موافقًا لمراده فيه.

تشتمل الآيات على وجوب الإخلاص لله، وتجعل الحج والعمرة برهانًا في حالة السلم، كما أن القتال في سبيل الله كان في حالة الحرب بُرهانًا على أنَّك بعتَ نفسَك ومالَك لله، فذاكَ الجهاد في حالة الحرب، وهذا الحج أو العمرة في حالة السلم، ولهذا جعل الله ﷻ آيات الحج والعمرة بين الآيات التي تَتَكَلَّمُ عن القتالِ وشروطه ومبادئه وقواعده، فسبقها بقوله جلَّ شأنه: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾ (البقرة:١٩٠) وعقَّب الآيات التي يتكلَّمُ فيها عن الحجِّ والعمرة بقوله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾ (البقرة:٢٠٨).

إنَّ أهمَّ ما يُعلِّمنا ربُّنا إياه في هذه الآيات أنَّ الذِّكرَ هو مفتاح الإخلاص؛ ولذلك أكثِر منه في الحجّ والعمرة، في كلِ حركة وسَكَنة، في كل ركن من الأركان. واستحضر أيها الحاج أو المعتمر هذه المعاني العليا: أن الحج والعمرة يفيدان وَحدة الأمة، وأنهما برهان على الإخلاص، وأن الذكر هو مفتاح الحل لمشكلاتنا، ومفتاح الطريق إلى الله ﷻ، وأن الحج والعمرة قد ذُكِرا بين قتالين، وكما نظَّم لنا شأن هذا نظَّم لنا شأن هذا. تنبه، واقرأ آيات القرآن بقلب واعٍ، قال تعالى: ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِ ﴾ (البقرة:١٩٦). ولا يَسَعُنا المقامُ

لنتكلم عن كل كلمة، فكل كلمة فيها من الأسرار والمعاني ما الله به عليم، وفيها من القواعد والمبادئ ما ينظّم حياة البشرية من رفع الحرج واليسر، وأن الأمر أمر عبادة، وأن الدنيا لا ينبغي أن نتركها إهمالاً وتكاسُلاً وتقاعُسًا، وإنّما ينبغي أن نُخَلِّيَ منها قلوبَنا فتصبح في أيدينا لا في قلوبنا، وندعو الله أن يأتينا من خيرها وأن ننتفع بها وأن نتقوّى بها له ﷺ فـــ(المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأَحَبُّ عند الله من المؤمنِ الضعيفِ وفي كلٍّ خيرٌ) [1]، وألا نَقصرَ ونحبسَ أنفسَنا عليها، ولا نُصَغِّرَ ذكرَ الله وأمر الله تعالى في قلوبنا من أجلِ هذه الدُّنيا.

تأمّل هذه الآيات وتَدَبَّرها على هذا النحو: أن الحجَّ حُجّة، وأنه برهانُ الصدقِ والإخلاصِ مع الله، سترى حينئذ ما معنى ختم الآية الأولى بهذه القُوّة وتلكَ العظمة وهذه الشِّدّة التي جعل الله الحج في منـــزلتها: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾. والنبي ﷺ يقول: (الحجُّ المبرورُ ليس له ثوابٌ إلا الجنةَ) [2]، ويُبَيِّنُ عُمُومَ المَغفرةِ للحُجّاجِ ويُشَدِّدُ في اعتقادِ ذلك؛ لأن الحج قد قَدَّمَ الحُجّة على إخلاصِ الدِّين لله، ويُروى في بعض الأثر: (مَن اعتقَدَ أنه قد حَجَّ ولم يُغفر له فقد كَفَرَ)، ما هذا؟ ولِمَ كان ذلك العمل بهذه الدرجة العظيمة من المكانة والمنـــزلة؟ إنه حُجّة وبُرهانٌ على صدقِ النِّيّة؛ قال تعالى: ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۖ ﴾ (البقرة:١٩٦)، فمَن نوى الحج أو العمرة وعزم على أدائهما فلْيَكُن ذلك الأداءُ تامًّا مُتَمَّمًا، وكاملاً مُكَمَّلاً في نيّته وإخلاصه، وفي عمله بالمناسك على السُّنّة، وفي التزامه بها على الجادّة. فإن أُحصِرَ؛ أي مَنَعَه مانعٌ عن الإتمامِ مِن مرضٍ أو خوفٍ، فأراد التَّحَلُّلَ من الإحرام فليدخل في عبادة أخرى: هي الذبح. وماذا يذبح؟ قال تعالى: ﴿ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۖ ﴾ ما تَيَسَّرَ من بعيرٍ أو بقرةٍ أو شاةٍ؛ وهذا هو "الهَدي". إذن عبادة

---

(١) أخرجه مسلم (٢٠٥٢/٤ رقم ٢٦٦٤) ط إحياء التراث العربي، وأخرجه أحمد (ج٤٧٤/٢ رقم ١١١٤) ط قرطبة.

(٢) أخرجه البخاري (ج٦٢٩/٢ رقم ١٦٨٣) ط ابن كثير- اليمامة، وأخرجه مسلم (ج٩٨٣/٢ رقم ١٣٤٩) ط إحياء التراث العربي.

تقديم الذبائح لله، والتي لا تكون إلا لله، حتى هذه جعلها في الحج. قال تعالى: ﴿ وَلَا تَحۡلِقُواْ رُءُوسَكُمۡ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡهَدۡيُ مَحِلَّهُۥ ﴾(البقرة:١٩٦) عبادةٌ مَحضة وبُرهانٌ خالصٌ؛ فلا يتحلَّلُ من الإحرام بحلق رأسه أو بالتقصير حتى يذبح في مكانه أو في الحَرَم. فإذا عَجزَ عن الحلقِ أو التَّقصيرِ أو تَحلَّلَ لمرضٍ، دَخلَ في عباداتٍ أُخرى على سبيلِ الفداء: صيام، أو صدقة، أو ذبح ما تيسَّر (نُسُك) ... عبادات بعضها من بعض، وتيسيرات رحمانية، تَصحَبُ الحاجَّ في كُلِّ أحواله ومَقاماته، تنبَّه أيها المسلم وقف عند كُلِّ حَرف، وليس عند كلِّ كلمة، وافهَم ما تَفهَمُ من الآيات في السِّياق والسِّباق واللحاق: في ظلِّ الآيات التي سَبَقَت، والآيات التي لَحِقَت، وفي ظلِّ سياقِ ما أنتَ معه من آيات، وافهَم بلغة العرب وتَدبَّر، واعلم أنَّ هذا الكلامَ إنَّما يُعطِي أسرارَه للمُتَّقِينَ كما قال جلَّ شأنُه: ﴿ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾(البقرة:٢).

تأمَّل أيها الحاج ما يقولُ مولاك العظيم الرحيم: ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ بِهِۦٓ أَذٗى مِّن رَّأۡسِهِۦ فَفِدۡيَةٞ مِّن صِيَامٍ أَوۡ صَدَقَةٍ أَوۡ نُسُكٖۚ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلۡعُمۡرَةِ إِلَى ٱلۡحَجِّ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۚ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمۡ يَكُنۡ أَهۡلُهُۥ حَاضِرِي ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾(البقرة:١٩٦) إنَّه يَهُزُّ نفوسَ المؤمنين إليه، ففرُّوا إلى الله أيها الحجاج القاصدون وجهه الكريم! قال تعالى: ﴿ ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾(البقرة:١٩٧). "لا رفث": أي لا يَصِحُّ إتيانُ الزوجة أو الزوج، "ولا فسوقَ" مع الآخرين قولاً أو فعلاً، ولا تجوز مجادلةُ الناسِ وإفسادُ ذاتِ البَينِ، إنَّه مقامُ تربية وتهذيب للشهوات والطبائع والسلوك "في الحج"؛ وذلك للإدامة عليه فيما بعد الحج؛ قال تعالى: ﴿ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ﴾، ومع زاد السَّفَرِ المادي لا تَنسَ –أيها الحاج– الزادَ الأعظَمَ: التَّقوى، فثمَّة مبدأ عام. قال تعالى: ﴿ خَيۡرَ ٱلزَّادِ

ٱلتَّقْوَىٰ ﴾.ثم يقول تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ (البقرة:١٩٨) لاحظ! ليس الأمر في الحجِّ ولا سائرِ الأوامرِ الشرعيّة حرمانًا من الدُّنيا أو رَهبانيّة نَبتدعُها ما كَتَبها اللهُ علينا، غايةُ الأمر الإخلاصُ لله والإخلاصُ في دينه؛ قال ﷻ: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (البقرة:١٩٨/١٩٩) هذا هو المقصدُ كما ذكرنا: ذِكرٌ دائمٌ؛ فاذكروا الله -أيها الحاجُّون بيته- مِن مواقعِ الإحرامِ، واذكروه وأنتم ماضُونَ وصاعِدُونَ إلى عرفات، واذكُرُوه في عرفات، واذكروه إذا (**أفضتم**): نَزلتم من عرفات، واذكروه عند المشعر الحرام، واذكروه بالتَّعظيمِ والإجلالِ، وبالتَّأمُّلِ في صفاته ذاتِ الجمالِ والكمالِ، واذكروه بالحَمد والشُّكرِ والعِرفانِ؛ قال تعالى: ﴿ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾.

نعم، كما هداكم، فإنَّ في الحجِّ ومناسكِه وشعائرِه وأماكنِه هُدى للعالمين، كما ستعلَّمُنا آياتُ القرآنِ المبين.

وهل يَقِفُ الذِّكرُ عندَ أداءِ المناسِك فنخرجُ من حالِ الذِّكر بقضائها؟ لا، إنَّه الذِّكرُ الدَّائمُ للحيِّ القيُّومِ الباقي الدائمِ ﷻ؛ قال تعالى: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾، اذكروه كما يذكر الطفل أباه وأمَّه يَلهَجُ بذكرِهما وبالنِّداءِ لهما لا يَفتُرُ، بل اذكروا ربَّكم أشدَّ من ذلك، فإنَّه بالذِّكرِ جَديرٌ، وبالشُّكرِ أَولى. فأنتم بين فريقين: مَن يريدُ اللهَ والدَّارَ الآخرةَ، ومَن لا يريدُ إلا الدنيا.

ثُمَّ استمرُّوا -أيها الحجاج- في الذِّكرِ؛ قال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ

مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (البقرة:٢٠٣).

تأمَّل كيف أنَّ الحجَّ بُنيَ على التيسيرِ وعدمِ التَّحريجِ مهما كان الحالُ: لمن تعجّل فنفَرَ النَّفرَ الأوَّل (كما سنبين) ولِمَن تأخَّرَ فأقام إلى ثالثِ أيّام التشريق، فلا إثمَ على هذا ولا على ذاك، ولذلك لم يُسأل فيه رسول الله ﷺ عن شيء قُدِّمَ أو أُخِّرَ إلا قال: (افعل ولا حرج) [١]، ولم يُسأل عن شيءٍ فيه عُذرٌ مِن تأخيرٍ في الزّمانِ أو ضيقٍ في المكان، أو حالٍ اعترَت مَن حَجَّ معه إلا وقد أباحَ له ذلك، فأينَ هذا من عَقليّة قد أغلَقَت نَفسَها على الأوراقِ والأغلاقِ فضاعَ مَن ضاعَ بسَبَبِها؟!

أول بيت وضع للناس

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾(آل عمران:٩٦/٩٧)

وردت "بَكّة" في العهد القديم في المزمور الرابع والثمانين، وهي في نسخة الملك جيمس باللغة الإنجليزية على حالها بالحرفِ الكبيرِ الذي يدُلُّ على أنّها مكانٌ وعلى أنّها مَوضِعٌ، وفيها ما يدُلُّ على أنَّ داودَ عليه السلام قد تعلق قلبُه -وهو يدعو ربَّه ويُسبِّح له- ببيت الله العتيق. وهي موجودة أيضًا في صلاة يعقوب في سِفرِ التَّثنية. أما في النسخة العربية ففي المزمور قالوا: "وادي البكاء" بدلاً من بكّة، وهناك في صلاة يعقوب قالوا: "باكوت" بَدلاً مِن بَكّة، أمّا في النسخة العبرية والنسخة الإنجليزية والنسخة السرُيانية فعلى حالها، والحمد لله الذي جعلنا مسلمين.

---

(١) أخرجه البخاري (ج١/٥٨ رقم ١٢٤) ط ابن كثير- اليمامة، وأخرجه مسلم (ج٢/٩٤٩ رقم ١٣٠٦) ط إحياء التراث العربي.

فهذا البيتُ في أُمِّ القُرى عَرَفَته الأمَمُ السّابقة؛ لأنّه أوّلُ بيتٍ وُضِعَ للنّاسِ وللعالمين كما ذَكَرَ اللهُ ﷻ في كتابه الكريم، وكما أنزَلَ على السابقين مِنَ الأنبياءِ والمُرسَلينَ، حتى يكونَ ذلك الحَقُّ مُبينًا وهاديًا للعالمين.

فيه آيات بينات

والله ﷻ يقول: ﴿ فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ ﴾ (آل عمران:٩٧). وبيت الله الحرام ليس في حاجة إلى آيات حسيّة، بل الآياتُ التي تكتَنفُه تَرجِعُ إلى هداية العالمين؛ فهو هدًى للعالمين. ولكنَّ كثيرًا من الناس يُحبُّ أن تكون الآياتُ البيِّناتُ آيات حسيةً؛ فيَدّعي مَثَلاً أنَّ الطَّيرَ لا يطيرُ فوقَ الكَعبة المُشرَّفة، في حينِ إنّ الطَّيرَ يطيرُ فوقَها، أو أنَّ الطَّيرَ لا يَذرُق (لا يُخرِج فضلاته) في بيتِ الله الحرامِ، في حينِ إنَّه يفعلُ ذلك، أو أنّه في يوم الخامسِ عشرَ مِن شعبان تَفُورُ زمزم، في حينِ إنَّها لا تختلِفُ في دَفعِها للماءِ مِن يَومٍ إلى يَومٍ.

الآية الأولى- السلامة من الأوبئة

وإذا تأمَّلتَ بَيتَ اللهِ الحرامَ وجدتَ أنَّ مِن آياته العظامِ أنَّ الحُجّاجَ والمعتمرين بالرَّغمِ مِن أنّهم بمئات الآلاف -بل هم اليوم بالملايين- ويرجعون إلى أوطانهم مِن غير وباءٍ ولا مرضٍ، فكيف يَتحكَّمُ هذا العددِ الضَّخمِ في هذا الأمرِ إلا أن يكونَ مِن عِندِ اللهِ اللطيفِ الخبيرِ؟!

الآية الثانية- نِسيانُ الشَّهَواتِ

هذا العَدَدُ الضَّخمُ تراهم وقد نَسُوا شَهَواتِهم أو ربما نسوا طبائعهم وما كانوا عليه، يطوفون بمئات الأُلوف حولَ البَيتِ العَتيق، لا تَجِدُ منهم رَجُلاً يَتحَرَّشُ بامرأةٍ ولا عَكسَه! وكثيرٌ ممَّن يذهبُ إنّما هو مِنَ المُذنبينَ الذين يَسأَلُونَ اللهَ ﷻ أن يتوبَ عليهم ويُخرِجَهم مِن ذُنُوبِهم ومعاصيهم.. ما هذا الذي يحدث حولَ بيتِ الله الحرام؟! نعم.. صدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ﴾ (آل عمران:٩٧).

الآية الثالثة- الأمن والأمان

ومن آياته ذلك الأمنُ الذي يَشعُرُ به كُلُّ إنسان عندما يرى الكعبة المشرفة؛ فهي محلُّ نظرِ الله ﷻ، وهي بيتُه العتيق، وهي أوَّلُ بيتٍ وُضِعَ للناسِ، وهي البيتُ الذي باركَ اللهُ حولَه وفيه، وهي البيتُ الذي جَعَلَه هدى للعالمين.

وهذه البَلدة الشَّريفة مَن دَخَلَ مسجدَها كان آمنًا في الدنيا والآخرة، وآمنًا فيه ومن بعده، على أقوال للعلماء عَديدة. وعلى ذلك دُعاءُ الصالحين عندما يَرَونَ مكةَ أو يَرَونَ البيتَ الحرام: (اللهم إن البلدَ بلدُك، والأمنَ أمنُك، والحَرَمَ حَرَمُك، فأَمِّن رَوعَتِي يومَ القيامةِ، وحَرِّم جَسَدي على النار).

وهذا البيت العتيق يقولون: إن الدخول فيه والصلاة فيه كما صلّى رسولُ الله ﷺ وأصحابُه ممَّن اختارهم أن يكونوا معه -وهو الأمرُ الذي لا يَتَيَسَّرُ لكثيرٍ مِنَ الناسِ- يصيرُ به الدّاخلُ آمنًا يومَ القيامة. ففيها بُشرى للحاجِّين إلى بيتِ الله العتيقِ ومَن دَخَلَ الكعبة. وفيها حِجرُ إسماعيلَ، فمَن حُرِمَ أن يَدخُلَ الكعبةَ صَلّى في حِجرِ إسماعيلَ فكان مُصلّيًا داخلَ الكعبةِ وكان داخلاً فيها وداخلاً في قوله تعالى: ﴿ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ﴾ (آل عمران:٩٧).

نعم، فيه آيات بينات تَختَصُّ بكُلِّ إنسان ممّا يَجدُ في نَفسه مِن سَلامة وأمان وطمأنينة، وممّا يَجدُ في نفسه من شُعُورٍ بالأنوارِ تَتَلألأُ في صَدره عندما يُصَلّي إلى بَيتِ الله الحرام، وعندما يَعبُدُ ربَّه ويُسبِّحُه، وعندما يَقرأ قرآن الله، فيجدُ الفُتُوحَ تَتَنَزَّلُ عليه تَنزُّلات الرَّحمة.. ما هذا؟ إذا كان ذلك يَختَصُّ بشخصٍ دون شخصٍ لكان في ذلك من الآيات البيِّنات ما اللهُ به عليمٌ، لكن سبحان الله!! إذا به يُطَوِّقُ البَشَرَ مِن كُلِّ اللغات والأجناسِ والأعمارِ. وكُلُّ مَن دَخَلَ هذا المَسجِدَ العظيمَ شَعَرَ بالأمنِ والأمانِ والإيمانِ، فالحَمدُ للهِ الذي جَعَلَنا مُسلِمين.

الآية الرابعة-مقام إبراهيم

قال تعالى: ﴿ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ (آل عمران:٩٧).

وهناك نرى ذلك الحَجَرَ الذي وقف عليه سيِّدُنا إبراهيمُ جَدُّ الأنبياءِ جميعًا (من بعده) ليبنيَ البيت العتيق، وهو النبي الذي عظَّمته ووقَّرته المِلَلُ الثلاث؛ لأنَّه كان عند الله عظيمًا، وكان عند الله وجيهًا، وكان أُمّةً وَحدَه، وكان حنيفًا مسلمًا. نتذكَّر ونتصوَّر سيدَنا إبراهيمَ عليه السلام وهو يَركَبُ المَقامَ، ويَرتَقي الحَجَرَ، ويَبني ويَرفَعُ القَواعِدَ مِنَ البَيتِ. والله ﷻ أمَرَنا أن نُحافِظَ على هذا المَقامِ؛ فحافَظَت عليه الصحابةُ ومِن بعدِهم التّابِعُونَ ومِن بعدِهم المسلمون إلى يوم الدِّين.

إبراهيم رَمزُ توحيدِ الأمّة، بل ورمزُ توحيدِ البشريّة كُلّها، فإنَّ الرسالات التي ارتَضاها الله أن تَبقى مِن رسالاته السماويّة كُلُّها مَردُودة إلى إبراهيم عليه السلام، فإبراهيمُ هو أبو الأنبياء؛ ﴿ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ﴾ (الحج:٧٨)، فاحملوا -أيها المسلمون- هذه الدَّعوة إلى العالمين، وأَفهِمُوا هؤلاء الذين لا يريدون أن يَفهَمُوا عن الله ورسولِه ﷺ من الكُفّارِ أنَّهم كانوا مِن أَسلافٍ مسلمين، وأنَّ دينَ الله واحدٌ، وأنَّ دينَ الله الذي ارتضاه وختَمَه بسيِّدِ الأنبياءِ والمُرسَلينَ لا يُخالِفُ حَقًّا معهم ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ (المائدة:٤٨)، بل يخالف ما حَرَّفُوه من كُتُبٍ، وما اعتَدُوا به على الله ورسولِه ﷺ، وما تَقَوَّلُوه عليهما بغَيرِ حَقٍّ، فليَعُودُوا وليَرجِعُوا إلى الإسلامِ الذي ارتضاه الله ربُّ العالمين لأبينا إبراهيم، قال تعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴾ (الروم:٦،٧).

الآية الخامسة- مكّة أمُّ القُرى على سبيلِ الحِسِّ

هذه البَلدةُ الكريمةُ الشريفةُ المُعَظَّمة التي حَماها الله ﷻ من كلِّ عــدوانٍ، فلــم يمسَّها عدوانٌ قطُّ، وكلَّما مَسَّها عدوانٌ قَصَمَ الله ﷻ ظَهرَ المُعتَدينَ.

وفي العصر الحديث في أواخرِ السبعينيات دَرَسَ الدكتور حسين كمال الدين رحمه الله مغناطيسية الأرض، وكان أستاذًا بجامعة القاهرة، وتَبيَّنَ له العَجَبُ العُجابُ: أنَّ مَكَّة هي أمُّ القُرى على سبيلِ الحِسِّ، وليس على سبيلِ الدِّينِ والمَعنى والمَفهُومِ فقط. فقد وَجَدَها بين دوائرِ المغناطيسيّاتِ الأربَعِ مِن شمالِها وجنوبِها وشرقِها وغربِها، وهي في وسطِ الكُرةِ الأرضيّة خارجَ تلكَ الدَّوائرِ. إذن فمَن أرادَ أن يُنظِّمَ، وأن يَفهَمَ، وأن يَدرُسَ "الأرضَ" فعليه أن يبدأ بهذه البقعةِ المباركةِ؛ فهي هُدًى للعالمين حسًّا كما جعل الله ﷻ النُّجُومَ والشَّمسَ والقَمَرَ أدلَّة نَسيرُ بها في الليلِ والنَّهارِ لو فَقَدنا اتجاهَنا ﴿ وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴾ (النحل:١٦).

الآية السادسة- توحيد الأمة

أمّا هدايةُ العالمين في المعنى فقد تَجلَّت لي تَجلِّيًا خاصًّا عندما سألني أحدُهم -من غَيرِ المسلمين- وهو يتعجَّب: كيف تستطيعون أن تجعلوا مِن أنفسكم أمّة واحدةً بالرغمِ مِن كُلِّ تلكَ الفُرقة السياسيّة والتناقُضِ الاجتماعيِّ والبَونِ الاقتصاديِّ الشّاسِعِ فيما بينكم، وبالرغم من اختلاف مذاهبكم ومَشاربكم، بالرغمِ من أنّنا -والكلام لهذا الرجل الغربي- قَسَّمناكم دُوَلاً حتى أصبَحتم سَبعًا وخمسينَ دولةً، أضعَفناكم.. استَعمَرناكم.. شَتَّتناكم.. فما السِّرُّ في أنّكم لا زِلتم أمّة واحدةً؟ كيف تَظهَرُونَ أمامَنا وكأنّكم أمّة واحدةٌ؟ قالها لي وهو في غايةِ العَجَبِ.

نعم، لقد حاولوا أن يقرأوا الإسلامَ والمسلمين قراءةَ التفريقِ والتَّمزيقِ، قراءة التَّفتيتِ والتَّشتيتِ، فادَّعَوا أنَّ هناك إسلامات مختلفة، فهناك إسلام في المغرب غير الإسلام في تركيا، وهناك إسلام في مصر يخالف الإسلام في السعودية، وأن أهل السنة لهم إسلام يخالف إسلامَ الشيعة، وأن الشيعة يخالفون الإباضيّة، وأن الخَلَفَ يُخالِفُ

السلفَ ويُغايِرُه، وأنه ليس هناك إسلامٌ واحدٌ بل إسلاماتٌ مُتَعَدِّدَة مُتَصارِعة، وروَّجُوا لتلك الفكرة جدًّا، وألَّفُوا فيها المؤلَّفات وأقاموا لها المؤتمرات، ثُمَّ وَجَدُوا أمّة الإسلامِ واحدةً! لم يَخطُر في بالي أنَّهم يَرَوْنَنا -مع فُرقَتِنا- أُمّةً واحدة، وأنَّهم يَخشَوْنَ كلَّ هذه الخَشية مِن هذه الأُمّة في ظلِّ واقعِها الرّاهنِ، إنَّهم يَتَعَجَّبُونَ كيف أنَّهم فَشِلُوا في أن يَقضُوا على هذه الأُمّة بالرَّغمِ مِن كُلِّ التَّنظيمِ الذي نَظَّمُوه ومِن كُلِّ الجُهدِ الذي بَذَلُوه.

وهم -إذ لم يَنجَحُوا في أن يَصنَعُوا شَيئًا- لا يَزالُ مِنهم مَن يَتَساءَلُ ويَبحَثُ ويَستَفهِمُ، كأنَّهم لا يريدون أن يُخادِعُوا أنفُسَهم أو يَخدَعُوها؛ ولذلكَ يُرِيدُونَ أن يَفهَمُوا، أو على الأَقَلِّ مِنهم مَن يُريدُ ذلك.

وخَطَرَ في بالي حينئذ قولُه تعالى: ﴿ هُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ فقُلتُ: سبحان الله، إنَّ هذا الذي جَمَعَنا اللهُ عليه يُؤثِّرُ في قُلوبِ الآخَرِينَ (مِنَ العالمين) حتى وإن لم يُؤثِّر في قلوبنا نحن، فنحن اليومَ أهلُ غَفلة غالبًا، معنا الكنوزُ ولا نريدُ أن نَستَعمِلَها، ومعنا النبيُّ ﷺ ولا نريدُ أن نَتَوَسَّلَ به (بإقامة شَرِيعَته في أَنفُسنا) إلى ربِّنا، ومعنى كلُّ هذا الكَرَمِ وبالرَّغمِ مِن ذلك نحن غافلون، والآخرون يَلتَفِتُونَ إلينا على أنَّنا أمّة واحدةٌ. قُلتُ له: إنَّ لَنا قِبلةً واحدة، وإنَّ لَنا نَبيًّا واحدًا خَتَمَ اللهُ به الرِّسالة فلا نَبيَّ بعدَه ولا رسول، وإنَّ لَنا كِتابًا واحدًا حَفِظَه اللهُ فلم يَجعَلنا نَختَلِفُ ونتحيَّرُ بشأنه، يُتلى في المَحاريبِ والبيوتِ وكلِّ مَكان، ويَحفَظُه الصَّغيرُ قبلَ الكَبيرِ. إنَّها وَحدةُ أُصُولٍ، فيها وَحدةٌ للأمّة، وفيها هدايةٌ للعالمين.

كان الحجُّ مؤتمرًا سنويًّا يُوَحِّدُ الأُمّة عَبرَ تاريخها. ويُبدي كَثيرٌ مِنَ المُؤرِّخينَ مِن غيرِ المسلمين ومِنَ المُهتَمِّينَ بتاريخِ هذه الأُمّة وسماتها تَعَجُّبَهم مِن أنَّ المُختَرَعات التي كانت تُختَرَعُ لدى المسلمين في الشَّرق يَجِدُونَها بعدَ شُهُورٍ قَليلة قد طُبِّقَت في الأندَلُسِ في الغَرب، والحالُ كذلك عندَ عُلَماء الأندَلُسِ مِن أَهلِ الصناعة والهندسة والطبِّ وغيرِها يَجِدُونَ مُبتَكَراتِهم قد انتقلَت إلى الصينِ والهندِ لدى المسلمين، وتَتَبَّعُوا

هذه الظاهرةَ العجيبةَ فوجَدُوا أنَّ الأمرَ إنَّما هو مَردُودٌ إلى الحج؛ يجتمعُ فيه علماءُ المسلمين ويَتَبادَلُونَ الخبرات، ويقومون بنَقلِ المُختَرَعاتِ والأفكارِ والنُّظُمِ والإداريّاتِ والإجراءاتِ: وحدةً للأمّة، وقوّة للدّولة، ووقُوفًا أمامَ الحضارات الأُخرى باقتدارٍ وتمكُّنٍ. كذلك يَنبَغي أن يَعُودَ المسلمون لعَمَلِ المؤتمرات العلميّة، لا لتُلقى فيها الخُطَبُ الرّنّانة، بل لتُقَدَّمَ فيها الأبحاثُ وتُوضَعَ فيها السياساتُ وتَتَعارَفَ فيها الشُّعُوبُ.

فاجعل الحجَّ -سواء وُفِّقتَ فذَهَبتَ أو لم تذهَب- مُؤتَمرًا يُوحِّدُ الأُمّة على كَلمة سَواءٍ ضدَّ أعدائها الذين تَكالَبُوا عليها بقَسوة وفُجر وفسق وضَراوة. ولقد أصبَحَ العالَمُ قَريةً واحدةً ولم يَعُد هناك جدالٌ ولا شكٌّ أنّهم ﴿ لَا يَرۡقُبُونَ فِي مُؤۡمِنٍ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُعۡتَدُونَ ﴾ (التوبة: ١٠)، وأنّهم يُطَبِّقُونَ ما أرادوا مِن حُقُوقِ الإنسان، بل والحَيَوان، على أنفُسِهم لا على المسلمين، وأنَّ المسلمين -لأنّهم يَدعُونَ إلى الله رَبِّ العالمين- أصبَحُوا مُضطَهَدين في كُلِّ مَكان، لَكنَّنا لا يُهِمُّنا هؤلاء، وسَنَظَلُّ نَدعُو إلى الله رَبِّ العالمين ونَصبرُ على ما ابتَلانا به مِن أولئكَ المُعتَدِين حتى نَلقاه ﷻ، والله ﷻ يَستَجيبُ للذين آمَنُوا ويَتَوَلّى الصّالحِينَ.

كان المسلمون في الحجِّ يَشهَدُون مَنافِعَ لَهم على الحَقيقة وعلى المَجاز، كان المسلمون يعودون مِنَ الحجِّ إلى أقطارهم وقد ازدادُوا قُوّة إلى قُوَّتهم، إلى أن دَبَّ الوَهَنُ في قُلُوبِ المسلمينَ فأحَبُّوا الحياةَ، وكَرِهُوا المَوتَ، وتَشرذَمَتِ الأُمّة، وتَفرَّقَ النّاسُ، فأصبَحَ الحَجُّ خاليًا من مَعناه.

الآية السابعة: فيه هدًى للعالمين

الهداية نطلبها من ربنا ﷻ كُلَّ يومٍ في صلواتنا في كلمة جامعة عجيبة معجزة: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ (الفاتحة:٦). مِن إعجازِها أنَّ الله ﷻ لَخَّصَ فيها منهجَ الحياةِ بطَلَبنا هذا منه سبحانه: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ أي: اهدنا يا ربَّنا أن نَبتَعِدَ عن الكَذِبِ لأنّه يَهدي إلى الفُجُورِ والنّارِ، (وإنَّ الرَّجُلَ لَيكذِبُ حتى يُكتَبَ عندَ

الله كَذّابا)[١]، والكَذِبُ إذا بُنِيَت عليه الحياةُ انهارَت حَياةُ الأُسرة، وحياةُ الأمّة والمُجتَمَعات، وحياةُ الإنسانِ. (اهدِنا الصِّراطَ المُستَقيمَ) في تفكيرٍ مستقيمٍ يجب على المسلم أن يتبعه، بل على كل الناس، والمستقيمُ هو أقربُ طريقٍ بين نقطتين. ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾: أوصِلنا إلى هدفِنا، اللهمَّ اجعَلنا من الواصلينَ إليك، افتح علينا فُتوحَ العارفين بكَ، اسلُك بنا الطَّريقَ إليك، بَلِّغ بنا دينَك، حَقِّق لنا مُرادَك في كَونك من العبادة والعمران ومن تزكيةِ النَّفسِ. ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾: يا ربَّنا لا تَحكُم علينا بأن نَتَلَفَّتَ يمينًا وشمالاً فلا نَصِلُ، فإنَّ مُلتَفِتًا لا يَصِلُ. يا ربَّنا لا تَحكم علينا بأن نُعاندَ ضدَّ الحقِّ. يا ربَّنا لا تَحكُم علينا بالجَهالة فنكونُ من الضالّين التّائهين، يا ربَّنا لا تَحكُم علينا بأن نَعلَمَ الحَقَّ ونُوقِن به ثم نُخالِفُه، فإنَّ هذه مُصيبة كُبرى تُوجِبُ غَضَبَكَ يا ربِّ، ولكن اهدِنا ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾.

فهذه الكلمة الجامعةُ: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ تَتَعَلَّقُ بالعَقلِ وبالأفكارِ، وتتعلَّقُ بالمَنهَجِ العِلميِّ، وتتعلَّقُ بالحياةِ اليوميّة، وتتعلَّقُ بالمبادئ والأحكامِ، بل تتعلَّقُ بكلِّ شيءٍ في هذه الحياةِ الدنيا، كل ذلك في كلمةٍ قصيرةٍ جامعةٍ نُكرِّرُها في كُلِّ رَكعة لربِّنا سبحانه وتعالى.

ومِن علاماتِ الهُدى أن تكونَ منَ المسلمين، ومن علاماتِ الهُدى أن تَعرِفَ أنَّ هذا البَيتَ الحَرامَ إنَّما هو قِيامٌ (أي قوام) للنّاسِ؛ قال تعالى: ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلۡكَعۡبَةَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ قِيَٰمٗا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَٱلۡهَدۡيَ وَٱلۡقَلَٰٓئِدَۚ ذَٰلِكَ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴾ (المائدة:٩٧)، لا يقومُ شأنُ الناسِ إلا بالوَحدة وبالالتفاف حَولَه وبقَصده، وهو -كما ذكرنا- مَحَلُّ نَظَرِ الله، وتَنَزُّلاتُ وتَجلّياتُ ربِّنا عليه كلَّ ساعةٍ وكلَّ ثانية. فيجبُ أن يكون قلبُك -أيها القادم

---

(١) أخرجه البخاري (ج٥/٢٢٦٢ رقم ٥٧٤٣) ط ابن كثير- اليمامة، وأخرجه مسلم (ج٤/ ٢٠١٤رقم ٥٧٤٣) ط إحياء التراث العربي.

إلى بيت الله- مُعَلَّقًا بالله، وأن يكونَ قد طَلَبَ الوَحدة لا الفراقَ ولا الشِّقاقَ ولا النِّفاقَ وسُوءَ الأخلاق، ويجبُ على القلبِ أن يكونَ على استقامة وهُدًى؛ فإنّ الله ﷻ جَعَلَ هذا البَيتَ وما يُحيطُ به وما عَلِقَ بشأنه من أحكامٍ ﴿ هُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾. قد لَفَتَ هذا المعنى نَظَري إلى أنّنا يَجبُ أن نَستعملَ البَيتَ الحَرامَ في دَعوَتنا للآخَرينَ.

الآية الثامنة: الحج والعمرة مقامٌ عظيمٌ من مقاماتِ التَّوحِيدِ

إنّ الحج والعمرة مقامٌ عظيمٌ من مقامات التَّوحِيد، وهو دالٌّ على توحيدِ الله تعالى وتوحيدِ الأمّة على دينه. فالذي جَعَلَ لَنا البَيتَ الحَرامَ واحدًا هو الله، والذي جعله قبلة لنا هو الله، والذي خَتَمَ الرِّسالة بنَبيِّه هو الله، والذي حافظَ على كِتابه مَحفُوظًا هو الله. إذن فوَحدة الأمّة لا حَولَ للأُمّة ولا قُوّة لها فيها، وإنما كل ذلك من فضلِ الله، فالحمد لله الذي جعلنا مسلمين.

وفي عَصرِنا الرّاهنِ ورغمَ وضوحِ هذه المعاني لعامّة المُسلمينَ يَخرُجُ بعضُ الغافلين الذين لا يُدرِكُونَ ما معنى التوحيدِ وما معنى تفعيلِ التوحيدِ في قلوبِ النّاسِ، فيَدعُونَ إلى حجَّين أو إلى ثلاثة حِجَجٍ في كلِ سنة! لماذا؟ لأنّ الأرضَ قد ضاقَت بمَن عليها!! هذا لم يَفهَمِ الإسلامَ ولا الحجَّ بمَفهُومه العَميقِ، يَخلطُ بينَ التَّخريفِ والتَّحريفِ من جهة وبينَ الاجتهادِ الذي كان عليه أئمّة الأمّة من جهة أُخرى. كيف، والله يَدعُونا إلى الوَحدة وتفعيلِ التوحيدِ في حَياة النّاسِ، كيف نُفرِّقُهم بعدَ أن اجتمعوا، ونُعدِّدُ ونُشتِّتُ ما أرادَ الله له الوَحدَة! إنّها غَفلة ممَّن يَحسبُها على الوَرَقِ حسابًا كَمِّيًّا بَحتًا كما يفعلُ المادِّيون، ولا يَعرِفُ مَعنًى للتوحيدِ ولا مَعنى لإيجادِ هذا التوحيدِ في حياةِ النّاسِ وفي برنامجهم اليومي.

وأذن في الناس بالحج

يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۖ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾ (الحج:٢٧ـــ ٣٢).

وهكذا عَرَّفَ اللهُ ﷻ إبراهيمَ عليه السلام مكانَ البيت لتحقيقِ التَّوحيد، وجَعَلَه مُطَهَّرًا، ونَسَبَه لذاته (بيتي)؛ لمن؟ لأهلِ عبادَتِه: الطَّائفينَ والقائمينَ والرَّاكعينَ والسَّاجدينَ، وسَمَّاهم "السجود"؛ يَقُولُ رَبُّنا ﷻ: ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ (الحج:٢٦)، وكَلِمة "سُجُود" مَصدَرٌ ولَكنَّه أَطلَقَه على السَّاجدِينَ، فأطلَقَ المَصدَرَ على جَمعِ أَسماءِ الفاعِلينَ مثلَ: شُهُود وقُعُود، وهنا سُجُودٌ، وإطلاقُ المَصدَرِ على اسمِ الفاعِلِ فيه إشعارٌ بنَفيٍ للشَّخصِ الشَّاخص، وإشارةٌ إلى حُضُورِ الفعلِ وغَلَبَته على حالِ الشَّخصِ، وانتِفاءُ الشَّخصِ مَعناه أنَّه قد ارتَقى في عبادة الله ﷻ وأنَّه قد طَلَّقَ الدُّنيا مِن قَلبه وأنَّه في سجوده لم يَبقَ له شُعُورٌ بوُجُود سوى هذا السُّجُود لرَبِّ العالمين، وأنَّه يُكرِّرُ ذلك السُّجُودَ ويَسجُدُ لله دائمًا، ففيه دَليلٌ على كَثرة السُّجُود. ووضُوحُ التَّعظيمِ في قُلوبِ الناسِ هو مِن تَقوى القُلُوب. فإذا ذَهبتَ -أيُّها المُسلمُ- إلى

بَيتِ اللهِ الحَرامِ فعَظِّم شَعائِرَ اللهِ وعَظِّم حُرُماتِ اللهِ فهو خَيرٌ لكَ عندَ رَبِّكَ؛ قال الله ﷻ: ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا ﴾ أي نادِ في الناسِ أن يَقصِدُوا البيتَ، فسوف يأتون بعضهم يمشون على أقدامهم، ﴿ وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ ﴾ أي وبعضهم يأتون راكبين وَسائِلَ المواصلاتِ المُختَلفة، ﴿ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ﴾ أي من كُلِّ مكانٍ بعيد. وإذا ذَهَبتَ إلى الحَجِّ وَجَدتَ ذلك حَقًّا؛ وجدتَ أهلَ الجبالِ وأهلَ السُّهُول، وأهلَ المَشرِقِ وأهلَ المَغرِبِ، وأهلَ الشمالِ وأهلَ الجنوبِ، ووجدتَ الناسَ من كُلِّ لَونٍ، وعَرَفتَ أنَّ أمّةَ الإسلامِ إنّما هي أمّة قابلة لأن تَحتَضِنَ الخَلقَ أجمعين. ولكنَّ بعضَ الخلقِ آمَنَ وبعضُهم لم يُؤمِن، فصاروا أُمَّتَين: أمّة الدعوة، وأمّة الإجابة، فأمّة الإجابة هم الذين استجابوا لرسول الله ﷺ، وأمّة الدعوة هم سائرُ الناسِ أجمَعون. لا فَرقَ بينَ أبيَضَ وأسوَدَ، ولا فَرقَ بينَ عَرَبيٍّ وأعجَميٍّ إلا بالتَّقوى، إنّه النَّسَقُ المَفتوحُ، فلم يَجعَلِ اللهُ ﷻ الإسلامَ للعَرَب فقط، ولا لجيلٍ دونَ جيلٍ، ولا لجنسٍ دونَ جنسٍ، ولا لأُمّة دونَ أُمّة، ولا كَلَّفَ الرجالَ وحَرَمَ النِّساءَ مِنَ التَّكليفِ، بل عامَلَ الجميعَ مُعامَلة واحدة.

قال قتادة: لمّا أمرَ اللهُ ﷻ إبراهيمَ عليه السلام أن يؤذِّنَ في الناسِ بالحجِّ نادى: (يا أيها النّاسُ، إنَّ اللهَ ﷻ بَنى بَيتًا فحُجُّوه)، أي اقصدوه. وقال ﷺ: (مَن حَجَّ البَيتَ فلم يَرفُث ولم يَفسُق خَرَجَ مِن ذُنوبه كَيومَ وَلَدَته أُمُّه)[1]. إذن، فالحجُّ من مُكَفِّراتِ الذُّنوبِ، وإذا حَجَّ الحاجُّ فإنّه يَرجِعُ بصَفحة بَيضاءَ مع رَبِّ العالمين، فلو أذنَبَ ذنوبا بمقدار ما بينَ السَّماءِ والأرضِ، ولو أتى رَبَّه ﷻ بقَدرِ تُرابِ الأرضِ ذُنوبًا ثُمَّ جاءَه تائبًا لَغفَرَ له. فبالإضافة إلى أنّه -أي الحج- ركنٌ مِن أركانِ الإسلامِ، فهو أيضًا منفعةٌ للمؤمنِ بأن يَفتَحَ صفحةً جديدةً مع رَبِّه، يغفرُ اللهُ له ما تَقَدَّمَ مِن ذَنبه على ما كان، فيجبُ عليك أن تَعتَقِدَ أنّكَ في صفحة جديدة وأنَّ اللهَ قد غَفَرَ لكَ، وإلاّ تكونُ قد وَقَعتَ في الإثمِ، ومن أينَ يأتي الإثمُ؟ إمّا مِن أنّكَ تَتَشَكَّكُ في قُدرةِ اللهِ ﷻ، أو مِن أنّكَ لا تُوقِنُ أنَّ

(١) أخرجه البخاري (ج٢/٥٥٣ رقم ١٤٤٨) وفي (ج٣/١٠٢٦ رقم ٢٦٣٢) ط ابن كثير- اليمامة، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى (ج٩/٢١ رقم ١٧٥٨٣) ط دار الباز.

ربَّكَ رحيمٌ، وأنَّه واسعُ المَغفرة، أو من أنَّكَ تستكبرُ هذه الذُّنوبَ عندَ الله، فمهما فَعلتَ من ذَنب ووَفَّقَكَ اللهُ ﷻ للحَجِّ سواء أكان فَرضًا أم نَفلاً فاعلم أنَّكَ تَعودُ منه كَيَومَ وَلَدَتكَ أُمُّكَ.

ويُروى -وإن كان بسَنَد فيه مقال-: (أنَّ الكَعبةَ تُحشَرُ كالعَرُوسِ المَزفُوفة، وكُلُّ مَن حَجَّها مُتَعَلِّقٌ بأستارِها، يَسعُونَ حولَها حتى تَدخُلَ الجَنّة)، "كالعروس": أي أنَّ في الحَجِّ أو العمرة فَرحة، وبهجة وزينةٌ، وإدخالُ السُّرُور على الآخَرينَ، وكُلُّ مَن حَجَّها مُتَعَلِّقٌ بأستارِها، كلُّ هؤلاءِ الملايين الذين زاروها يَتَعَلَّقُونَ بها حتى تدخلَ بهم الجنةَ، كَشأن الملائكة الكرامِ الحافِّينَ حولَ العَرشِ إعلانًا لقَضيّة المسلمين: أنَّ هناك إلهًا، وأنَّه قد خَلَقَ الكَونَ، وأنَّنا نُؤمِنُ به ونَتَعَبَّدُ له، وأنَّنا نَدعُو النّاسَ إليه وإلى شَرعه الشَّريفِ المُنيفِ الذي يُخرِجُ الناسَ مِنَ الظُّلُمات إلى النُّورِ، وأنَّ معنا مِن فَضلِ الله ورَحمَته ومِن أسرارِ كَونه وعِبادَته ما يَحتاجُ إليه البَشَرُ في كُلِّ مكان، وإن تَقدَّمُوا في كلِّ مَجالٍ وأثارُوا الأرضَ وعَمَرُوها. نعم، لا يَكفينا في هذا الأمرِ الكلامُ والقَولُ اللسانيُّ والبَيانيُّ؛ لأنَّ الدَّعوة ينبغي أن تكونَ بالمَقالِ والحال، ولكن ينبغي ألاَّ نَيأسَ، وألاَّ نَنطَبعَ بما يقولون، أو أن نسيرَ إلى مَهالِكنا خلفَهم، بل ينبغي علينا أن نَعتزَّ بالله ﷻ ورسولِه ﷺ وأن نَعتزَّ بدِيننا.

إنَّ اللهَ ﷻ قد مَنَّ علينا بنَفَحات منه، ففي أشهُرِ الحَجِّ، يَتَهَيَّأ المسلمون في كافّة أَركانِ الأرضِ للذهاب إلى البَيت الحَرام، وهذا يُعَدُّ استجابةً لدَعوة أبينا إبراهيمَ عليه السلام قال تعالى: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيۡرِ ذِى زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِىٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴾، وكأنَّه صلّى الله عليه وعلى نبيِّنا يُدَرِّبُ الأُمّةَ من بعده على ما يُشبِه الجِهادَ، فالحَجُّ أو العمرة -رغمَ متاعبه وما يَتَحَمَّلُه المَرءُ فيه من مَشاقَّ وتكاليفَ- خَفيفٌ على القَلب تَهواه الأَنفُسُ. يقولُ ربُّنا من أَجلِ هذا الدُّعاءِ وهذا الأذانِ الإبراهيمِيِّين فليأتُوا، لماذا؟ ﴿ لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ ﴾، ففي الحجِّ أو العمرة مَنافعُ سواء

أكانت دنيويةً أم أخرويةً، قال تعالى: ﴿ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ فَكُلُواْ مِنْهَا ﴾ تمتّعٌ، سلامٌ، فُسحة، ﴿ وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴾ يتجمّلون ويتزيّنون ويحلقون رؤوسهم إلى آخرِ ما هناك من التّرقّي. ﴿ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ ﴾. فمنَ العبادة عبادةُ السّلامِ، عبادة فُسحة، عبادة عَطاءٍ ورَجاءٍ يَطلُبُ فيها الإنسانُ مِن ربّه ما يَرجُو، وكأنّه ليس فيها خوفٌ، بل كُلُّها رَجاءٌ.. فيها سَفَرٌ.. فيها انتقالٌ.. فيها تَجمُّعٌ.. فيها نفقةٌ، فيها وفيها وفيها، ممّا يُشبه الجهادَ إلا أنّها في السلام وفي الفسحة والرَّخاء، قال: ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾، الرِّجسُ يأباه الطَّبعُ وتَنفرُ منه النَّفسُ، ويأمُرُنا ربُّنا وهو يُطَهِّرُ أجسادَنا وأعراقَنا ويُطهِّرُ أفعالَنا وعَقائدَنا أن نَجتَنبَ المُظلمَ الرِّجسَ النَّجسَ فنَجتَنبَه. تكاليفُ في حدود الطاقة موافقةٌ للطَّبعِ. قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴾ (الحج: ٣٠)، ومن تعظيمِ حُرُماتِ الله وأولاها تَنـــزيهُه ﷻ عن الإشراك به رِجسًا منَ الأوثان، وتَنـــزيه بَيته وعِبادَته الكُبرى أن يَختَلطَ بها شَيءٌ مِن قَولِ الزُّورِ أو العَمَلِ به. وهذا وَقَعَت فيه الأُمّة؛ فهي تَقُولُ الزُّورَ لَيلَ نَهارَ، وهذا ليس مِن صِفات المسلمين ولا مِن صِفات الذين يَنصُرُهم الله نَصرًا عَزيزًا مُؤَزَّرًا قال تعالى: ﴿ فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ ۝٣٠ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ۝٣١ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ (الحج: ٣٠/٣٢)

الحج من الجهاد

الحجُّ جهاد؛ عن عائشة رضي الله عنها قالت: يا رسول الله، نرى الجهادَ أفضلَ العملِ؛ أفلا نجاهد؟ قال: "لا، لَكُنّ أفضَلُ الجهادِ حجٌّ مَبْرُورٌ"(١) فجعل رسولُ الله ﷺ الحجَّ جِهادَ النِّساءِ، وهو جهادٌ في نَفسه وإن يُسِّرَت حالُه.

فالحجُّ والعمرة ليس رحلةً سياحيّة، الحجُّ والعمرة رحلةٌ غُفرانيّة تُطلَبُ فيها المَغفرة مِنَ الله، وتُطلَبُ فيها الهِداية في الدُّنيا والنَجاةُ في الآخرة، وهناك هداية المكان، وهِداية الزَّمان، وهِداية الحالِ، تَتَّفِقُ كلُّ هذه وتؤيدك فيستجيبُ اللهُ دُعاءَكَ، فالحجُّ والعمرة مَهبِطٌ للرَّحَماتِ ومَوسمٌ للعِبادة، وهو فُرصة عَظيمة. فليَذهَبِ الذَّاهِبُ إليه على نِيّة الجِهادِ في سبيلِ الله؛ جهادِ النَّفسِ التي نَحتاجُ إليها في هذه الأيَّامِ ونحن نَدعُو اللهَ مِن قُلوبنا أن يَنصُرَنا وأن يُزِيلَ كَرْبَنا.

ومُثِّلَ الحَجُّ بالجِهاد في سبيلِ الله، ففي الجهاد نَفرة كما في الحجِّ نَفرة، وفيه إنفاقٌ كما في الحجِّ إنفاقٌ، وفيه تَجَمُّعٌ كما في الحجِّ تَجَمُّعٌ، وفيه إخلاصٌ كما في الحجِّ إخلاصٌ، ولكنَّه يزيدُ عنه أنَّ فيه المُكَلَّفَ يَجُودُ بنَفسه لله ﷻ ولا يَنظُرُ إلى مَنفَعة دُنيَويّة ولا إلى غَرَضٍ يَتَغيّاه ولا إلى عَرَضٍ قَريبٍ ولا إلى قَصدٍ مِن هذا كُلِّه، بل إنَّه يُرِيدُ وَجهَ الله، وهو -أي الجهاد- في أعلى مَراتبِ الجُودِ؛ لأنَّك تَجُودُ فيه بنَفسكَ مِن بعد أن جُدتَ بمالكَ وجُهدكَ، والذي يَتَقاعَسُ عن الحَجِّ مع القُدرة والإمكان إنَّما يَضيعُ عليه خيرٌ كثيرٌ، أمّا الذي يَقعُدُ عن الجِهادِ فإنَّه يَهلكُ مع الهالكين. الحج مَنفَعتُه تعودُ عليك، والجِهادُ إنَّما هو لشأنِ الأُمّة في حياتك وبعدَ مَماتك. ومن أجلِ ذلك ومن أجلِ تلكَ المُشابَهة فإنَّه عندما ماتَ الرَّجُلُ مُحرِمًا أمَرَ النبيُّ ﷺ أن يُدفَنَ في إحرامه وأن يَظَلَّ رأسُه

---

(1) أخرجه البخاري (ج١/٦٥٦ رقم١٧٥١) ط ابن كثير- اليمامة، وأخرجه مسلم (ج٢/٨٦٥ رقم ١٢٠٦) ط إحياء التراث العربي.

مَكشُوفًا حتىَ يُبعث يومَ القيامة مُلَبِّيًا (لبيك اللهم لبيك) [(١)] أي وكأنه يقول: إنَّني يا ربَّنا أَسعى إليك مُخلصًا لَكَ الدِّينَ ولَو كَرِهَ الكافِرُونَ.

فهيّا بنا -أيها المسلمون- نَنظُرُ إلى هذه العلاقة الكريمة بينَ الحَجِّ والعمرة والجهادِ في سبيله ﷻ، وكيف أنّنا إذا فَوَّتنا على أنفُسنا أمرَ الحجِّ أو العمرة وما شَرَعَه اللهُ لنا، وفَوَّتنا الوَحدةَ التي نَتغيّاها، وفَوَّتنا الجهادَ أيضًا فإنّه لا تَبقى لنا عزّة، لا، بل ولا مَكانة أبدًا، بل ولا وجودٌ، ويَتَحَكَّمُ فينا الأعداءُ ويُحيطُونَ بنا من كُلِّ مَكانٍ وهم ﴿ **لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلَا ذِمَّةً** ﴾ (التوبة: ١٠)، فعلى مَن كتب له اللهُ الحجَّ أنْ يجعلَها رحلةً تَتهيّأ بها نَفسُه للاستعداد للجهاد، وعلى مَن لم يَكتُبِ اللهُ له ذلك أن يَتهَيّا بالعبادة استعدادًا للجهاد، فهذه العَشرُ الأوائلُ أو التِّسعُ الأوائلُ من ذي الحجّة الحَرام ستَدخُلُ عليك فصُمها وعَوِّد نَفسَكَ على ذكرِ الله في تلكَ الأيّام المَعلُومات مُشارِكًا أهلَ الحجِّ ومُتَّبِعًا لهم، وابدأ سَنَتَكَ الجديدةَ وجَدِّد حياتَك فيها تَهيئةً للجهادِ في سبيلِ الله.

إنَّ الحجَّ دَرسٌ عَظيمٌ جَمَعَ اللهُ فيه العبادةَ كُلَّها والجهادَ. وقد ورد في حديث: "بُنيَ الإسلامُ على خَمسٍ" [(٢)]، وورد في رواية "على ستٍّ"، فجعلَ الجهادَ رُكنًا من أركانِ الإسلامِ، وجعلَه آخرَ المَطاف بعدَ الحَجِّ، وكأنَّ الحجَّ قد شَملَ كُلَّ شَيءٍ إلا الجهادَ، والجهادَ قد شَملَ كُلَّ شيءٍ. وإذا كانَ الحجُّ يُخرِجُ الحاجَّ من ذَنبِه كيَومِ وَلَدَته أُمُّه وفيه عُمُومُ المَغفرة للحُجّاجِ كما ثَبَتَ في السنة المشرَّفة المطهَّرة، فإنَّ في الجهادِ ليس بينَك وبينَ الجنة إلا أن تموتَ، وفَضلُ الشُّهَداء لا أُحَدِّثُكم عنه، يُنازِعُ كُلُّ إنسانٍ عندَما تَخرُجُ رُوحُه من جَسَده إلاّ الشهيدَ فإنَّ رُوحَه تَخرُجُ طاهرة مُطَهَّرة مُبَرّأةً ولا يُنازِعُ سَكَراتِ المَوت. الأَجَلُ واحدٌ، أنتَ مَيِّتٌ، إمّا في السَّريرِ وإمّا في الجهاد، الأجَلُ واحدٌ ولَكِن كيفَ المَوتُ؟ مَوتٌ فيه مُنازَعة يُشبِهُه بُكاءُ الصَّبيِّ عندَما يَلقى الدنيا أم موتٌ فيه كرامةٌ هو مَوتُ الشَّهادة.

---

(١) أخرجه البخاري (ج١/٦٥٦ رقم١٧٥١) ط ابن كثير- اليمامة، وأخرجه مسلم (ج٢/٨٦٥ رقم ١٢٠٦) ط إحياء التراث العربي.

(٢) أخرجه البخاري (ج١/١٢رقم ٨) ط ابن كثير- اليمامة، وأخرجه النسائي في المجتبى (ج٨/٢٩٥ رقم ٥٠٠١) ط مكتب المطبوعات الإسلامية.

وهكذا يُذَكِّرُنا الحجُّ عندما يدخلُ بأنَّنا أُمَّة، وأننا أصحابُ رسالةٍ، وأنَّ هذه الرسالةَ يجبُ علينا أن نُبَلِّغَها للعالمين، وأننا أهلُ سلامٍ ولكنَّنا نَعرِفُ كيف نُدافِعُ عن الحَقِّ بأرواحِنا وأنفُسِنا، مِن أجلِه ﷻ لا مِن أجلِ دنيا نَتَغَيَّاها ولا من أجلِ مالٍ نُحَصِّلُه.

والحجُّ جعلَه اللهُ جهادًا للنِّساءِ كما ذَكَرنا، حيثُ خَلَقَهنَّ على هَيئة لا تَسمَحُ بالقتالِ وخَفَّفَ عنهنَّ، وعلى الرغمِ مِن ذلك فقد قاتَلَتِ الصَّحابيّاتُ مِرارًا، قاتَلنَ حتى إنَّ أُمَّ سليم بنت ملحان كانت تُقاتِلُ عن رسولِ الله ﷺ وزَوجُها كان يُقاتِلُ أيضًا عن رسولِ الله ﷺ وأبلَت في ذلك البَلاءَ الحَسَنَ. فلم يَفرِضِ اللهُ الجهادَ إلا على الرِّجالِ في مَيدانِ الوَغى، لكنَّه فَرَضَه على كُلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ في مَيدانِ الحَياة.

فلنُرَبِّ أنفسَنا وأبناءَنا وبناتِنا على الجهادِ في سبيلِ الله، ولنُرَبِّ أنفسَنا قَبلَ الغَرغَرة ومَجيءِ المَوت، ولا تَقُل قد فاتَ العُمُرُ، فاللهُ قد وَهَبَ الإنسانَ قُدرة على التَّغَيُّرِ والتَّكَيُّفِ إلى أن يموتَ، ولذلك فهو مُحاسَبٌ، ومُطالَبٌ بأن يُغيِّرَ نَفسَه وأن يُجَدِّدَ حياتَه وأن يستقيمَ على الصِّراطِ المُستَقيم.

يقول ﷻ: ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾ (الحج:٧٨)

هذا دستورٌ لكَ أيُّها المسلمُ حتى لا تَضِلَّ بكَ الطُّرُقُ. جاهد في الله حَقَّ جهادِه، ثُمَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وآتِ الزَّكاةَ واعتَصِم بالله؛ ثلاثةُ أركانٍ كُلُّها عَمَلٌ، وليس فيها شيءٌ مِن مَتاهاتِ التَّفَلسُفِ والجِدالِ العقيمِ والمِراءِ السَّقيمِ. ينبغي علينا أن نَفعَلَ بجِدٍّ وعلى بصيرةٍ، أو لا نَفعَلَ شَيئًا من بابِ كَفِّ شَرِّنا وأذانا عن الأُمَّة. فلقد عَلَّمَنا اللهُ ربُّنا كيف نَعمَلُ، عَلَّمَنا اللهُ كيف نَتَحَرَّكُ.

فراجِع نَفسَكَ: إن كُنتَ تُقيمُ الصَّلاةَ فآتِ الزَّكاةَ، وإن كُنتَ لا تُقيمُها فأقِمها

على نَفسكَ وعلى أهلِ بَيتكَ وعلى مَن بعدَكَ مِنَ الناسِ آمرًا وناصحًا بها. وإن كُنتَ تُؤتي الزَّكاةَ فاعتَصِم باللهِ وَحدَه واذكُره ذكرًا كَثيرًا ﴿ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ (الجمعة: ١٠) اجعَل لِسانَكَ رَطبًا بذكرِ اللهِ، خَلِّ قَلبَكَ مِنَ الاعتمادِ عَلى أَحَدٍ سِواه، أخرِجِ السِّوى والأكوانَ مِن قَلبكَ واملأه باللهِ: اللهُ رَبُّ العالمين. إنَّ ذِكرَ اللهِ كَنــزٌ معنا ثَمينٌ، ونحن نُضَيِّعُه في كُلِّ يَومٍ، وفي كُلِّ لَحظة نَغفَلُ عنه ونُهمِلُ أمرَه. ولا حَولَ ولا قُوّةَ إلا باللهِ العَليِّ العَظيمِ. ولِسانُ الشَّرعِ والعَقلِ يُنادي بنا: أفَلا تَعقِلُونَ! أفَلا تُؤمِنُونَ! أفَلا تُبصِرُونَ! أفَلا تَتَدَبَّرُونَ!

فلنَنــزِع مِن أنفسنا الدنيا، فإن حصَّلناها بإذنِ اللهِ فبها ونِعمَت، وذلكَ فَضلُ اللهِ يُؤتيه مَن يَشاءُ واللهُ ذُو الفَضلِ العَظيمِ؛ وإن قَدَّرَ ربُّنا ألا تكونَ في أيدينا فلا تكُن في قُلوبنا.

فمَن مَكَّنه اللهُ مِنَ الحجِّ أو العمرةِ فليُبلغِ الناسَ بقَدرِ المُستَطاعِ أن يُوَحِّدُوا كَلمَتَهم، وأن يُقيمُوا الصَّلاةَ في أنفُسِهم، وأن يُؤتُوا الزَّكاةَ في أموالِهم وفي أقوامِهم، وأن يَعتَصِمُوا باللهِ ويَجعَلُوه هو المَولى وهو النَّصيرُ، فإن هم فَعَلُوا ذلكَ فإمّا أن يَنصُرَنا ربُّنا في الدنيا، وإمّا أن يَجتَبِينا عِندَه بعِزّةٍ وكَرامةٍ فيُدخِلُنا الجَنّةَ.

أسرار وآداب فى أعمال الحج والعمرة

أولا: من أسرار أعمال الحج والعمرة

بين الظاهر والباطن

لكُلِّ ظاهرٍ باطنٍ؛ والإنسانُ يجبُ عليه ألا يَقِفَ بالعِبادة عندَ ظاهرِها، فيُحسنُ الوضوءَ لكنَّه لا يُدرِكُ أسرارَه، ويُحسنُ الصلاةَ في استيفاءِ أركانِها وشُرُوطِها لكنَّه لا يُحقِّقُ مُرادَها، ويُحسنُ الصومَ في الإمساكِ عن الطعام والشراب لكنَّه لا يُحسنُه في آدابه والتَّعلُّقِ بأنوارِه، فكم يغفلُ الناسُ عن جوهرِ التَّكليفِ ومُراعاته بالرُّغمِ من أنَّه هو المقصودُ الأهمُّ مِنَ العبادة. وليست مراعاةُ الباطنِ كما يفعلُ أهلُ اللهِ هي الباطنيّة المَذمُومة.

والفَرقُ بينَ ما عليه أهلُ اللهِ مِن الصوفيّة المُتّبعة وبينَ الباطنيّة المُبتَدعة أنَّ الباطنيةَ تَكرُّ على الأصلِ بالبُطلان، وعلى الظّاهرِ بالإلغاء، وأمّا أهلُ اللهِ مِنَ الصُّوفيّة فهم يضُمُّونَ هذا إلى هذا، ويَعلَمُون أنَّ هذا الذي نُريدُه مِنَ الخُشُوعِ في الصَّلاة ومِنَ التَّأدُّبِ معَ اللهِ إنَّما هو مَقصُودُ العبادة، فلا بُدَّ مِنَ المُحافَظة عليها أوَّلاً، فلا يقولونَ بسقوطِ التَّكليف، ولا بانتهاء العبادة، ولا بالاكتفاء بالإشارة، ولا غير ذلك مِن كلامِ الملاحدة الذين أرادُوا أن يَهدِمُوا دينَ اللهِ، بل إنَّهم يَضُمُّون السِّرَّ إلى مُبتَدئه، والباطنَ إلى الظّاهرِ؛ فتَراهم يَتأدَّبُون في الوضوء، كَما أنَّهم يَتأدَّبُون في سائرِ العباداتِ حتى نَصِلَ إلى الحَجِّ الأكبَرِ الذي يَضُمُّ كُلَّ العباداتِ في دينِ الإسلامِ، مِن ذِكرٍ ودُعاءٍ وصَلاةٍ على النَّبيِّ ﷺ وكَفّاراتٍ ونُذُورٍ وصَلاةٍ وقراءةٍ وأدعيةٍ وغيرِ ذلك، ويَضُمُّ إلى ذلك كلِّه التَّلبيةَ والطَّوافَ والسَّعيَ والوُقُوفَ والرَّميَ والمَبيتَ وغيرَ ذلك مِن شَعائرِ الحجِّ.

و من ثم ،فللحجِّ والعمرة ظاهرٌ تُعنى به الأحكامُ الفقهية، ويُلازِمُ هذا الظّاهرَ باطنٌ قلبيٌّ يجب العناية به حتى نلقى الله تعالى بقلب سليم. فأحكام الحج والعمرة كلها أسرار واداب، جَمَعَ اللهُ فيها كلَّ العبادات وزادَ عليها،ونحن نحاول فى عجالة ان نطل على بعض من هذه الاسراروالاداب على النحو التالى.

اولا: قبس من الاسرار

من أسرار التوجه إلى بيت الله الحرام

إننا نتوجَّه في الحج والعمرة إلى بيت الله الحرام الذى هو مَحَلُّ نَظَرِ الله، فيه الصلاةُ بمائة ألف صَلاة، وفيه يُستَجابُ الدُّعاءُ ، مَن تَعَلَّقَ بأستارِه أو وَقَفَ عندَ ملتزمه فإنَّه يكونُ مُجابَ الدُّعاء، بَيتٌ النَّظَرُ إليه عبادة، وهذه أسرارٌ لا يعرفُها غيرُ المسلمين. فغيرُ المسلمين يَعتَقدُونَ أنَّها مُجَرَّدُ حجارة، والمسلمُ يَنظُرُ إليها وفي ذهنه ما يُروى عن رسولِ الله ﷺ في شأنِ الكعبة: "النظر إلى الكعبة عبادة"(١).

وعن الحسنِ البَصرِيِّ ﷺ -وهو من أئمّة التّابعين تَرَبّى في بَيتِ أمِّ سَلَمة رضي الله عنها-: (إنَّ صَدَقة درهَمٍ فيها بمائة ألف)، أي لو تَصَدَّقتَ وأنتَ في مَكّة فلَقيتَ فَقيرًا فأعطَيته شَيئًا فإنَّه يُحسَبُ لك بمائة ألف، (وكذلك كلُّ حسنة بمائة ألف)، يعني عندما تُصَلّي ركعتين فإنَّ أجرَهما يَعدل أجرَ مائتَي ألفِ ركعة؛ ويُقالُ إنَّ السيئاتِ تَتضاعَفُ بها كما تَتَضاعَفُ الحسناتُ؛ فلو أتيتَ بسَيِّئة فإنَّها تُحسَبُ عليك بسيِّئتَين، سيئة للذَّنبِ، وسيئةٍ لعَدَمِ احتِرامِكَ للمَكان.

وجمهور العلماءِ على أنَّ مكةَ أفضلُ مِنَ المدينة، وكثيرٌ منهم فَضَّلَ المدينةَ على مكةَ، وذلك للجوار الشريف، ولأنَّ النبيَّ ﷺ مع حُبِّه لمكّة فإنَّه رجعَ مع الأنصارِ وقال: "كيف أنتم والناسُ يذهبونَ بغنائمهم وتذهبون برسول الله" (٢)، ففضَّلَ المدينةَ على مكةَ عَمَلاً وفِعلاً، حتى انتَقلَ إلى جِوارِ الرَّفيقِ الأعلى فيها، فبُورِكَت به إلى يَومِ الدِّينِ.

وما بعدَ مكةَ بُقعة أفضَلَ مِن مدينة رسولِ الله ﷺ، هكذا يقولُ الإمام الغزاليُّ،

---

(١) الديلمي (٢٩٣/٤ رقم ٦٨٦٤).

(٢) أخرجه البخاري (١٥٧٦/٤ رقم ٤٠٨٢) ط ابن كثير، وأخرجه مسلم (٧٣٥/٢ رقم ١٠٥٩) ط إحياء التراث العربي، وأخرجه أحمد (١٥٧/٣ رقم ١٢٦٢٩) ط قرطبة، وأخرجه النسائي في الكبرى (٨٧/٥ رقم ٨٣٢٧) ط الكتب العلمية.

فالأعمالُ فيها أيضًا مُضاعفةٌ، قال رسول الله ﷺ: "صلاةٌ في مَسجدي هذا خَيرٌ مِن ألفِ صلاةٍ فيما سواه إلا المسجدَ الحرامَ"[١]؛ لأنَّ الحسنةَ فيه بمائة ألفٍ، وبعدَ مدينته ﷺ في الفضل تأتي الأرضُ المُقدَّسة: أي المَسجدُ الأقصى، فرَّجَ اللهُ عنه وحَرَّرَه، فإنَّ الصلاةَ فيه بخمسمائة صلاةٍ فيما سواه إلا المسجدَ الحرامَ، وما بعدَ هذه البقاعِ الثلاثَ فالمواضعُ في الفضل مُتساوية إلا الثُّغورَ؛ أي مدن الجهادَ في سبيلِ الله، وأماكنَ صَدِّ العُدوانِ ورَفعِ الطُّغيان؛ فإنَّ المُقامَ بها للمُرابَطة فيه فَضلٌ عظيمٌ. ولذلكَ قال ﷺ في شأنِ البَحثِ عن أفضَلِ الأماكنِ ومحاولةِ التماسِ البَركةِ والثَّوابِ فيها: "لا تُشدُّ الرِّحالُ إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرامِ ومسجدي هذا والمسجد الأقصى"[٢]، يَعني إذا أَردتَ تَكثيرَ الثَّوابِ فيجوز لكَ أن تَنتَقِلَ إلى هذه البلدانَ ابتغاءَ الثَّوابِ؛ فالمساجد بعدَ المساجدِ الثلاثةِ إنَّما هي مُتَماثلة في الثَّواب.

من أسرارُ الوقتُ

أي دُخُولُ أَشهُرِ الحَجِّ، وهي شوَّال وذو القَعدة، وذو الحجة، فعندما تُعلَنُ رُؤية هلالِ شوال فقد دَخَلَ وَقتُ الحَجِّ؛ فيجوزُ للإنسانِ حينئذ أن يُحرِمَ بالحَجِّ، فلَو أَحرَمَ قَبلَ المغربِ مِن آخرِ يَومٍ مِن رمضانَ، فلا حجَّ له.

قال بعضُ الصَّالحينَ: إذا تَقارَبَ الزَّمانُ يُسِّرَ على النَّاسِ ثلاثةٌ لعلهم يَهتَبِلُونَها: الحَجُّ والعِلمُ والوِلاية. اهـــ. ثلاثةُ أمورٍ تُيَسَّرُ: فالحجُّ بَدَلاً مِنَ استغراقِه شُهُورًا حتى يَصِلَ الحاجُّ إلى مكةَ وهو يسيرُ راكبًا الإبِلَ أصبَحَ الآنَ لا يَستَغرِقُ سوى ساعات قليلة، وأصبَحَ هناك الآن ما يُعرَفُ بـــ"الحج السريع"؛ وفيه لا تستغرقُ رحلةُ الحجِّ كاملةً أكثرَ من ثلاثةِ أيامٍ، إذن فالاختبارُ هو كَم مِنَ الحجيجِ يكونُ حجُّه مقبولاً، فيجبُ أن يكونَ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٩٨/١ رقم ١١٣٣) ط دار ابن كثير– اليمامة، وأخرجه مسلم (١٠١٢/٢رقم ١٣٩٤) ط إحياء التراث العربي بلفظ "أفضل" بدل "خير".

(٢) أخرجه البخاري (٣٩٨/١ رقم ١١٣٢) ط دار ابن كثير– اليمامة، وأخرجه مسلم (١٠١٥/٢رقم ١٣٩٧) ط إحياء التراث العربي بلفظ "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجدي هذا ومسجد الحرام ومسجد الأقصى".

قلبُكَ صافيًا وتُقاوِمَ نَفسَك وشَهَواتك، وتُخلصَ لله الدِّينَ؛ لأنَّه يَسَّرَ لك الحجَّ لهذه الدَّرَجة التي أفادَت جسمَكَ لكن ربما لم تُفِد نَفسَك وقَلبَك، ربما ثَقُلَت على نَفسِك لأنَّه يَجبُ عليك أن تَحمَدَ اللهَ ﷻ كثيرًا، فأوَّلُ آيات القرآن ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ أي أنَّ الأمرَ كُلَّه قائمٌ على حَمد الله تعالى على السَّراء والضَّرّاء وكافَّة أمورنا، أي إنَّ اللهَ مُستَوجِبٌ لِكُلِّ حَمد، وأنَّ كُلَّ الحَمدِ حَقيقَتُه أنَّه لله، وعَلامة قَبول الحجِّ أن تُخلصَ لله في نَفسك.

من أسرار الإحرام : التجرُّد والتَّرك

تَجَرُّدٌ يؤدِّي بنا إلى تَذَكُّر البدايات، وتَركٌ يُؤدِّي بنا إلى تَذَكُّر النِّهاياتِ كما ذَكَرنا، وبداياتُ طَريقكَ الله، يعني أنَّنا سَنَبدأ معَ الله، ونهاياتُ طريق الله أن يَفتَحَ علينا، ويُنَوِّرَ قُلوبَنا، ويُعِينَنا على ذِكرِه وشُكرِه وحُسنِ عبادته، ويَتَقَبَّلَنا عندَه، ويجعلَنا ممَّن يَعبُدُه كأنَّه يَراه.

إذن ففي الحجِّ والعمرة وأنت تَرتَدي ملابس الإحرامَ تَرتَديها بهذه النِّيَّة.

الخروج من العادة

كذلك أَخرَجَكَ مِن إلفِكَ: فأخرجك من ثيابك. لقد نظرَ بعضُهم إلى أنَّ الخروجَ منَ العادة عبادة؛ أي أنَّك تَرتَدي الملابسَ المُختَلفة وأُمرتَ بهذا اللباسِ ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ (الأعراف:٣١) فأخرَجَكَ في الحجِّ والعمرة من هذه العادة إلى لِباسٍ لم تألَفه، هذا يُذَكِّرُك ببداية مَجيئِكَ إلى الدُّنيا؛ فإنَّك تَجيءُ إليها من غَيرِ ملابسَ، إنَّما اللهُ ﷻ هو الذي جعلَ هناك عورةً يجبُ أن تُستَرَ وجَعَلَها في الرجالِ بينَ السُّرَّة إلى الرُّكبة، وجعلَها في النساءِ كُلَّ البَدَنِ إلا الوجهَ والكَفَّين، فهذه إشارةٌ للبداية.

إشارةٌ إلى النهاية

لأنَّه حين الدَّفنِ لا نَدفنُ المَيِّتَ عُرياناً معَ أنَّه كان مِنَ المُمكنِ أن يُقدِّرَ اللهُ خُروجَنا كدُخولنا، لكنَّه ﷻ كَرَّمَنا وجعلَ لنا ثيابًا، لكنَّ هذه الثيابَ تُشبه الإحرام، فالإحرامُ أثناءَ تَجَرُّدِك مِن ثِيابِكَ يُذَكِّرُك بالميلادِ ويُذَكِّرُك بأنَّ هذا الحَجَّ سيجعَلُك كيومِ ولدتك أمُّك،

ثمَّ يُذَكِّرُك بالنهاية بأنَّك ستعودُ إلى القبرِ من غَيرِ ملابسَ فيها جيوب، ويقولون عندنا في الأمثالِ الشَّعبيّة (الكفن ليس له جيوب)، فأنت تجري في هذه الدنيا كجري الوحوش ولن تَحصُلَ في النهاية إلا على الرزق الذي قَدَّرَه اللهُ لك، ولذلك قال ﷺ: "أيها الناسُ، اتقوا اللهَ وأَجملُوا في الطَّلَب؛ فإنَّ نَفسًا لن تَموتَ حتى تَستوفيَ رِزقَها وإن أبطأَ عنها، فاتَّقُوا اللهَ وأَجملُوا في الطَّلَب؛ خُذُوا ما حَلَّ ودَعُوا ما حَرُم"(١)، أي بألا تَتَكالَب على الدنيا، فإن الميِّتَ لا يأخذُ معه في قَبرِه إلا عملَه، فانظروا إلى مَن يَدَّخِرُ لِمَن بعدَه فكأنَّما باعَ دينَه -إذا كان قد أتى مِن غيرِ حِلِّه- بدُنيا غيرِه وخرجَ مِنَ الدنيا بلا شيء، فلن يُوضَعَ معه في قبرِه مالٌ ولا جاهٌ. فلا تُدخِل على نفسك إلا الحلالَ، ولو دخلَ شيءٌ حرامٌ استكثارًا وبَطَرًا فإنَّك سوف تَترُكُه بالموتِ الذي لا تَعلَمُ متى سيأتيك.

لبس البياض

ويُسَنُّ البَياضُ، يعني أنك لو ارتَدَيتَ غيرَه مِنَ الألوان فإنَّه يُجزئُ؛ إذ المُهمُّ أن تَتَخلَّصَ مِن كُلِّ مَخيط ومُحيط، لكن مِنَ السُّنَّة أن تَرتَديَ الأبيَضَ، وهذا يُذَكِّرُنا بأمورٍ: منها النَّقاءُ؛ لأنَّ البَياضَ يُضرَبُ مثلا للنَّقاء، والنَّقاءُ يُذكِّرُكَ بالتَّوبة وأنَّ الحجَّ ستُغفَرُ لكَ فيه الذُّنوبُ، وتَبدأ فيه نَقيًّا معَ الله؛ ومنها النُّورُ الأبيَضُ الذي هو ضدُّ الأسوَدِ والظلامِ، والأبيضُ الذي هو عنوانُ النُّورِ ما مَعناه، مَعناه أنَّك على بَصيرة؛ فإنَّكَ حينما تَحُجُّ فإنَّ اللهَ ﷻ يَجعَلُكَ على بَصيرة ويُذَكِّرُك بالثَّوابِ؛ لأنَّ اللهَ ﷻ يَجعَلُ وَجهَكَ أبيَضَ يومَ القيامة، فهذا يُذَكِّرُك بأنَّك تسيرُ مِنَ البداياتِ إلى النهاياتِ، بدايةِ الدنيا وبدايةِ طريقِ اللهِ وبدايةِ الكَونِ ميلادًا ووفاةً وهكذا.

من أسرار الطواف:

فيه حَرَكة تُذَكِّرُك بعبادة الملائكة وهي تَطُوفُ بالبَيتِ المَعمُورِ، وأنَّك تَتَشبَّه بعباد الله الصالحين؛ لأنَّ الملائكةَ من عبادِ الله الصالحين، وأنَّ اللهَ مَنَّ عليك فلم يَحرِمك شيئًا عَلَّمَه لملائكته، ففَتَحَ لك كُلَّ طريقٍ.

---

(1) أخرجه ابن ماجه (٧٢٦/٢ رقم ٢١٤٤) ط دار الفكر.

جعلَ ربُّنا ﷻ كلَّ شيءٍ يُسبِّحُ في مَجاله، فجَعَلَ الكَواكِبَ تَطُوفُ حولَ الشَّمسِ، وجَعَلَ الشَّمسَ تَطُوفُ حولَ (فيجا)، وجَعَلَ المَجرّة بحالها تَطُوفُ وتَتحَرَّكُ، وهكذا؛ فأنتَ تَطُوفُ كما طافت الكائناتُ وهي تُسبِّحُ ربَّها، وعلى ذلك فأنت تسيرُ في حركةِ الكَونِ، ولا تسيرُ ضدَّه؛ ولأنَّ الكعبةَ في شمالِ الأرضِ وليس في جنوبِها كما أوضَحنا مِن قبل، فتَجدُ نَفسَكَ تطوفُ كطوافِ حركةِ الماء، فالماءُ يَدُورُ بهذه الكَيفيّة في النِّصفِ الشَّماليِّ، فإذ بكَ تفعَل مِثلَما تفعلُ الكائناتُ في كلِّ شيءٍ؛ الكائناتُ الكبيرةُ والكائناتُ الصغيرةُ.

إذن أنت مع الكونِ، وأنت مع عبادِ اللهِ الصالحين، وهكذا يُذَكِّرُكَ الطَّوافُ بالبَيتِ بالحَرَكة، و(الحركة بركة) كما يقول الناس عندنا؛ فهل تَسكُنُ أم تَتحَرَّكُ في عبادتك لله؟ لا، بل تَتحَرَّكُ، هو الذي أمَرَكَ بالحَرَكة في الصلاةِ والزكاةِ والصيامِ والحَجِّ، وهكذا الحجُّ والعمرة يُكبِّرانُ لك الأشياءَ، ولذلك تَتَّضحُ لك فيه الحركة وأنت تطوف، والطوافُ ركنٌ مِن أركانِ الحجِّ والعمرة، أظهَرَ لك ما كان خَفيًّا، فحركتُك في الصلاة وأنت تَقفُ في مكانك، وحركتُك في الصيامِ يُمكنُ أن تكونَ بعَينَيكَ، تَتَرَقَّبُ الفَجرَ مثلاً، وبقلبك، فتُحَرِّكُ قلبَك في النيّة؛ لأنّه لا بُدَّ منَ النِّيّة قبلَ الفَجرِ؛ لكن كَبُرَت جدًّا في الحجِّ ووَضُحَت، ما كان خفيًّا مَستُورًا أصبحَ ظاهِرًا بيِّنًا، فالحركةُ في الطواف فيها أسرارٌ ظاهرةٌ وباطنة، مِنَ الأسرارِ الظّاهرة: استجابةُ الدُّعاءِ؛ لأنَّ هذا المَكانَ مَحَلُّ نَظَرِ الله، ومَحَلُّ مُضاعَفة الأعمالِ في الثّوابِ، فالمُصلّي والطّائفُ والذّاكرُ والدّاعِي والقارِئُ له مائةُ ألفٍ مِنَ الثّوابِ خاصّة في الصّلاة.

من أسرار الوقوف بعرفة

والوقوفُ بعَرَفة يَنقُلُك إلى بداية الخَلق؛ فإنَّ هذا المكانَ هو الذي عَرَفَ فيه آدمُ حَوّاءَ عندما نَزَلَ إلى الأرضِ، ولذلكَ سُمِّيَ بعرفةَ، وهنا بدأت الحياةُ على هذا الكَوكَب، وبدايةُ كُلِّ شيءٍ لا بُدَّ أن نَبدأ فيها بالله؛ ولذلك يقولُ رسولُ الله ﷺ: "كُلُّ أمرٍ ذي بالٍ لا يُبدَأُ فيه بـ[بسمِ الله] فهو أَقطَعُ"[١]، أو: "أَبتَرُ" أو"أجذَمُ" كما جاءَ في بعضِ الرِّواياتِ، فمعنى ذلك أنَّ اللهَ تعالى يُعَلِّمُنا أن نَبدأ بـ[باسمِ الله]، ولذلك نقول: [بسم الله] في بدايةِ الأكلِ والشُّربِ، وفي الجُلوسِ، وعندَ الانصرافِ، ونذكرُ اسمَ الله عندَ اللقاءِ [السلام عليكم]، وعند الانتهاءِ منَ الصلاة، وعندَ البدءِ فيها نَبدأ بـ [الله أكبر] ونُنهي بالسَّلامِ.. وهكذا، فلا بُدَّ أن تَبدأ حياتَك باسمِ الله؛ يعني: أن يَتعَلَّقَ قَلبُك بالله. الوقوفُ بعرفةَ يقولُ لنا ويُعَلِّمُنا: أنَّ بدايةَ هذه الحياةَ -إذا أَرَدتَ أن تَكُونَ مُستَقيمًا- يَجبُ أن تَكُونَ من هنا.

مِنَ الأسرار الباطِنة: التَّنَزُّلاتُ الإلهيّة

فالله ﷻ خَلَقَ هذا الكَونَ وأنزَلَ رَحمَته من دَرَجة إلى دَرَجة إلى دَرَجة كما وَرَدَ في الحديث: "إنَّ اللهَ إذا أَحَبَّ عبدًا دَعا جبريلَ فقالَ: إنِّي أُحبُّ فُلانًا فأَحبَّه، فيُحبُّه جبريلُ، ثُمَّ يُنادي في السَّماء: إنَّ اللهَ يُحبُّ فُلانًا فأَحِبُّوه، فيُحبُّه أَهلُ السَّماء، ثُمَّ يُوضَعُ له القَبُولُ في الأرضِ، وإذا أَبغَضَ عَبدًا دَعا جبريلَ فيقولُ: إنِّي أُبغضُ فُلانًا فأَبغضه، فيُبغضُه جبريلُ، ثُمَّ يُنادي في أهلِ السَّماء: إنَّ اللهَ يُبغضُ فُلانًا فأَبغضُوه، فيُبغضُونَه، ثُمَّ تُوضَعُ لَه البَغضاءُ في الأرضِ"[٢]. وهكذا مُسَلسَلٌ في تَنَزُّلاتٍ اسمُها تَنَزُّلاتُ الرَّحمة، واللهُ يَفتَحُ بما شاءَ على مَن شاءَ.

---

(١) ذكره العظيم آبادي (١٢٧/١٣) وقال: وهو حديث حسن.

(٢) أخرجه مسلم (٢٠٣١/٤ رقم ٢٦٣٧) ط إحياء التراث العربي، وأخرجه ابن حبان في صحيحه (٨٦/٢ رقم ٣٦٥) ط الرسالة بلفظ "إن الله إذا أحب عبدا نادى جبريل إني قد أحببت فلانا فأحبه قال فيقول جبريل لأهل السماء إن ربكم أحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء قال ويوضع له القبول في الأرض وإذا أبغض عبدا فمثل ذلك".

ثانيا: قبس من الاداب

ومِمّا يجبُ عليك أن تهتَمَّ به:

الكَسبُ الحلال

فيجبُ أن تَكسبَ مَواهِبَك في طريقِك إلى اللهِ مِن طريقٍ حلالٍ، مثلما يجب عليك أن تكسبَ المالَ مِن طريقٍ حلالٍ.

التوبة

ينبغي أن تَبدأ بالتَّوبة، والتوبةُ في طريقِ اللهِ هي أن تَتُوبَ عن كُلِّ ما سِوى اللهِ، والتوبةُ في الظّاهِرِ هي أن تَتُوبَ عن المعاصِي، أي أن تَترُكَ المعاصي، أمّا مع اللهِ فإنَّكَ تَترُكُ "السِّوى". ماذا يَعني "السِّوى"، يعني: ما سِوى اللهِ، إذن لا تَتَوكَّل إلا على اللهِ، ولا تُحبَّ إلا في اللهِ، ولا تُبغض إلاّ في اللهِ، ولا ترى الأشياءَ إلا باللهِ ولِلهِ، كما بَيَّن ذلك الرسول ﷺ فيما رواه عن رب العزة قال: "إنَّ اللهَ قال: مَن عادى لِي وَلِيًّا فقد آذَنتُه بالحَرب، وما تَقَرَّبَ إليّ عَبدي بشَيءٍ أَحَبَّ إليّ ممّا افتَرَضتُ عليه، وما يَزالُ عَبدِي يَتقَرَّبُ إليّ بالنَّوافِلِ حتى أُحبَّه، فإذا أَحبَبتُه كُنتُ سَمعَه الّذي يَسمَعُ به، وبَصَرَه الذي يُبصرُ به، ويَدَه التي يَبطُشُ بها، ورِجلَه التي يَمشي بها، ولَئن سَألَني لأُعطِيَنَّه، ولَئِن استَعاذَني لأُعيذَنَّه، وما تَرَدَّدتُ عن شَيءٍ أنا فاعِلُه تَرَدُّدي عن قَبضِ نَفسِ عَبدي المُؤمنِ، يَكرَهُ المَوتَ وأنا أَكرَهُ مَساءَتَه».[(١)]

هذا أوَّلُ الطريقِ. ومن هذه التوبةِ أن تَرُدَّ المَظالِمَ، وتَقضِيَ الدُّيونَ.

أن تُعِدَّ النَّفَقة لكُلِّ مَن تلزَمُك نَفَقَتُه إلى وَقتِ الرُّجُوع:

فلا يجوزُ لك التَّفرُّغُ للعبادةِ ولطريقِ اللهِ دون ذلك، فتُضيِّعَ بذلك مَن تَعُولُ. لا يصح ذلك.

---

(١) أخرجه البخاري (٥/٢٣٨٥ رقم ٦١٣٧) ط ابن كثير- اليمامة.

أن تَرُدَّ الوَدائِعَ وتَستَصحِبَ مِنَ المالِ الحلالِ الطَّيِّبِ ما يَكفِي الذَّهابَ والإيابَ:

حتى لا تَحتاجَ إلى غَيرِكَ، وكذلكَ طريقِ اللهِ لا بُدَّ فيها مِن عُلُوِّ الهِمّة، حتى لا تُضطَرَّ اضطِرارًا إلى مُعينٍ أو مُثيرٍ يُثيرُكَ إلى اللهِ ويُعينُكَ في الطَّريقِ إليه.

أن نختار الرفيق:

وقد قالوا: [الرفيقُ قبلَ الطريقِ]، وأعظمُ رفيقٍ وأجَلُّ صاحبٍ في السفرِ هو الله تعالى؛ فإن رسول الله ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجا إلى سفر كَبَّر ثلاثا ثم قال: "سبحانَ الذي سَخَّرَ لنا هذا وما كُنّا له مُقرِنين وإنّا إلى ربنا لَمُنقَلِبُون، اللهم إنا نَسأَلُكَ في سَفَرِنا هذا البِرَّ والتَّقوى ومِنَ العَمَلِ ما ترضى، اللهم هَوِّن علينا سَفَرَنا هذا واطوِ عَنّا بُعدَه، اللهم أنتَ الصّاحِبُ في السَّفَرِ والخَليفةُ في الأهلِ، اللهم إني أَعُوذُ بكَ مِن وَعثاءِ السَّفَرِ وكآبةِ المَنظَرِ وسُوءِ المُنقَلَبِ في المالِ والأهلِ والوَلَد"، وإذا رَجَعَ قالهنّ وزاد فيهنّ: "آيِبُون تائبُون عابدُون لربِّنا حامدُون"(1)، ثم إن ربك ﷻ يرافقك بذكره، ويحفظك إذا حفظتَه في نفسك وفكرك وقولك وفعلك؛ قال تعالى: ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ ﴾ (البقرة:١٥٣)، وقال: ﴿ إِنِّي مَعَكُمۡۖ لَئِنۡ أَقَمۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيۡتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرۡتُمُوهُمۡ وَأَقۡرَضۡتُمُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ ﴾ (المائدة:١٢).

ثم رفقة الصالحين الصادقين من شيخ معلم يمنحك من ميراث النبي ﷺ، أو من أخ يُذكِّرُك بالله ورسوله ويأمرك بمعروف وينهاك عن منكر، ولن تعدم في الناس خيرًا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ (التوبة:١١٩)، ﴿ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ۝٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴾ (طه:٣١/٣٢).

---

(1) أخرجه مسلم (٩٧٩/٢ رقم ١٣٤٢) ط إحياء التراث العربي.

وقبل أن تَخرُجَ مِنَ الدّار:

فينبغي إذا هَممتَ بالخروج أن تُصلّيَ ركعتَين، وحين تَنهَضُ مِن جُلوسِكَ تقولُ كما ورد في الحديث: "اللهم بكَ انتَشرتُ، وإليكَ تَوَجَّهتُ، وبكَ اعتَصَمتُ؛ أنتَ ثِقَتي ورَجائي؛ اللهم اكفِني ما أهَمَّني وما لا أهتَمُّ به وما أنتَ أعلَمُ به مِنّي، اللهمَّ زَوِّدني التَّقوى، واغفر لي ذَنبي ووَجِّهني إلى الخَيرِ حَيثُ ما تَوَجَّهتُ"(١).

فإذا وصلت إلى باب الدار تقول:

"بسمِ الله، تَوكّلتُ على الله، اللهم إنّا نَعُوذُ بكَ مِن أن نَزِلَّ أو نَضِلَّ أو نَظلِمَ أو نُظلَمَ أو نَجهَلَ أو يُجهَلَ عَلَينا"(٢)، وكان عليه الصلاة والسلام يقول: "اللهم إنّي لم أخرُج أشَرًا ولا بَطَرًا ولا رِياءً ولاَ سُمعة، وخَرَجتُ اتِّقاءَ سَخَطِكَ وابتغاءَ مَرضاتِكَ، فأسألُكَ أن تُعيذَني مِنَ النّارِ وأن تَغفِرَ لي ذُنوبي إنّه لاَ يَغفِرُ الذُّنُوبَ إلاّ أنتَ"(٣).

من آداب الإحرام:

معنى الإحرام أنّك تَنتقِلُ مِن دائرةِ الحِلِّ إلى دائرةِ المَنعِ، ومِن الإلفِ والعادة إلى العِبادة. ومِن آدابِ الإحرامِ

١- أن يَغتَسِلَ الحاجُّ أو المُعتَمِرُ ويَنوِي به غُسلَ الإحرامِ.

٢- أن يُفارِقَ الثِّيابَ المَخيطة ويَلبَسَ الرجلُ ثَوبَي الإحرامِ. (ومعنى ذلك أن تَخرُجَ مِنَ القُيُودِ إلى الرَّبِّ المَعبُودِ)، وأن يَصبِرَ بعد لِبسِ ثِيابِ الإحرام حتى تَنبَعِثَ به

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٢٥٠/٥ رقم ١٠٠٨٦) ط الكتب العلمية، وأخرجه أبو يعلى في مسنده (١٥٩/٥ رقم ٢٧٧٠) ط المأمون للتراث، وأخرجه الشهاب في مسنده (٣٤٥/٢ رقم ١٤٩٧) ط الرسالة.

(٢) أخرجه الترمذي (٤١٩/٥ رقم ٣٤٢٧) ط إحياء التراث العربي، وأخرجه أحمد (٣٠٦/٦ رقم ٢٦٦٥٨) ط قرطبة.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٢٥٦/١ رقم ٧٧٨) ط دار الفكر، وأخرجه أحمد (٢١/٣ رقم ١١١٧٢) ط قرطبة.

راحلَتِه (أو سيّارتُه) إن كان راكبًا، أو يَبدأ بالسَّيرِ إن كان راجلاً بلا عجلة، قالوا: لا تَتَعجَّلِ الوصولَ، وإنَّما دَع ذلكَ للهِ، هو يَبدأ بك، وهو الذي ينتَهي بك في الطَّريقِ.

٣- ويُستَحَبُّ تَجديدُ التَّلبيةِ في دوامِ الإحرامِ، أي دوام الذِّكرِ؛ قال ﷺ: "لا يَزالُ لِسانُكَ رَطبًا بذِكرِ اللهِ"(١).

من آداب دخول مكة:

مكةُ حَرَمُ اللهِ المنيعِ، وبيتُه المُطَهَّرِ، وفيها مُنتَهى الإحرام، وبدايةُ الحج والعمرة، وهكذا مراحلُ الطريقِ بعضُها يأخذُ برِقاب بعضٍ إلى أن تَصلَ إلى مَقصُودِك ومُنتَهاك مِن طاعةِ اللهِ مَولاك ﷻ. فإذا دَخلتَ مكةَ فيُستَحَبُّ لك:

١- أن تغتسلَ لدخولها. وفي الطريقِ إلى اللهِ لا بد لكَ مِن مَزيدِ التَّطَهُّرِ ودوامه بكَثرة الاستغفارِ والتوبة: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (البقرة:٢٢٢).

الطواف:

إذا أرادَ المسلمُ افتِتاحَ الطَّوافَ للقُدُومِ أو لغَيرِه؛ فينبغي أن يُراعِيَ أمورًا ستَّة:

أولها- الطهارة والسِّتارة، والطهارة هذه تُساعدُ الإنسانَ في الطَّريقِ، إذ الوُضُوءُ سِلاحُ المُؤمنُ وبرهانٌ ونورٌ وسلامٌ، لأَجلِ أن يكون مُستَعدًّا دَومًا؛ وعمودُ هذا الطريقِ طاعةُ اللهِ، وعمودُ طاعةِ اللهِ الصلاةُ، والطوافُ بالبَيتِ صلاةٌ، فيها الطهارةُ في البَدَنِ (مِنَ الحَدَث، ومِنَ الخَبَثِ)، وفي المكانِ، وفي اللباس، وفيها السِّتارة أي سَترُ العَورة، والإنسان المؤمن ينبغي أن يَستُرَ عَورَتَه حتى في خَلَواته.

الثاني- الاضطباع للرجل في طواف القدوم، بأن يَجعَلَ وَسَطَ ردائه تحت إبطه الأيمن ثم يلقيَ طَرَفَيه على كتفه الأيسر، ثم ليَجعَلِ البيتَ عن يسارِه ولِيَبدَأ من عندِ

---

(١) أخرجه الترمذي (٤٥٨/٥ رقم ٣٣٧٥) ط إحياء التراث العربي، وأخرجه ابن ماجه (١٢٤٦/٢ رقم ٣٧٩٣) ط دار الفكر، وأخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٦٧٣/١ رقم ١٨٢٢) ط دار الكتب العلمية.

الحَجَرِ الأسوَدِ، فإنَّه عندما يطوفُ والبيتُ عن يَسارِه يكونُ مُتَشَبِّهًا بالملائكة، إذن الطريقُ مُؤَسَّسٌ على التَّشَبّهِ بعباد الله تعالى الذين لا يَمَلُّون من عبادته، ولا يُخالِفُون أمرَه.

الثالث- أن يقولَ قبلَ مُجاوَزة الحَجَرِ الأسوَدِ بل في ابتداءِ الطَّوافِ: "بسم الله والله أكبر، اللهم إيمانًا بكَ، وتَصديقًا بكتابك، ووَفاءً بعَهدك، واتِّباعًا لسُنَّة نَبيِّك مُحَمَّد"، ثم يطوفُ.

الرابع- أن يرمُلَ في الطَّوفات الثلاث الأولى، ويَمشي في الأربَعة الأُخَرِ على الهَيئة المُعتادة.

الخامس- إذا تمَّ الطَّوافَ سَبعًا فليأتِ المُلتَزَمَ وهو بينَ الحَجَرِ الأسود وبابِ الكعبة، وهو مَوضعٌ لاستجابةِ الدُّعاء.

إذن فقد فَضَّلَ اللهُ بعضَ الأوقاتِ على بعضٍ، وبعضَ الأماكنِ على بعضٍ، وبعضَ الأشخاصِ على بعضٍ، وبعضَ الأحوالِ على بعضٍ، فليُراعِ الحاجُّ سالكُ الطَّريقِ ذلكَ كُلَّه في طَريقه إلى الله، وليَلتَمسِ الأوقاتَ الشَّريفة، والأماكنَ الشريفةَ، والأشخاصَ الشريفةَ ويَسألهمُ الدُّعاءَ، والأحوالَ الشريفةَ فيَدعو عندها، كنـــزولِ المَطَرِ، وكالبَيتِ الحَرامِ، وكالوقوفِ أمامَ قَبرِ سيِّدِنا محمد ﷺ.

السادس- إذا فرغ من ذلك ينبغي أن يأخذ طريقه إلى خلف مقام سيدنا إبراهيم وهو يقول: ﴿ واتَّخذُوا من مَقامِ إبراهيمَ مُصَلًّى ﴾ ويُصَلِّي خَلفَ المَقامِ ركعتين؛ وهما رَكعَتا سنة الطواف؛ وذلك إعلانًا لتوحيدِ الله على مِلّة إبراهيمَ عليه وعلى نبينا الصلاةَ والسلام﴿ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾ (النساء: ١٢٥).

السعي:

إذا فَرَغَ مِنَ الطَّوافِ فليَخرُج مِن بابِ الصَّفا، ثُمَّ يَسعى بينَه وبينَ المروةِ سبعَ مَرّات. والطَّهارة مُستَحَبّة للسَّعي وليست واجبة، أي أنَّ مَن طافَ بينَ الصَّفا والمَروة - أي سَعى بينهما- فلا يَجبُ عليه أن يكونَ مُتَطَهِّرًا أو مُتَوَضِّئًا؛ فيجوزُ للحائضِ ويجوزُ للجُنُبِ أن يَسعَيا بينَ الصَّفا والمروةِ ويُتِمّا نُسُكَهما، ويُستَحَبّ أن يُهَلِّل ويَحمَد ويُكَبِّر عند كل رُقِيٍّ منه للصفا أو المروة، ويدعو بما شاء من خيرَي الدنيا والآخرة، ويكرر ذلك ثلاثا، ويجعل سعيَه بين العَلَمَين الأخضَرَين أشَدَّ، بأن يُهَرول بينهما، هذا إذا كان رجلا، أما المرأة فلا هَرْوَلَةَ لها.

في الوقوف بعرفة وما قبله:

إذا انتَهى إلى يَومِ عرفةَ وذهبَ إلى عرفات فقد بَلَغَ المَبلَغَ وارتَقى الذروةَ، ووصلَ إلى يومِ تحقيقِ المِنحة ورَفعِ المِحنة واجتماعِ الأمةِ وانكشافِ الغُمّة.. يومِ غُفرانِ الذُّنوبِ ومَحوِ الخَطايا، يومِ القبولِ والوصولِ. فليُسلِم إلى الله تعالى عَقلَه وقَلبَه، وليُكثِر من ذِكرِه وشُكرِه، واستِغفارِه واستِعفائه، والتَّلبية والتَّهليلِ والدعاءِ وقراءةِ القرآنِ بكلِّ ما تَيَسَّرَ له. تَقَبَّلَ اللهُ مِنّا ومِنكم.

ومن دقائق الآداب:

١- أن تَكُونَ النَّفَقة مِن حَلالٍ -كَما أسلَفنا- بما يعني أنَّ الحجَّ والعمرة ليس إثباتَ حالةٍ لِيُقالَ الحاجُّ فلان، بل لا بد للإنسانِ عندما يُريدُ أن يَخرُجَ مِن ذُنُوبه، ومِن دائرةِ المَعصِية إلى دائرةِ رِضا اللهِ، ويَذهَبَ إلى الحَجِّ لا بد عليه أن تَكُونَ النَّفَقة التي يَخرُجُ بها مِن حَلالٍ.

٢- وأن تَكُونَ الهِمَّة مُجرَّدةً لله تعالى وتَعظِيمِ شَعائِرِه ﷻ؛ لأنَّه ﴿ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ (الحج:٣٢).

٣- من حجَّ أو اعتمر عَن غيرِه: فيَنبَغِي أن يكونَ قَصدُه زيارةَ بيتِ الله تعالى والتَّمتُّعَ بالنَّظَرِ إليه؛ فإنَّ النَّظَرَ إلى الكَعبة عبادة، ولِمَن نظرَ إلى الكعبة دعوةٌ مستجابةٌ، فلا بد وإن كان يحجُّ أو يعتمر عن غيرِه أن يَقصدَ التَمتُّعَ بما هنالكَ مِنَ قُدسٍ قد جعلَه اللهُ ﷻ رحمةً للمؤمنين، ويَقصدُ أيضًا معاونة أخيه على فعلِ الخيرات بإسقاطِ الفَرضِ عنه لا أن يتَّخذَ ذلك مَكسَبة مادِّيَّة، يعني: لا ينظر إلى ما سوف يُحصِّلُه مِن فوائدِ الدنيا كالأجرِ الماديِّ الذي يأخذُه، أو كأن يجلبَ معه شيئًا مِنَ التجارة في ذهابه وإيابه، فيبيعُ هناك ويبيعُ هنا، بل يكونُ قصدُه هو الزيارةَ، ويكونُ قَصدُه هو المُعاوَنة لأخيه.

٤- وأن يَتَوسَّعَ في الزّادِ وطيبِ النَّفسِ بالبَذلِ: فيَتَوَسَّعُ فيما يَحملُه مِن زادٍ، لأجلِ الرفقة في الطريق؛ فقد يحتاجُ أخٌ له شيئًا من الزّادِ أو المَتاعِ، وذلك مِن غيرِ تَقتيرٍ أو إسرافٍ، بل على الاقتصادِ. وبَذلُ الزّادِ في طريق الحج نفقةٌ في سبيلِ الله ﷻ، وكذلك حينَ تُنفقُ على الحجيجِ أو المعتمرين معك في أثناءِ الحجِّ أو العمرة، قال ابن عمر رضي الله عنهما: مِن كَرَمِ الرَّجُلِ طيبُ زادِه في سَفَرِه.

٥- وتَركُ الرَّفَثِ والفسوقِ والجدالِ: والرَّفَثُ: اسمٌ جامعٌ لكُلِّ لَغوٍ وفُحشٍ مِنَ الكَلامِ، والفسقُ: اسمٌ جامعٌ لكُلِّ خروجٍ عن طاعةِ الله، والجِدالُ: المُبالَغة في الخُصُومة مِمَّا يُورِثُ الضَّغائن ويُناقِضُ حُسنَ الخُلُقِ.

٦- **وأن يَجتنبَ زِيَّ التَّرَفِ والتَكَبُّرِ**: لأنَّ الحجَّ والعمرة مَبنيَّان على الانخلاعِ منَ المُعتاد، ولذلك عليه أن يَتواضَعَ ولا يلبسَ أثناءَ الحجِّ ما يُمَيِّزُه عن غيرِه أو يَتَعالى به من رفيعِ الثيابِ بما يَجعَلُه مُتَميِّزًا، إلا إذا كان ذلك لغَرَضٍ شَرعِيٍّ صحيحٍ، وكان العزُّ بن عبد السلام يَحُجُّ فرأى رَجُلاً يُخطِئُ في مَنسَكه فنَصَحَه، فأبى الرجلُ النصيحةَ وظَنَّه منَ العوامِّ وأنَّه يتكلَّمُ فيما لا علمَ له به، فاضطُرَّ العزُّ إلى أن يذهَبَ ويلبسَ زِيَّ العُلَماءِ وأتاه فنَصَحَه فقَبِلَ نصيحتَه؛ فالعزُّ هنا لَبِسَ لوَجهِ اللهِ لأجلِ أن يُنقذَ هذا الرجلَ من فَسادِ النُّسُكِ الذي يُؤَدِّيه. وينبغي ألا يَميلَ الإنسانُ هناك إلى أسبابِ التفاخرِ والتكاثُرِ فيُكتَبَ في ديوان المتكبِّرين والعياذُ باللهِ تعالى، ولا يَدخُلُ الجَنَّةَ مَن كان في قلبه مثقالُ حَبَّةٍ من خَردَلٍ مِن كِبرٍ، ويخرجَ عن حِزبِ الصّالحين، فالحجُّ والعمرة مَبنيّان على التَّواضُعِ والزَّهادةِ في الدُّنيا، وليسا مَبنيَّين على التَّفاخُرِ والتكاثرِ والكِبرِ فيما بيَّنا.

٧- **وأن يتقرَّبَ بذبحٍ**: ما تيسَّر مِن سَمينِ النَّعَمِ ونَفيسِه، وإن لم يَكُن واجبًا عليه.

٨- **وأن يكون طَيِّبَ النَّفسِ**: بما أنفَقَه مِن نَفَقَةٍ وهَدي وبما أصابَه في ماله أو بَدَنِه، فله بكلِّ أذًى احتَمَلَه وخُسرانٍ أصابَه -إن احتَسَبَ- ثَوابٌ، فلا يَضيعُ منه شيءٌ عندَ اللهِ.

ويقال: من علامة قبولِ الحجِّ تَركُ ما كان عليه مِنَ المَعاصِي. أي كيف تعرفُ أنَّ حجَّك قد قُبِل؟ حينما ترجعُ وتَجدُ نَفسَك زاهدًا في المَعاصي؛ لأنَّ الحَجَّ الذي قد غَفَرَ اللهُ فيه الذُّنوبَ جَعَلَكَ في صفحةٍ بيضاءَ، وهذه الصفحةُ البيضاءُ تُضادُّ الذنبَ وتكرهُه وتأباه ولا تَستلذُّ به، فإذا عَرَضَ عليها بوَسوَسة نَفسٍ أو شَيطان فإنَّها تَبعُدُ عنه ويَحدُثُ لها اشمئزازٌ مِنَ الذَّنب فلا تَقَعُ فيه، ومِن هذا يَتَبَيَّنُ لَنا أنَّ اللهَ قد رَضِيَ عنّا بحَجِّنا، أو أنَّه قد قَبِلَ هذا الحجَّ.

طريق الاعتبار بأسرار الحج والعمرة وأعمالهما

في كلِّ واحدٍ من أعمالِ المناسكِ تذكرة للمُتذكِّرِ، وعبرة للمُعتبِرِ، إذا انفتَحَ بابُها انكَشَفَ لكُلِّ خارجٍ من أسرارِها ما يَقتضيه صَفاءُ قَلبه وغزارة فَهمه، وأنتَ تَطُوفُ تَجدُ نَفسَكَ قد فَهِمتَ حكمةَ الطَّوافِ، وهناك مَن لم يَفهَمه، فإن فَهِمتَه فهذا فَتحٌ مِنَ اللهِ مَنَّ به عليكَ، وهذا ما يُسَمّى بالوارداتِ.

ولقد شَرَّفَ اللهُ البيتَ العتيقَ فأضافه إلى نَفسه، سَمّاه "بيتَ الله" فأضافَه إلى ذاته الجليلة ونَصَبَه مَقصدًا لعباده، وجعلَه رِحلةً، يعني: يُرحَلُ إليه مِنَ الآفاقِ، وجعلَ ما حَوالَيه حَرَمًا لبَيته تَفخيمًا لأمرِه، وأكَّدَ حُرمة الموضعِ بتَحريمِ صَيده وشجره، ووَضَعَه على مِثالِ حَضرة الملوك يَقصدُه الزُّوّارُ مِن كُلِّ مكانٍ، ومِن كُلِّ فَجٍّ سَحيقٍ، شُعثًا غُبرًا مُتواضعينَ لرَبِّ البَيتِ خُضُوعًا لجَلاله ﷻ، ثُمَّ الاعترافُ بتنـــزيهه عن أن يَحويَه بيتٌ أو أن يَكتَنِفَه بَلَدٌ، ليَكُونَ ذلك أَبلَغَ في رِقِّهم وعُبوديَّتهم، وأَتَمَّ في إذعانِهم وانقيادِهم.

وفي الإحرام والتلبيةِ إجابةٌ لنداءِ اللهِ ﷻ، وفي دُخُولِ مَكّة تَذكِرة الانتهاءِ إلى حَرَمِ اللهِ ﷻ، وفي مُشاهَدَة البَيتِ واستحضارِ عَظَمَته في القَلبِ مُشاهَدة لرَبِّ البَيتِ واستحضار لعظمته تعالى؛ لشِدّة تَعظيمه إيّاه، وفي الطوافِ بالبيتِ تَشَبُّهٌ بالملائكة المُقرَّبين الحافّينَ حَولَ العَرشِ الطّائفينَ به، وليس المَقصُودُ طَوافَ الجسمِ، بل طَوافُ القَلبِ بذِكرِ الرَّبِّ، وأنتَ تَطُوفُ فليس جسمُكَ الذي يطوفُ، بل قَلبُكَ الذي يَطُوفُ.

وفي التَّعلُّقِ بأستارِ الكَعبة والالتصاقِ بالمُلتَزَم طَلَبُ القُربِ حُبًّا وشَوقًا للبَيتِ ولرَبِّ البيتِ، وتَبَرُّكًا بالمُماسّة، وبالإلحاحِ في طلبِ المغفرة وسؤالِ الأمان كالمُذنبِ المُتَعلِّقِ بثيابِ مَن أذنَبَ في حقه المُتضَرِّعُ إليه في عَفوِه عنه المُظهِرِ له أنَّه لا مَلجأ منه إلا إليه ﷻ، وأنَّه لا يُفارِقُ ذَيلَه إلا بالعَفوِ عنه.

وفي السَّعيِ بينَ الصَّفا والمَروة مُضاهاةُ تَرَدُّدِ العَبدِ بفِناءِ المَلِكِ جائيًا وذاهبًا مَرّة

بعدَ أُخرى؛ إظهارًا للخُلوصِ في الخدمة، ورَجاءً للمُلاحَظة بعَين الرَّحمة، كالذي دَخَلَ على المَلِك، وخَرَجَ وهو لا يَدري ما الذي يَقضِي به المَلِكُ في حَقِّه من قَبُولٍ أو رَدٍّ، فلا يَزالُ يَتَرَدَّدُ على فِناءِ الدّارِ مَرّةً بعدَ أُخرى يَرجُو أن يَرحَمَ في الثّانِيةِ إن لَم يَرحَم في الأُولى.

وفي الوُقُوفِ بعرفةَ ورُؤية ازدِحامِ الخَلقِ وارتِفاعِ الأصواتِ باختلافِ اللغاتِ تَذكُّرُ اجتِماعِ الأُمَمِ في عَرَصاتِ القيامة، وتَحيُّرِهم في ذلك الصَّعيدِ الواحدِ بينَ الرَّدِّ والقَبُولِ، في تَذكُّرِ ذلك إلزامُ القلبِ الضَّراعةَ والابتهالَ إلى الله ﷻ، ورَجاءَ الحَشرِ في زُمرة الفائزين المرحومين، وتحقيقِ الرجاءِ بالإجابة. فالموقفُ شريفٌ، والرحمةُ إنما تَصلُ من حَضرة الجَلالِ إلى كافّة الخَلقِ بواسِطة القُلُوبِ النَّقيّة.

إذن فكلما زادَ الصالحون في الحجِّ كلما نُوِّرَ الحجُّ، وازدادَ ذِكرُه وأَثَرُه في القلوبِ؛ وكلما ازدادَ الفُسّاقُ كلما قَلَّ ذلك.

فإذا اجتَمَعَت هِمَمُهم وتَجرَّدَت للضَّراعة، وابتَهَلَت قلوبُهم، وارتَفَعَت إلى الله أيديهم، وامتَدَّت إليه أعناقُهم، وشَخَصَت نَحوَ السَّماءِ أبصارُهم، مُجتَمِعينَ بِهِمّة واحِدة على طَلَبِ الرَّحمة فلا تَظُنَّنَّ أنّه يُخَيِّبُ أمَلَهم، أو يُضَيِّعَ سَعيَهم، أو يَدَّخِرُ عنهم رحمتَه ﷻ، بل إنّه يستجيبُ لهم، ويَعفُو عن العاصِينَ بالصّالِحِينَ، وذلك برَحمَته الواسِعة.

وفي رمي الجِمارِ انقيادٌ للأَمرِ، وإظهارٌ للرِّقِّ والعُبوديّة، وقَصدُ رميِ الشيطان وقَصمِ ظَهرِه. وفي زيارةِ المدينةِ ومُشاهَدة مَشاهدِها تَذكُّرُ أنّها البلدةُ التي اختارَها الله لِنَبيِّه ﷺ، وجَعَلَ إليها هجرَتَه، وأنّها دارُه ﷺ التي شَرَّعَ فيها فَرائضَ رَبِّه ﷻ، وسُنَنَه عليه الصلاة والسلام، وجاهَدَ عَدُوَّه وأَظهَرَ بها دينَ الله إلى أن تَوَفّاه الله ﷻ، فجَمَعَت أفضَلَ خَلقِ الله حَيًّا ومَيِّتًا ﷺ.

هذه إشاراتٌ لبعضِ ما يَفتَحُ اللهُ تَعالى به على الطّائفينَ والعاكفين والرُّكَّعِ السُّجُودِ في بيت الله الحرام، هذه إشاراتٌ، والخيرُ لا يَنتهي ولا يَنحَصِرُ، وكُلُّ شَخصٍ

يُفتَحُ له ما لا يُفتَح لغيرِه، ويَفهَمُ ما لا يَفهَمه غَيرُه، وقد يُدَّخَرُ له شيءٌ لا يَعلَمُه الأوَّلُونَ ولا الآخِرون؛ وكُلُّ ذلك بفضلِ الله الذي يؤتيه مَن يَشاء، والله ذو الفَضلِ العَظيم، لا يَتألَّى عليه أحَدٌ، ولا يَمنَعُ ذلكَ الفتحَ مِنَ البَشَرِ أحدٌ عن بَشَرٍ آخَرِين، وقد نَظُنُّ الإنسانَ عاصيًا ومُوغِلاً في المَعصية فإذا به مَقبُولٌ عندَ الله بإذنِ الله، لأنَّه تعالى هو الذي يَهدي، وهو الذي يَفتَحُ، وهو الذي يُعطِي، والأمرُ كُلُّه بيَدَيه ﷻ.

وليس لنا إلا أن نعتقِدَ أنَّنا مِن أضعَفِ الخَلقِ، ونَعتَقِدُ النّاسَ أفضَلَ منّا، فإنَّ وَلِيَّ الله قد اختَفى في النّاسِ كاختفاءِ ليلة القَدرِ في العشرِ الأَواخرِ من رمضانَ، فإيّاكَ أن تَتَكَبَّرَ أو تَتَعالى على أَحَد بفعلِكَ أو بطاعَتِكَ، فإنَّ هذه الطاعةَ إنَّما هي مَخلُوقة لله ﷻ، والله ﷻ هو الذي خَلَقَها فيكَ، وهو الذي وَفَّقَكَ لعبادَتِه وإن شاءَ سَلَبَها. نَسألُ الله السَّلامة.

القسم الثاني

رحلـــة

الحج والعمرة وأحكامهما

إنَّ مِنَ الخَصائصِ العالية لهذا الدِّينِ الحَنيفِ أنَّه ملَّة جامعة؛ جَمَعَت بينَ مُمَيِّزاتِ سائرِ الرِّسالاتِ الإلَهيَّة؛ وهَيمَنَ كتابُها على الكتابِ كُلِّه، وفُضِّلَ نَبيُّها على الخَلقِ كُلِّهم، وجَمَعَت بينَ حُقُوقِ الإله ﷻ وما تَفَضَّلَ به على الإنسانِ مِن حَقٍّ؛ ففيها كَمالُ "الإلهيِّ" وكمالُ "الإنسانيِّ"، وجَمَعَت فيما هو إنسانيٌّ بينَ مُراعاةِ الحالِ واعتبارِ المآلِ، وبينَ الدُّنيا والآخرةِ، وبينَ أشواقِ الرُّوحِ ومُتَطَلَّباتِ الجَسَدِ، وبينَ مُستَحَقَّاتِ الفَردِ والجَماعةِ وواجباتِهما جَمعًا أصيلاً، ووَصلاً جَميلاً، عَزَّ أنْ يُنشِئَه بَشَرٌ، أو يَختَرِعَه مَخلُوقٌ، ذلكَ تَقديرُ العَزيزِ العَليمِ.

ومِن أهمِّ مَظاهرِ هذه الجامعيَّةِ في الشَّرعةِ الإسلاميَّةِ الجَمعُ في التَّشريعِ والتَّكليفِ بينَ المَعاني والأسرارِ التي تُخالطُ النَّفسَ وتَتَحَرَّكُ في حَنايا القَلبِ والوِجدانِ من جِهةٍ، وبينَ الأحكامِ الضَّابطةِ للأقوالِ والأفعالِ والحَرَكاتِ والسَّكَناتِ والهَيئاتِ والسُّلُوكيَّاتِ، المُقيمةِ لَها على الصراطِ المستقيمِ مِن جِهةٍ ثانيةٍ، والوَصلُ بينَ هاتينِ الجِهَتَينِ في كيانٍ مُتَّسقِ البُنيانِ مِن جهةٍ ثالثةٍ. لقد سارَت هذه المَزيَّةُ في كافَّةِ تكاليفِ الشَّرعِ مَسرى الماءِ في الوَردِ، وامتَزَجَت بعبادتِه ومُعامَلاتِه امتزاجَ الرُّوحِ بالجَسَدِ؛ الأمرُ الذي يَتَجَلَّى ويُشرِقُ في رِحلةِ الحجِّ والعمرةِ وأحكامِهما، وتُلاحِظُه كُلُّ نَفسٍ مَهما كانَ عِلمُها بالأحكامِ قَليلاً، أو عَمَلُها بِها ضَئيلاً.

<u>وفيما يلي نُتبعُ الأسرارَ والمعانيَ بالأحكامِ والمباني لكلٍّ من الحجِ والعمرةِ وذلكَ على تدرُّجاتٍ ثلاثةٍ:</u>

<u>أولها</u>- مختصر رحلة الحجِّ والعمرة:

نُوجزُ فيها لِمَن أرادَ الإيجازَ المَعالِمَ الأساسَ للرِّحلَتَينِ دونَ تفاصيلَ للأحكامِ أو لآراءِ العلماءِ والمذاهبِ فيها، وهذه لِمَن طَلَبَ العَمَلَ فقط.

<u>وثانيها</u>- أحكامُ الحجِّ والعمرة:

بقَدرٍ مِنَ التَّفصيلِ والعَرضِ للآراءِ والمذاهبِ فيما هو رُكنٌ أو شَرطٌ، أو واجبٌ أو مُستَحَبٌّ أو مَحظُورٌ، وهذا لِمَن طَلَبَ العِلمَ والعَمَلَ.

وثالثها- أسئلةٌ وردود عليها وذلك في قسم ثالث خاص:

جَرَتِ الفَتوى فيها على ما وَفَّقَنا اللهُ تعالى إليه مِن إدراكٍ لحالِ السّائلِينَ واستِشرافٍ لواقِعِهم، وما رأيناه أقرَبَ إلى الصَّوابِ مِن أقوالِ أَهلِ العِلمِ وآرائِهم.

والله الهادِي إلى سَواءِ السَّبِيلِ.

أولاً- مختصر الرحلة

كيف نؤدي العمرة لله رب العالمين؟

العمرة: هي زيارةُ بيتِ اللهِ الحرامِ (الكعبة المكرمة) زيارةً مخصوصةً تَشتَمِلُ على الطَّوافِ بالبيتِ والسَّعيِ بينَ الصَّفا والمروةِ بإحرامٍ.

يقولُ سيدُنا عبدُ اللهِ بن عُمر رضي اللهُ عنهما: «قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فطافَ بالبَيتِ سَبعًا وصَلّى خَلفَ المَقامِ رَكعَتَين وطافَ بينَ الصَّفا والمَروةِ وقد كان لَكم في رَسُولِ اللهِ أُسوةٌ حَسَنةٌ»(١). ومن هذا يَتَبَيَّنُ لَنا خطواتِ وأعمالِ العمرةِ، فهي كما يلي:

١) **الإحرام**: ينبغي لِمَن أرادَ العمرةَ أن يغتسلَ ويُنَظِّفَ بدنَه ويَتَطَهَّرَ ويَتَطَيَّبَ، ثُمَّ يُصَلِّي رَكعَتَين (سنة الإحرام)، يفعلُ كلَّ ذلك في بَيته إن كان مسافرًا بالطائرة. أمّا إن كان مسافرًا بالبَحرِ أو البَرِّ فهناك مكانٌ يُسمّى بالميقات خاصٌّ بكلِّ جهة؛ فمثلا أهلُ مصرَ ميقاتُهم هو «الجحفة» أو البلدة التي قبلها وهي «رابغ»، ولا يجوز للمُعتَمِرِ أو الحاجِّ مجاوزةُ الميقاتِ بغيرِ إحرامٍ اذا كان قاصدا البيت الحرام أما من ذهب مسافرا لعمل او زيارة الى جده ثم بعد الوصول ظهر له أن يحج أو يعتمر فان ميقاته من جده مثلا.

ثُمَّ يَلبَسَ ملابسَ الإحرام؛ وهما ثوبان أبيضان (الإزار للنصف الأسفل من البدن، والرداء للنصف الأعلى) بالنسبة للرجال ليس فيهما مخيط، وأما المرأة فليس لإحرامها لباس خاص، ويستحب لها لبس جلباب أبيض، ولا يجوز لها أن تستر وجهها ولا كفيها.

ثم ينوي العمرةَ وهو ما يُسَمّى بالإحرام، ثم بعد نية الدخول في العمرة يقول: «اللهم إني أريد العمرةَ فيَسِّرها لي وتَقَبَّلها مني إنَّك أنتَ السميع العليم» «فإن حَبَستَني

---

(١) أخرجه البخاري (٢/٦٣٦ رقم ١٧٠٠) ط ابن كثير- اليمامة.

فمَحَلِّي حيث حَبَستَنِي»[1]، ثم يُلَبِّي قائلاً: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك». وبهذا يُصبحُ "مُحرِمًا"؛ أي داخلاً في العُمرة، ويَحرُمُ عليه كُلُّ محظوراتِ الإحرامِ، وهي الأشياءُ التي يَحرُمُ على المسلمِ فعلُها أثناءَ إحرامه وإذا فَعَلَها وَجَبَ عليه التَّوبة والكَفَّارة عن بعضها، كُلٌّ فعلٍ بما يُناسبُه من الكَفّارة.

وهذه المُحَرَّمات منها:

(أ) ما يَحرُمُ على الرَّجُلِ:

يَحرُمُ على الرَّجُلِ المُحرِمِ لبسُ المخيطِ وكُلِّ ما نُسِجَ مُحيطًا بالجسمِ أو ببعضِ الأعضاء كالجَوارِبِ، ويَحرُمُ عليه وَضعُ غِطاءٍ على الرّأسِ وتَغطية الوَجهِ، ولُبسُ حِذاءٍ يَبلُغُ الكَعبَين.

(ب) ما يَحرُمُ على المرأةِ:

يَحرُمُ على المرأةِ المُحرِمةِ سَترُ الوَجهِ بسِترٍ يُلامِسُ البَشَرة، ولبسُ قُفّازَين، وتلبسُ سِوى ذلك لِباسَها العادِي.

(ج) ما يحرمُ على الرجال والنساء:

الطِّيبُ (أي العطر) وأيُّ شيءٍ فيه طِيب من طعام أو صابون أو معجون أو مزيل للعرق أو دهان للشعر أو الجلد، أو ما يساعد في غسل الجسم أو الشعر.

وكذلك إزالةُ الشَّعرِ مِن الرأسِ ومِن أيِّ مَوضِعٍ في الجسمِ، واستعمالُ الدُّهنِ المُلَيِّنِ للشعرِ أو الجِسمِ -ولو كان غيرَ مُطَيَّبٍ-.

وكذلك تقليمُ الأظفارِ، والصيدُ، والجماعُ ودواعيه المُهَيِّئة له، والرَّفَثُ «أي:

---

(1) أخرجه البيهقي (٥/٢٢٢ رقم ٩٨٩٧) ط دار الباز، وأخرجه الترمذي (٣/٢٧٩ رقم ٩٤١) ط إحياء التراث العربي، وأخرجه النسائي في المجتبى (٥/١٦٨ رقم ٢٧٦٦) ط مكتب المطبوعات الإسلامية.

المُحادَثة بشأنه»؛ ولْيَجتَنِب المُحرِمُونَ الفُسُوقَ أي: مُخالَفة أحكامِ الشريعةِ، وكذا الجدالُ بالباطلِ.

• ويَجِبُ في ارتِكابِ شيءٍ مِن محظوراتِ الإحرام الفِدية والكَفّارة، ويفسدُ الحج والعمرةِ بالجِماعِ خاصّة؛ ففيه الكفارةُ والقضاءُ، عَدا ما حُرِّمَ مِنَ الرَّفثِ والفُسُوق والجِدالِ ففيها الإثمُ والجَزاءُ الأُخرَويُّ فقط.

• ويُكرهُ في إحرام العمرة ما يُكرَهُ في إحرام الحجِّ، مثلُ تمشيطِ الرّأس أو حَكّهِ بقُوّة، وكذا حَكُّ الجسدِ حَكًّا شديدًا، والتَّزَيُّنُ.

٢) **طواف "ركن العمرة"**: يستمرُّ المعتمر في التلبيةِ حتى يدخلَ مكةَ المكرمة، فإذا وصلَ إليها ودخلَ المسجدَ الحرامَ يَقتَرِبُ مِنَ الكعبةِ المشرفة في خشوعٍ وسكينة، ويُوقِف التلبية، وينوي طوافَ ركنِ العمرة ويبدأُ بالطواف حولَها سبعةَ أشواطٍ، ويبدأُ الطوافَ مِنَ الحَجَرِ الأسود بحيث يكونُ على يساره ويُكبِّر ويُقبِّلُه أو يَلتَزِمُه إنْ كان قَريبًا منه، ويُشيرُ إليه ويُكبِّرُ إن كان بَعيدًا عنه، وكلما مَرَّ بالحَجَرِ يُقبِّلُه ويلتزمُه أو يشيرُ إليه ويُكبِّر، ويُكثِرُ من الدعاءِ والذِّكرِ طوالَ الطوافِ.

٣) **ركعتا الطواف**: إذا انتهى مِنَ الطوافِ صَلّى ركعتَين، وهما ركعتا الطواف، ويُفَضَّلُ أداؤهما عند مَقامِ إبراهيمَ إن تَيَسَّرَ.

٤) **السعي**: ثمَّ يذهبُ إلى الصفا والمروة ويقرأ قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة:١٥٨)، ويبدأُ السَّعيَ بين الصفا والمروة بأن يَصعَدَ على الصَّفا أوَّلاً حتى يرى الكعبةَ المُعَظَّمة (أو يكون بحيث يراها لو لم تكن المباني موجودة)، فيقفُ مُتَوَجِّهًا إليها ويقول: "لا إله إلا الله. الله أكبر". ويدعو الله. ثمَّ يَنـــزِلُ متوجِّهًا إلى المَروة ويُسرِعُ في المشي بين الخطَّينِ الأخضرين. ثمَّ يَصعَدُ المروةَ حتى يَنظُرَ إلى الكَعبة ويفعلُ كَما فعلَ عِندَ الصَّفا، وهكذا حتى يُتِمَّ سبعةَ أشواطٍ، ولْيُكثِر من الدُّعاءِ والذِّكرِ.

٥) **الخِتامُ والتَّحَلُّلُ مِنَ الإحرام:** ثمّ إذا فَرَغَ المعتمرُ مِنَ السَّعي حَلَقَ رأسَه أو قَصَّرَ وتَحَلَّلَ مِن إحرامِه، ويلبسُ ما شاءَ، ويَفعَلُ ما شاءَ من مُباحٍ؛ فهو قد خرجَ مِن حالةِ الإحرامِ والعمرةِ بالكُلّيّة، وإذا أرادَ مُغادَرة مكّة طافَ طوافَ الوَداعِ للبيتِ.

كيف نحج بيت الله الحرام؟

الحجُّ: هو زيارةُ بيتِ اللهِ الحرامِ (الكعبة المكرَّمة) زيارةً مخصوصةً على أن يَشتَمِلَ على الطوافِ بالبيتِ والسَّعي بين الصفا والمروة والوقوفِ بعرفةَ بإحرامٍ.

ويمكن تقسيم أعمال الحج إلى قسمين، هما:

١- أعمال ما قبل الحج حتى قدوم مكة.

٢- أعمال الحج بعد قدوم مكة؛ وهذه مُقَسَّمة إلى أربعةِ أقسامٍ على ستّة أيام:

أ- يوم التَّروِية. ب- يوم عرفة.

ج-يوم النَّحرِ. د- أول أيام التشريق وثانيها وثالثها وطواف الوداع.

أولاً- أعمال ما قبل الحج حتى قدوم مكة:

لأداء الحج ثلاث كيفيات هي:

١- الإفراد: (وهي أن ينوي الحج وحده).

٢- القِران: (وهو أن ينوي العمرة والحجَّ معًا بإحرامٍ واحدٍ).

٣- التمتع: (وهو أن ينوي العمرة وحدها، ثمَّ يتحلَّلُ، ثم يُحرِمُ بالحجِّ من مكة).

فينوي المسلمُ في إحرامِه الكَيفيّة التي يريدُ أداءَ الحَجِّ عليها، فإن أرادَ الإفرادَ نَوى الحجَّ فقط، وإن أراد القِران نوى الحج والعمرة، وإن أرادَ التَّمتُّعَ نَوى العمرةَ فقط.

وبعد النية يبدأ في التلبية ويداوم عليها ويرفع الرجل بها صوته، فهي شعار الحج والعمرة، وأما المرأة فتسمع نفسها، ويحرص الحاج على الإتيان بالتلبية بعد الصلوات فرضها ونفلها، وعند تغير الأحوال من قيام ورقود وجلوس، ولقاء الناس وغير ذلك، وإذا أراد أن يستريح من التلبية صلى على النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

ثانيًا- أعمال الحج بعد قدوم مكة:

فإذا دخل مكة بادَرَ إلى المسجد الحرام، وتَوَجَّهَ إلى الكعبةِ المُعَظَّمة بغايةِ الخشوعِ والإجلال، ويبدأُ بالطوافِ مِنَ الحَجَرِ الأسوَد، فيطوفُ سبعةَ أشواط، وهذا الطوافُ هو طوافُ القُدُومِ للمُفرِدِ بالحجِّ والقارِنِ، وهو طوافُ العمرةِ لِمَن أَحرَمَ مُتَمَتِّعًا.

ويَقطَعُ المتمتِّعُ التلبيةَ بشُرُوعِه بالطوافِ، ولا يَقطَعُها المُفرِدُ والقارِنُ حتى يَشرَعَ في الرَّمي يومَ النَّحرِ.

ويستلمُ الحَجَرَ في ابتداءِ الطَّوافِ ويُقَبِّلُه كلما مَرَّ به إن تَيَسَّرَ ذلك مِن غيرِ إيذاءٍ لأحَدٍ، وإلاّ لَمَسَه بيدِه أو بشيءٍ يُمسِكُه ويُقَبِّلُه، وإلا أشارَ بيدِه.

وإذا فَرَغَ من طوافِه يُصلِّي ركعتي الطوافِ عند مقامِ إبراهيمَ -إن أمكَنَ-، فإن لم يمكنه فليجعل المقام بينه وبين البيت ولو كان متأخرا عن المقام كثيرا، فإن لم يمكن ففي أي مكان من المسجد، فإن لم يمكن ففي أي مكان في مكة، ثمّ إن أرادَ السَّعيَ يذهبُ إلى الصفا ويسعى بين الصفا والمروة سبعةَ أشواط، كسَعيِ العمرةِ الذي سبقَ تَوضيحُه. وهذا السَّعيُ يَقَعُ عن الحجِّ للمُفرِدِ، وعن العمرةِ للمُتَمَتِّعِ، وعن الحجِّ والعمرةِ للقارِنِ.

وهنا يَحلقُ المتمتعُ رأسَه بعدَ السَّعيِ أو يُقَصِّرُه، وقد حَلَّ من إحرامه، وتقصيره أولى؛ ليحلقه في الحج. أمّا المُفرِدُ والقارِنُ فهما على إحرامِهما إلى أن يَتَحَلَّلا بأعمالِ يَومِ النَّحرِ.

ثمَّ يَمكُثُ الحاجُّ في مكةَ بعدَ القُدُومِ وأعمالِه إلى يومِ الترويةِ لِيُؤَدِّيَ سائرَ المَناسكِ ويُؤَدِّي أعمالَ الحجِّ هذه في ستّة أيامٍ كما يلي:

١) **يوم التروية**: وهو يوم الثامن من ذي الحجة، وينطلقُ فيه الحجّاجُ إلى مِنى، ويُحرِم المتمتِّعُ بالحج من مكة بعد الضُّحى، أمّا المُفردُ والقارِنُ فهما على إحرامهما. وعندما يَصلُونَ إلى منى يبيتون بها اتِّباعًا للسُّنّة، ويُكثِرون فيها مِن ذِكرِ الله ﷻ والصلاةِ على النبي ﷺ، ويَمكُثونَ في مِنًى حتى فَجرِ يَومِ عرفة؛ فيُصَلُّون فيها خَمسَ صلوات: الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر. وهذا فجر يوم عرفة، وتُصَلّى الصلاة الرباعية مقصورة غير مجموعة.

٢) **يوم عرفة**: وهو يومٌ عظيمٌ، يؤدِّي فيه الحُجّاجُ الوقوف بعرفة وهو ركن الحج الذي يترتَّبُ على فواتِه بطلانُ الحج، ويقوم فيه الحاجُّ بالآتي:

أ- **الوقوف بعرفة**: ويخرجُ الحاجُّ في هذا اليومِ مِن مِنًى بعد الضُّحى مُتَوَجِّهًا إلى عرفة، وعرفة كُلُّها مَوقِفٌ إلا بطن عُرَنة (موطن هناك معروف)، ويسمعُ "خطبة عرفة"، ويُصَلِّي الظهرَ والعصرَ قصرا وجَمعَ تَقديمٍ، ثُمَّ يقفُ بعرفة خاشعًا مُبتَهلاً، ويَستَمِرُّ في الوقوفِ إلى غروبِ الشمس، والأولى ألاّ يخرجَ مِن عرفة قبل الغروب، وعليه أن يَتَوَجَّه إلى الله في وقوفِه خاشعًا ضارعًا بالدعاءِ والذِّكرِ وقراءةِ القرآنِ والتلبية.

ب- **المبيت بالمزدلفة**: إذا غَرَبَت شمسُ يومِ عرفةَ يسيرُ الحاجُّ مِن عرفةَ إلى المزدلفة، ويجمعُ بها المغربَ والعشاءَ جَمعَ تأخيرٍ مع قصرِهما، ويبيتُ فيها، ثُمَّ يُصَلِّي الفجرَ ويقفُ للدُّعاء، والأولى أن يكون عند المَشعَرِ الحرام، ويَستَمِرُّ يَدعُو ويُهَلِّلُ ويُلَبِّي حتى يُسفِرَ الصُّبحُ (أي يقترب شروق الشمس) لِينطَلِقَ إلى مِنًى. ويُستَحَبُّ له أن يَلتَقِطَ جمارَ (الحصيات الصِّغار) يوم النحر مِنَ المزدلفة، لِيَرمِيَ بها، وعددها سبعٌ، أما بقيتها فيجمعها من منى، وعددُها سبعون للرَّمي كُلِّه، أي أنّ الباقي له لأيام التشريق الثلاثة ثلاث وستون إن كان سيتأخر لليوم الثالث، أو اثنان وأربعون إن كان سيتعجل بعد اليوم الثاني.

٣) **يوم النحر**: يتوجَّه الحاجُّ مِن مزدلفة إلى مِنى يومَ النَّحرِ قبلَ طُلُوعِ الشَّمسِ،

لِيُؤَدِّيَ أعمالَ النَّحرِ، وهو أكثرُ أيَّامِ الحَجِّ عَمَلاً، ويُكثِرُ في تَحَرُّكِه مِنَ الذِّكرِ والتَّلبيةِ والتكبيرِ. وأهم أعمال الحاجِّ فيه هي:

أ- **رمي جمرة العقبة:** فعندما يَصِلُ الحاجُّ إلى مِنًى يقومُ برَمِي "جمرة العقبة" بالحَصى الذي جَمَعَه من المزدلفة، وتُسَمّى "الجمرة الكبرى". يرميها بسبعِ حصياتٍ، ويُكَبِّرُ مع كُلِّ حَصاةٍ، ويَقطَعُ التَّلبية مع ابتداءِ الرَّمي، ويرفع يده ويقصد المرمى لا الشاخص.

ب- **نحر الهَدي:** وهو واجب على المتمتع والقارن، وسُنَّة لغيرهما (المفرد)، فيقومُ بنحرِ شاةٍ جَذَعة مِنَ الضّانِ أو ثَنِيَّة مِنَ الماعزِ (أي شاة عمرها سنة فأكثر من الخراف، أو سنتان فأكثر من الماعز).

ج- **الحلق أو التقصير:** وهو أن يحلقَ الحاجُّ شعرَه جميعًا أو يُقصِّرَه قليلاً (وأقلُّ التَّقصيرِ أن يأخُذَ من ثلاثَ شعرات من رأسه في حَدِّه) والحَلقُ أفضَلُ للرِّجالِ، مَكرُوهٌ كَراهة شَديدة للنِّساءِ.

د- **طواف الزيارة (الإفاضة):** فيُفيضُ الحاجُّ -أي يَرحَلُ- إلى مكةَ لِيَطُوفَ طوافَ الزيارة، وهو طوافُ الرُّكنِ في الحجِّ.

هـ- **السعي بين الصفا والمروة:** والسعيُ تَقَدَّمَ ذِكرُه في أوَّلِ وصولِه إلى مكةَ بعدَ الطوافِ، ولكن يَسعى الحاجُّ بعدَ طوافِ الزيارةِ إن لم يُقَدِّمِ السَّعيَ مِن قَبلُ، وذلك للقارنِ والمفردِ، أمّا المتمتع فعليه أن يطوفَ طواف الإفاضةِ والسعيُ بعدَه.

و- **التَّحَلُّل:** ويَحصُلُ بأداء الأعمال التي ذكرناها، وهو قسمان:

١- **التحلل الأول أو الأصغر:** تَحِلُّ به محظوراتُ الإحرامِ عَدا مُعاشَرة الزَّوجة، ويَحصُلُ باثنين من ثلاثة من: الرمي والحلق (أو التقصير) والطواف.

٢- **التحلل الثاني أو الأكبر:** تَحِلُّ به كلُّ محظوراتِ الإحرامِ حتى مُعاشَرة الزَّوجة، ويَحصُلُ بالعمل الثالث المتبقي.

أعمال أيام التشريق:

●أول أيام التشريق وثانيها:

هما ثاني أيامُ عيدِ الأضحى المباركِ وثالثها، وفيهما يقومُ الحاجُّ بما يلي:

١- المبيت بمنى لَيلَتَي هذين اليومين:

فبعدَ طوافِ الإفاضة الذي به التَّحَلُّلُ الأَكبَرُ يتوجَّه الحاجُّ للمبيتِ بمنى هذين اليومين. وفي هذين اليومين يقومُ برمي الجمارِ؛ بحيث يخرجُ في اليومِ الأوَّلِ بعدَ دخول وقت صلاةِ الظهرِ (بعد الزوال) يَرمِي الجمارَ الثلاثَ على الترتيبِ: الجمرة الأولى (أو الصُّغرى) وهي أقرَبُ الجمراتِ إلى مسجدِ الخيفِ بمنى، ثمَّ الجمرة الثانية (أو الوسطى)، ثمَّ الثالثة الكبرى جمرةُ العقبة. يرمي كل واحدةٍ بسبعِ حصيات، ويَدعُو بينَ كلِّ جمرتين. ويقومُ بنفسِ هذا الفعلِ في اليومِ الثاني.

٢- النفر الأول أو الثاني:

يَحِلُّ للحاجِّ إذا رَمى جمارَ اليومِ الثاني مِن أيَّامِ التشريقِ أن يَرحَلَ من منى إذا انتهى مِن رَمي الجمارِ الثلاثِ قبلَ الغروبِ، ويُسَمَّى النَّفرَ الأول.

● أمَّا إذا غَرَبَت عليه شَمسُ اليومِ الثاني فوجَبَ عليه أن يَمكُثَ إلى اليومِ الثالثِ مِن أيامِ التَّشريقِ (وهو رابع أيام عيد الأضحى المبارك)؛ حيث يقومُ فيه بنَفسِ أعمالِ رمي الجمار الثلاث السابق بيانُها. وهذا يُسمَّى النفر الثاني؛ قال تعالى: ﴿ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾.

٣- التَّحصيب:

وهو نزولُ الحاجِّ بالمُحَصَّبِ (موضع بمكة) يُصَلِّي فيه ويَذكُرُ اللهَ تعالى فيه (وهو مُستَحَبٌّ).

٤- طواف الوداع:

يَمكُثُ الحاجُّ بمكةَ ما أرادَ أن يَمكُثَ في ذِكرِ لله تعالى، وفي غيرِه مِن أعمالِ البرِّ وأعمالِ المَعاشِ. وليَعلَم أنَّه في حَرَمِ الله تعالى وفي أطهَرِ بقاعِ الأرضِ، فليَتَّقِ اللهَ وليُراقِبه دائمًا. ويجوزُ له أن يَعتَمِرَ أو يَزُورَ مَن يَعرِفُهم أو يشتري أو يبيع أو يتزوج أو يجتمع بمَن يشاء.

ثمَّ إذا أرادَ السَّفَرَ مِن مَكَّة فيجبُ عليه أن يطوفَ بالبيتِ طوافَ الوَداعِ، والمعنى الملاحَظُ في هذا الطوافِ أن يكونَ آخرُ العَهد بالبَيت. وبعدَ أن يُصَلِّيَ رَكعَتَي الطَّواف، يأتي "زمزم" ويشربُ مِن مائها مُستَقبِلاً البيتَ ويدعو بما شاء، ويَتَشَبَّثُ بأَستارِ الكعبة، ويَستَلِمُ الحَجَرَ الأسودَ إن تَيَسَّرَ له مِن غَيرِ إيذاءِ أَحَد. ثُمَّ يسيرُ إلى بابِ الحَرَمِ ووجهُه تلقاءَ الباب، داعيًا بالقَبُولِ، والغُفرانِ، وبالعَودِ مَرَّةً بعدَ مَرَّة، وألا يكونَ ذلكَ آخرَ العَهدِ من هذا البيتِ العتيق.

وهذا خِتامُ مختصرِ رحلةِ الحجِّ إلى بيتِ اللهِ، وبدايةُ تَجديدِ الرِّحلة الأَوسَعِ إلى لِقاءِ اللهِ: "رحلة الحياة".

ثانيًا- أحكام الحج والعمرة

▪ أحكام العمرة

أولاً- تعريف العمرة:

سَبَقَ إيجازُ ذلك وهذا موضعُ قَدرٍ مِنَ التَّفصيلِ لِمَن طَلَبَ علمَه، فالعُمرة في اللغة: الزيارة. و"اعتمر" في اللغة بمعنى زارَ، غيرَ أنَّ معناها الشرعي غَلَبَ في الاستِعمالِ على معناها اللُّغَوِي.

وفي الاصطلاح: هي زيارةُ بيتِ اللهِ الحَرامِ زيارةَ مُحرِمٍ، مُشتَمِلة على طوافٍ وسعيٍ وحلق أو تقصير. وقد شرعَ اللهُ العُمرة في السَّنة السَّادِسة من الهِجرة على الراجح، وأمّا الحجُّ فقد شُرِعَ في سنةِ تِسعٍ أو عَشرٍ على الرّاجِحِ كذلك.

ثانيًا- حُكم العمرة:

اختلف الفقهاء في حكم العمرة، فمنهم مَن قال بوجوبها، ومنهم مَن قال بندبها فقط، ومنهم مَن فَرّقَ بين المَكّيِّ وغيرِه، فأوجَبَها على غَيرِه، ولم يوجبها على المكّيِّ، فذهب الشافعية والحنابلة إلى أنها واجبةٌ على المكّيِّ وغيرِه بدليلِ قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِۖ﴾ [البقرة:١٩٦]. فالأمرُ بالإتمامِ معناه الأداء والإتيان بهما (أي العمرة والحج)، كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِۚ﴾ [البقرة:١٨٧]؛ أي ائتُوا بالصيام، هذا تفسيرُ مَن ذهبَ إلى وجوبِ العُمرة كما نقله القرطبي وغيره.

والراجح أنَّ العُمرة واجبةٌ، للآية المذكورة، وقد بَوَّبَ البخاريُّ بابًا في صحيحه بعنوان «باب وجوب العمرة وبيان فضلها»، وروى عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قوله: «ليس أحدٌ إلاّ وعليه حجّة وعُمرة»[1]، وقال ابن عباس رضي الله

(١) أخرجه البخاري (٢/٦٢٩) ط ابن كثير- اليمامة.

تعالى عنهما: «إِنَّها لَقَرِينَتُها في كتابِ الله، ثُمَّ تَلا قوله تعالى: ﴿ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ...﴾ الآية»(١).

وفي إحدى روايات حديث جبريل عندما سألَ النَّبيَّ ﷺ عنِ الإسلامِ فقال: "أن تَشهَدَ أن لا إله إلا الله وأن محمَّدا رسول الله وأن تُقيمَ الصلاةَ وتُؤتِيَ الزكاةَ وتحجَّ وتَعتَمِرَ وتَغتَسِلَ مِنَ الجَنابة وأن تُتِمَّ الوضُوءَ وتَصُومَ رمضان". قال: فإذا فَعَلتُ ذلكَ فأنا مُسلِمٌ؟ قال: "نَعَم". قال: صَدَقتَ»(٢).

• شروط وجوب العمرة:

ويُشتَرَطُ لوُجُوبِ العُمرة: العقل، والإسلام، والبلوغ، والحرية، والاستطاعة. والاستطاعة شرط لفرضية العمرة فقط، لكن لا يتوقَّفُ عليها سقوطُ الفرضِ عند مَن يقولُ بفرضيّة العمرةِ أو وجوبِها، فلو اعتمرَ مَن لم يَتَوَفَّر فيه شرطُ الاستطاعة صَحَّت عمرتُه وسقطَ الفرضُ عنه.

ثالثًا- فضل العمرة:

للعمرةِ فضائلُ عديدةٌ، وخِصالٌ حميدةٌ، وآثارٌ عظيمةٌ. ومِن أبرَزِ فضائلِ العمرةِ تَكفيرُ الذُّنُوبِ واستِجابة الدَّعَواتِ. وقد وَرَدَ في ذلك المعنى أحاديثُ كثيرة منها:

ما رواه أبو هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «العمرةُ إلى العمرةِ كفَّارةٌ لما بينَهما، والحجُّ المبرورُ ليس له جَزاءٌ إلا الجَنَّة»(٣). وما رواه أبو هريرة ﷺ أيضا عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الحُجّاجُ والعُمّارُ وَفدُ اللهِ، إنْ دَعَوه أجابَهم، وإنِ استَغفَرُوه غَفَرَ لَهم»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٩/٢) ط ابن كثير- اليمامة.

(٢) صحيح ابن خزيمة (٣٥٦/٤) ط المكتب الإسلامي.

(٣) أخرجه البخاري (ج٦٢٩/٢ رقم ١٦٨٣) ط ابن كثير- اليمامة، وأخرجه مسلم (ج٩٨٣/٢ رقم ١٣٤٩) ط دار إحياء التراث العربي.

(4) ابن ماجه في سننه (ج٢ ص ٩٦٦ رقم ٢٨٩٢) ط دار الفكر، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (ج٢٤٧/٦ رقم ٦٣١١) ط دار الحرمين.

رابعًا- وجوه أداء العمرة:

تُؤَدَّى العُمرة على أَحَدِ ثلاثة وجوه:

• **إفراد العمرة**: وذلك بأن يُحرِمَ بالعُمرة أي: يَنوِيَها ويُلَبِّي في أشهُرِ الحَجِّ دونَ أن يُتبِعَها بحَجٍّ. أو يَحُجَّ ثم يَعتَمِرَ بعدَ الحجِّ. أو يأتيَ بأعمال العُمرة في غيرِ أشهُرِ الحجِّ، فهذا كلُّه إفرادٌ للعُمرة.

• **التمتع**: وهو أن يُحرِمَ بالعُمرةِ فقط في أشهرِ الحجِّ، فيقول: «لبيك اللهم عمرة» ويأتي مكةَ فيُؤَدِّي مناسكَ العمرةِ، ويَتَحَلَّلُ، ويَمكُثُ بمكةَ حلالاً، ثمَّ يُحرِمُ بالحجِّ ويأتي بأعماله. ويجب عليه حينئذ أن يَنحَرَ هديًا بالإجماع.

• **القِران**: وهَيئَتُه أن يُحرِمَ بالعمرة والحج جميعًا، فيقول: «لبيك اللهمَّ عمرةً وحجًّا» فيأتي بهما في نُسُكٍ واحد. وقال الجمهور: إنهما يتداخلان، فيطوفُ طوافًا واحدًا، ويَسعى سَعيًا واحدًا ويُجزِئُه ذلكَ عنِ الحجِّ والعُمرة. ويجب عليه أن يَنحَرَ هديًا.

خامسًا- أركان العمرة:

تَتَكَوَّنُ العُمرة من أركانٍ وواجباتٍ وسُنَنٍ نتعرض لها واحدةً بعد الأخرى. فأمّا الأركانُ فخَمسة أشياءٍ؛ وهي:

١- النِّيّة أو الإحرامُ بالعُمرة:

والإحرام لغةً: هو الدُّخولُ في الحُرمة، وشَرعًا: عند الجمهور هو نيّة العمرة أو الحجِّ. وعندَ الحنفيّة: نية العمرة مع الذِّكرِ أو الخصوصيّة. ومرادهم بالذِّكرِ: التَّلبية ونحوها ممّا فيه تعظيمُ اللهِ تعالى، والمرادُ بالخُصُوصيّة: ما يَقُومُ مَقامَ التَّلبية مِن سَوقِ الهَدي أو تَقليدِ البُدنِ.

ويشترطُ في الإحرامِ مقارنتُه بالتلبيةِ عندَ أبي حنيفة ومحمَّد بن الحسن، والتلبية شرطٌ عند ابن حبيب من المالكيّة، فلا يَصِحُّ الإحرامُ بدون التلبيةِ أو ما يقومُ مقامَها

عندهم. والجمهور على أن التلبيةَ ليست شَرطًا، فقال المالكية: هي واجبةٌ في الأصلِ، والسُّنّة قَرنُها بالإحرام، وقال الشافعية والحنابلة: إنها سُنّة في الإحرامِ مُطلَقًا. وصيغة التَّلبيةِ هي: (لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك).

٢- الطواف:

وفَرضُه سبعةُ أشواط عند الجمهور، وقال الحنفيّة: الأربعة فرض، والثلاثة الباقية واجبة. ويشترط في هذا الطواف: سَبقُ الإحرامِ بالعُمرة، ثُمَّ سائرُ شروطِ الطوافِ العامّة، وهي: أصلُ نيّة الطّوافِ، ووقوعُ الطوافِ حَولَ الكَعبة، وأن يَشمَلَ الحجرَ (أي الحطيم)، والتَّيامُنُ، والطهارةُ من الأحداثِ والأنجاسِ، وسَترُ العورة. وهذه كلها شروطٌ عند الجمهورِ، وجعلَ الحنفيةُ شُمُولَ الطوافِ للحجرِ وما ذُكرَ بعدَه واجباتٍ في الطوافِ. واشترطَ المالكيّة والحنابلةُ مُوالاةَ أشواطِ الطوافِ، وهي عندَ الحنفيّة والشافعيّة سُنّة. ويَجبُ في طوافِ العُمرة: المَشيُ للقادرِ عليه، وركعتان بعدَ الطّوافِ، وقالَ الشافعيّة: كلاهما سُنّة. ويُسَنُّ في طوافِ العمرة: الرَّمَلُ في الأشواطِ الثلاثة الأولى، ثمّ يَمشي في الباقي، والاضطباع فيه كله، وهذان للرِّجالِ دونَ النِّساء؛ لأنّهما سُنّتان في كُلِّ طوافٍ بعدَه سَعيٌ، وهذا طوافٌ بعدَه سَعيٌ. ويُسَنُّ ابتداءُ الطّوافِ قَبلَ الحَجَرِ الأسوَدِ بقليلٍ، واستقبالُ الحَجَرِ، واستلامُه وتَقبيلُه إن تَيَسَّرَ وإلا استَقبالُه والإشارة إليه باليد، واستلامُ الرُّكنِ اليمانِيِّ والدُّعاءُ.

٣- السعي:

السعي بين الصفا والمروة ركنٌ في العمرةِ عند المالكية والشافعية ورواية عند الإمام أحمد، وهو واجب عند الحنفية وهو الراجح عند الحنابلة. وأحكامُ السعيِ في العمرةِ هي أحكامُ السَّعيِ في الحجِّ؛ فيُشتَرَطُ فيه سَبقُ الإحرامِ بالعمرة، وأن يَسبقَه الطوافُ، وأن يبدأَ السعيَ بالصفا فالمروة، فلو عَكَسَ لَغا الشوطَ واحتُسبَ من عند الصَّفا. وركنُ السَّعيِ سبعةُ أشواطٍ عندَ الجمهور، وأربعةٌ عند الحنفيّة والباقي واجبٌ

عندهم. ويجبُ المشيُ في السَّعيِ على القادرِ عليه عند الحنفيةِ والمالكيةِ، ويُسَنُّ عند الشافعيةِ والحنابلة. وتُسَنُّ الموالاةُ بينَ السَّعيِ والطوافِ، ونيّة السَّعيِ، والسَّعيُ الشَّديدُ بينَ الميلَينِ الأخضَرَينِ، كما تُسَنُّ الموالاة بينَ أشواطِ السَّعيِ عند الجمهورِ، وهي شَرطٌ لصِحّةِ السَّعيِ عندَ المالكيّة.

٤- الحلق أو التقصير:

وهو واجبٌ عند الحنفيةِ والمالكيةِ والحنابلة، وقال الشافعيةُ في الراجحِ عندهم: إنه ركنٌ. والقَدرُ الواجبُ هو حَلقُ شَعرِ جميعِ الرَّأسِ أو تَقصيرُه عند المالكية والحنابلة، ورُبعِ الرَّأسِ على الأقلِّ عند الحنفية، وثلاثِ شعرات على الأقلِّ عند الشافعية. والحَلقُ للرجالِ أفضل في العمرة إلا للمُتَمَتِّعِ، فالتَّقصيرُ له أفضل، لكي يُبقِي شَعرًا يأخذُه في الحجِّ. والسُّنّة للنساء التَّقصيرُ فقط، ويُكرَه الحَلقُ في حَقِّهنَّ؛ لأنَّه مُثلة.

٥- الترتيب:

وهو ليس ركنًا مُنفَصلاً، بل هو هيئةٌ وكيفيّة لأداءِ تلك الأركانِ الأربعة، ولكنَّه يُعَدُّ رُكنًا؛ لأنَّ التَّفريطَ فيه كالتَّفريطِ في أيِّ رُكنٍ، وذلك عن الشافعية خاصّة.

سادسًا- واجبات العمرة:

١- الإحرام من الميقات، وسيأتي تفصيله.

٢- طواف الوداع:

إذا أراد المعتمر السَّفَرَ من مكّة -ولو كان مكّيًا- طاف بالبيت وجوبًا عند الشافعية وسُنّة عند المالكية، ويجب عليه طواف الوداع عند الحنابلة إلا إن كان مكّيًا أو مَنزِلُه في الحرم فلا يجبُ عليه الوداع، أما الحنفيّة فلا يجبُ عندهم طوافُ الوداعِ على المُعتَمِرِ لكن يُستَحَبُّ خروجًا من الخلافِ؛ لأنَّ طوافَ الوداعِ عندهم من مناسكِ الحجِّ، شُرِعَ ليكونَ آخرَ عهدِه بالبيت.

٣- اجتناب جميع مُحَرَّماتِ الإحرام.

سابعًا- الميقات في العمرة:

الميقات قسمان: ميقات زماني، وميقات مكاني.

أ- الميقات الزماني للإحرام بالعمرة:

ذهب الفقهاء إلى أن ميقاتَ العمرة الزماني هو جميع العام لغيرِ المُشتَغِلِ بالحجِّ، فيَصِحُّ أن يُحرِمَ بها الإنسانُ ويفعلها في جميعِ السَّنة، وهي أفضل في شهر رمضان منها في غيره. وذهب الحنفية إلى أن العمرة تُكرَهُ تحريمًا يومَ عرفة، وأربعةَ أيامٍ بعده، واستَدَلُّوا بقول عائشة رضي الله عنها: «حَلَّت العُمرةُ في السَّنة كُلِّها إلا في أربعةِ أيامٍ: يومُ عرفة ويومُ النَّحرِ ويَومانِ بعدَ ذلكَ»؛ ولأنَّ هذه الأيَامَ أيَامَ شُغلٍ بالحَجِّ، والعُمرة فيها تَشغَلُهم عن ذلك، وربما يقعُ الخَلَلُ فيهِ فتُكرَه.

ب- الميقات المكاني للإحرام بالعمرة:

المسلم إمّا أن يكونَ آفاقيًّا أو ميقاتيًّا أو حَرَميًّا.

• **والآفاقيُّ**: هو مَن كان مَنـــزِلُه خارجَ منطقةِ المواقيتِ، ومواقيتُ الآفاقيِّ هي: ١- ذو الحليفة: لأهل المدينة ومَن مَرَّ بها، ٢- الجُحفة: لأهلِ الشّامِ ومَن جاءَ مِن قِبَلِها كأَهلِ مِصرَ والمغرب؛ وكانت إلى وقت قريب مُندَثِرة وكان النّاسُ يُحرِمُون مِن رابِغ على بعد (٢٠٤) كم شمال غرب مكة، أمّا الجحفة فهي على بعد (١٨٧) كم، ٣- قَرن المَنازِل: ويسمى الآن "السَّيل"، وهي لأهلِ نَجد، وهي على بعد (٩٤) كم شرق مكّة، ٤- يَلَملَم: لأهلِ اليمن وتِهامة والهند، وهي على بعد (٥٤) كم جنوب مكة، ٥- ذات عِرق: لأهل العراق وسائرِ أهلِ المشرقِ، وهي على بعد (٩٤) كم شمال شرق مكّة.

• **أما الميقاتي**: فهو مَن كان في مَناطِقِ المَواقيتِ أو ما يُحاذيها أو ما دونَها إلى مكةَ. وهؤلاء ميقاتُهم مِن حيثُ أنشأوا العُمرة وأحرَموا بها، إلا أنَّ الحنفيّة قالوا: ميقاتُهم الحِلُّ كله، والمالكيّة قالوا: يُحرِمُ مِن دارِه أو مسجدِه لا غيرَ، والشافعيّة والحنابِلةُ قالوا: ميقاتُهم القرية التي يسكنونَها لا يجاوزونَها بغيرِ إحرامٍ.

• **وأما الحَرَمِيُّ**: وهو المُقيمُ بمنطقة الحَرَمِ المَكّيِّ ومَن كان نازلاً بمَكّة أو الحَرَمِ، فهؤلاء ميقاتُهم للإحرامِ بالعُمرة الحِلُّ، فلا بُدَّ أن يخرُجوا للعمرةِ عن الحَرَمِ إلى الحِلِّ ولو بخُطوة واحدةٍ يتجاوزون بها الحَرَمَ إلى الحِلِّ.

والدَّليلُ على تحديد هذه المواقيتِ للإحرامِ بالعُمرة ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما: «أنَّ النبيَّ ﷺ وَقَّتَ لأهلِ المدينة ذا الحُلَيفة، ولأهلِ الشّأمِ الجُحفة، ولأهلِ نَجد قَرنَ المنازِلِ، ولأهل اليمن يَلملَمَ، فهُنَّ لَهُنَّ، ولِمَن أتى عليهنَّ من غَيرِهنَّ ممَّن أرادَ الحَجَّ والعُمرة، ومَن كان دونَ ذلكَ فمن حَيثُ أنشأ؛ حتى أهلِ مَكّة من مَكّة»[1]. وأمّا ما وَرَدَ في شأن الحَرَمِيِّ فعن عائشةَ رضي الله عنها في قصّة حَجِّها قالت: «يا رسولَ الله، أتنطَلقُونَ بعُمرة وحجّة وأنطَلقُ بالحَجِّ؟ فأمَرَ عَبدَ الرَّحمَنِ بنَ أبي بَكرٍ أن يَخرُجَ معها إلى التَّنعيمِ، فاعتَمَرَت بعدَ الحَجِّ في ذي الحِجّة»[2].

ثامنًا- محرمات الإحرام:

محظورات الإحرام للعمرة:

وهي الأشياءُ التي يَحرُمُ على المسلمِ فِعلُها أثناءَ إحرامه، وإذا فَعَلَها وَجَبَ عليه التَّوبة وتَجبُ الكفّارةُ عن بعضِها: كُلُّ فِعلٍ بما يُناسبُه من الكفّارة، وقد ذكرناها في مختصر رحلة العمرة والحجِّ، فلتُراجَع.

---

(1) أخرجه البخاري (ج٢/٥٥٤ رقم ١٤٥٢) ط ابن كثير- اليمامة، وأخرجه مسلم (ج٢/٨٣٩ رقم ١١٨١) ط دار إحياء التراث العربي.

(٢) أخرجه مسلم (ج٢/٨٨٠ رقم ١٢١١) ط دار إحياء التراث العربي "بنحوه"، وأخرجه البيهقي (ج٥/٤ رقم ٨٥٩١) ط دار الباز "بلفظه".

تاسعًا- الدماء والكفارات:

ويترتَّبُ على تركِ المعتمرِ واجبًا أو فعلِه مُحَرَّمًا أمورٌ، هي:

١- في تركِ الإحرام من الميقات:

إذا تجاوزَ المعتمرُ الميقاتَ المكانيَّ ولم يُحرِم بعدُ فليُحرِم، ثُمَّ عليه شاةٌ جَذعة من الضَّأنِ أو ثَنِيّة من الماعزِ، تُذبَحُ وتُوَزَّعُ على فُقَراءِ الحَرَمِ.

٢- في حلقِ الشَّعرِ أو إزالَتِه: التَّخييرِ بين: شاة، أو صيامِ ثلاثةِ أيامٍ، أو التَّصَدُّقِ بثلاثة آصُعٍ على سِتّة مساكين.

٣- في قتل الصيد:

إذا كان الصَّيدُ ممّا له مِثلٌ فكَفّارتُه أن يَذبَحَ مِثلَه من الأنعامِ: فالنَّعامة يُماثِلُها الجَمَلُ أو البَقَرة، والغَزالة تُماثِلُها الشّاةُ، فإن لم يَجد قَوَّمَه واشترى بثَمَنه طَعاما وتَصَدَّقَ به على فقراءِ الحَرَمِ، فإن لم يَجد صامَ عن كُلِّ مُدٍّ يومًا. وإن كان الصَّيدُ ممّا ليس لَهُ مِثلٌ قَوَّمَ الصَّيدَ نَفسَه واشترى بثَمَنِه طعامًا وتَصَدَّقَ به أو صامَ على كُلِّ مُدٍّ يومًا.

٤ - قطع شجر الحرم:

الشجرةُ الكبيرةُ كفارتُها ذَبحُ بَدَنة، وكفّارةُ قَطعِ الصَّغيرة شاةٌ.

٥- الجماع:

يترتَّبُ عليه إفسادُ العُمرة، وكَفّارَتُه (بعد فسادِ العمرةِ ووجوبِ قَضائها) ذَبحُ بَدَنة أو بَقَرة أو سَبعِ شياهٍ، أو تَقويمُها طَعامًا إن لم يَجِد والتَّصَدُّقُ بها، أو الصومُ عن كُلِّ مُدٍّ يومًا.

- **وباقي المُحَرَّماتِ يترتَّبُ على فِعلِها الإثمُ وتستوجبُ التوبةَ إلى الله، وليس فيها كَفّارةُ دم.**

عاشرًا- سنن العمرة:

للعمرةِ سُنَنٌ تَتَعلّقُ بالأركانِ ومنها ما لا يَتَعلّقُ بالأركانِ. فالتي تَتَعلّقُ بالأركان -وقد سبق ذكر أطرافٍ منها- هي:

١- سنن الإحرام:

وهي: الاغتسال، وتَطييبُ البَدَنِ لا الثّوب، وصلاةُ ركعتين، يفعلُ هذه الثّلاثة قبلَ الإحرامِ. ثُمَّ التَّلبية عَقِبَ النّيّة، والتَّلبية فرضٌ في الإحرام عند الحنفية خلافًا للجُمهورِ، ويُسَنُّ للمُعتَمِرِ أن يُكثر من التلبية مُنذُ نيّةِ الإحرامِ بالعُمرة إلى بَدءِ الطّواف باستِلامِ الحَجَرِ الأسوَدِ، عند الجمهور، وقال المالكية: المعتمرُ الآفاقيُّ يُلبِّي حتى يَبلُغَ الحَرَمَ، لا إلى رُؤيةِ بيوتِ مَكّة، والمعتمرُ من الجِعِرّانة أو من التّنعيمِ يُلبِّي إلى دُخُولِ بيوتِ مَكّة.

٢- سنن تتعلق بالطواف:

ويُسَنُّ له أن يَضطَبِعَ في أشواطِ طَوافه هذا كُلّها، والاضطباع: أن يجعل وسط الرداء تحت إبطه الأيمن، ويَرُدَّ طَرَفَيه على كَتِفه الأيسرِ ويُبقي كَتِفَه الأيمن مكشوفًا، كما يُسَنُّ للرَّجُلِ الرَّمَلُ في الأشواط الثلاثة الأولى، ويمشي في الباقي، وليُكثِر المعتمرُ من الدُّعاءِ والذّكرِ في طوافه كُلّه، ويقول بين الركنين: ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

٣- وركعتا الطواف:

يُسَنُّ له صلاةُ ركعتينِ بعدَ الطّواف عندَ مقامِ إبراهيم عليه السلام إن تَيسَّر، وأن يقول وهو في طريقه إلى هناك: ﴿ **واتَّخِذُوا مِن مَقامِ إبراهيمَ مُصَلًّى** ﴾.

٤- سنن تتعلق بالسعي:

تُسَنُّ الموالاةُ بين السَّعي والطّوافِ، وتُسَنُّ نِيّةُ السعي، ويُسَنُّ السعيُ الشديدُ بين المِيلَينِ الأَخضَرَين، كما تُسَنُّ الموالاة بين أشواط السعي عند الجمهور، وهي شرطٌ لصِحةِ السَّعيِ عند المالكية.

● ومنها ما لا يتعلق بالأركان، وهي:

١ – الشربُ من ماءِ زمزم: لِما ثَبتَ عنِ النَّبيِّ ﷺ أنَّ ماءَ زمزمٍ لِما شُرِبَ له.

٢– زيارةُ القَبرِ الشَّريف: ولو لغَيرِ الحاجِّ والمُعتَمِرِ، ولها آثارٌ كثيرةٌ يطولُ المقامُ بذكرِها.

■ أحكام الحج:

نَعرِضُ في هذا الجزءِ لأحكام الحجِّ خاصّة، مع أن الكثير منها مماثلٌ أو مشتركٌ مع أحكام العمرة بما يشبه التكرار والتداخل، خاصةً مع مراعاة حال كُلٍّ من القارِن والمُتمتِّع، إلا أن تَخصِيصَ أحكام الحج بموضعٍ خاص مقصودٌ لمن أرادَ أن يُطالِعَ هذه دونَ تلك، وربما كان في الإعادة إفادة، هذا فضلاً عمّا يخُصُّ الحجَّ نفسَه من زيادة.

أولاً- تعريف الحج:

لُغة: هو القَصدُ. أما اصطلاحًا فهو: قَصدُ مَوضِعٍ مخصوصٍ (وهو البيت الحرام وعرفة) في وَقتٍ مخصوصٍ (وهو أشهر الحج) للقيامِ بأعمالٍ مخصوصةٍ وهي: (الوقوف بعرفة، والطواف، والسعي عند جمهور العلماء) بشرائطَ مخصوصةٍ يأتي بيانُها.

ثانيًا- حكم الحج:

الحجُّ فَرضُ عينٍ على كلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ بشروطِه وهي: (العقل والبلوغ والاستطاعة)، وهناك شرط خاصٌّ بالنِّساءِ وهو (عَدَمُ العِدّة)؛ فلا يجوز للمُعتَدّة أن تَخرُجَ للحَجِّ. أمّا بخصوص المَحرَمِ أو الزَّوجِ فلا يَلزَمُ المرأةَ ذلك في الحجِّ، فإن وُجِدَت نِسوةٌ ثقاتٌ (اثنتان فأكثر تأمَنُ معهنَّ على نفسها) كَفى ذلكَ بدلاً عن المَحرَمِ أو الزَّوجِ، وهو ما ذهبَ إليه الشافعية والمالكية إن لم تَجِد المرأةُ المَحرَمَ، بل يجوز لها أن تخرج وحدَها لأداء الفرض أو النَّذرِ إذا أَمِنَت على نَفسِها ومالِها، وهو ما عليه الشافعية.

وقد دلَّ على فرضية الحج القرآنُ الكريم والسنة النبوية وإجماع المسلمين؛ فأمّا القرآن الكريم فيقول تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (آل عمران:٩٧). ومن السنة النبويةِ أحاديثُ كثيرةٌ؛ منها ما رواه أبو هريرة ﷺ قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: "أيها الناسُ، قد فَرَضَ اللهُ عليكم الحَجَّ، فحُجُّوا"، فقال رجلٌ: أَكُلَّ عامٍ يا رسول الله؟ فسَكَتَ، حتى قالها ثلاثًا، فقال رسول الله ﷺ: "لو قُلتُ نَعم لَوَجَبَت، ولَما استطَعتم".

وقد أجمَعَت الأمّة سلفًا وخلفًا شرقًا وغربًا على فَرضيّة الحَجِّ، وعلى أنّه أحَدُ أركانِ الإسلامِ الخَمسة، وأنه من المعلومِ من الدينِ بالضرورة، وأن مُنكِرَه يَكفُرُ. وقد اختلفوا في وجوبِ الحجِّ: هل هو على الفَورِ أو على التَّراخِي؟ فذهبَ الجمهورُ إلى أنَّ الحجَّ يجبُ على الفَورِ (بمعنى فَورِ الاستطاعة)، وهو الأولى، وذهب الشافعية والإمام محمد بن الحسن إلى أنّه يجبُ على التَّراخي. ذلك ما يتعلق بحُكمِه، أمّا فَضلُه فكبيرٌ، نُبيِّنُ بعضه فيما يلي:

ثالثًا- فَضلُ الحج:

يقول الله تعالى: ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ لِّيَشۡهَدُواْ ﴿٢٧﴾ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ ﴾ (الحج:٢٧-٢٨)، وقد كَثُرَت النصوصُ النَّبويّة الشريفةُ في فَضلِ الحَجِّ وعظيمِ ثوابِه، نَذكُرُ مِن ذلكَ على سبيلِ المثال، ما رواه أبو هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "مَن حَجَّ البيتَ فلم يَرفُث ولم يَفسُق خرج مِن ذنوبه كيومَ وَلَدَته أُمُّه"[(١)]، وكذلك ما روته السيدة عائشة رضي الله عنها: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: "ما مِن يَومٍ أكثرُ من أن يَعتقَ اللهُ فيه عَبدًا أو أَمةً مِنَ النّارِ مِن يَومِ عَرَفَةَ، وإنَّه لَيَدنُو ثمَّ يُباهي بهمُ الملائكةَ فيَقولُ: ماذا أرادَ هَؤُلاء"[(٢)]، وعن ابن عمرو رضي الله عنهما أنّه ﷺ قال: "الحُجّاجُ والعُمّارُ وَفدُ اللهِ؛ إن سَأَلوا أُعطُوا، وإن دَعَوا أُجيبُوا، وإن أَنفَقُوا أُخلِفَ لهم، والذي نَفسُ أبي القاسمِ بيدِه ما كَبَّرَ مُكَبِّرٌ على نَشَزٍ ولا أَهَلَّ مُهِلٌّ على شَرَفٍ مِنَ الأشرافِ إلا أَهَلَّ ما بينَ يديه وكَبَّرَ حتى يَنقَطِعَ به مُنقَطِعُ التُّرابِ"[(٣)]، وعن أبي هريرةَ ﷺ أنَّ رسولَ الله ﷺ

(١) أخرجه البخاري (ج٢/٦٤٦ رقم ١٧٢٣ و ١٧٢٤) ط دار ابن كثير- اليمامة، وأخرجه مسلم (ج٢/٩٨٤ رقم ١٣٥٠) ط دار إحياء التراث العربي بلفظ "مَن أتى هذا البيتَ فلم يرفث ولم يفسق رجع كما ولدته أمه".

(٢) أخرجه مسلم (ج٢/٩٨٣ رقم ١٣٤٨) ط إحياء التراث العربي، وأخرجه الحاكم في المستدرك (ج١/٦٣٦ رقم ١٧٠٥) ط دار الكتب العلمية بدون لفظ "أو أمة"، وأخرجه النسائي في المجتبى (ج٥/٢٥٢ رقم ٣٠٠٣) ط مكتب المطبوعات الإسلامية بلفظه.

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٣/٤٧٥ رقم ٤١٠٤) ط دار الباز.

قال: "أَفضَلُ الأعمالِ إيمانٌ باللهِ ورسولِه، ثم جِهادٌ في سَبيلِ اللهِ، ثم حَجٌّ مَبْرُورٌ"[١].

رابعًا- كَيفِيّاتُ هيئات الحج أو وجوه أدائه:

يُؤَدّى الحَجُّ على ثلاثِ هيئاتٍ سبقت الإشارة إليها في الرحلةِ وفي أحكامِ العمرةِ، ونؤكِّدُ عليها هنا مع الزياداتِ الخاصّة بأحكام الحجِّ:

١- **الإفراد**: وهو أن يُحرِمَ الحاجُّ بالحَجِّ فقط عِندَ إحرامِه، فيقول «لبيك اللهمَّ حجًّا» ويأتي بأعمالِ الحَجِّ وَحدَه، ثم بعد انتهاء الحج يعتمر.

٢- **القِران**: وهَيئَتُه أن يُحرِمَ بالعمرة والحج جميعًا، فيقول: «لبيك اللهمَّ عمرةً وحجًّا» فيأتي بهما في نُسُكٍ واحد. وقال الجمهور: إنهما يتداخلان، فيطوفُ طوافًا واحدًا، ويَسعى سَعيًا واحدًا، ويُجزِئُه ذلكَ عنِ الحجِّ والعُمرة. وقال الحنفيّة: يطوفُ القارنُ طوافين ويسعى سعيَين: طوافًا وسعيًا للعمرة، ثمَّ طوافَ الزيارةِ والسَّعيَ للحَجِّ. ويَجبُ على القارن أن يَنحَرَ هَديًا بالإجماع.

٣- **التمتع**: وهو أن يُحرِمَ بالعُمرة فقط في أشهرِ الحجِّ، فيقول: «لبيك اللهم عمرةً» ويأتي مكةَ فيُؤَدّي مناسكَ العمرةِ، ويَتحَلَّلُ. ويَمكُثُ بمكةَ حلالاً، ثمَّ يُحرِمُ بالحجِّ ويأتي بأعمالِه. ويجب عليه أن يَنحَرَ هديًا بالإجماع.

أركان الحج:

للحجِّ أركانٌ أساس، إذا تَرَكَ المسلمُ منها شيئًا بَطَلَ حَجُّه.

عند الشافعيّة

أركانُ الحجِّ ستة، وهي تزيد عن أركان العمرة بركن الوقوف بعرفة، وهذه الأركان الستة هي:

(١) أخرجه البخاري (ج٢/٥٥٣ رقم ١٤٤٧) ط ابن كثير- اليمامة بلفظه، وأخرجه مسلم (ج١/٨٩ رقم ٨٣) ط إحياء التراث العربي بنحوه.

١- الإحرام. ٢- الوقوف بعرفة. ٣- طواف الزيارة (الإفاضة).

٤- السعي. ٥- الحلق أو التقصير. ٦- الترتيب بين الأركان.

عند الحنابلة والمالكية

الأركانُ أربعةٌ فقط:

١- الإحرام. ٢- الوقوف بعرفة.

٣- طواف الزيارة (الإفاضة). ٤- السعي.

عند الحنفية:

ركنانِ فقط هما: الوقوفُ بعرفةَ، وطوافُ الزيارةِ (الإفاضة).

ويلاحظُ التّماثُلُ أو التشابهُ الكبيرُ بين أركانِ الحجِّ وأركانِ العمرةِ بما يترتّبُ عليه قَدرٌ مِنَ التّكرارِ في هذا الجُزءِ، وقد سَبَقَ التّنبيهُ عليه.

١- الإحرام: وهو -كما سبق ذكره- في اللغة الدُّخُولُ في الحُرمة. ومعناه الشرعيُّ: نيةُ الحجِّ عندَ الجمهورِ، والنيةُ معَ التّلبية (وهي قول: لبيك اللهم) عند الحنفيةِ. والإحرامُ رُكنٌ مِن أركانِ الحجِّ عند الجمهورِ، وشَرطٌ مِن شُرُوطِ صِحّتِه عندَ الحنفيّة.

٢- الوقوف بعرفة: وهو أن يَقِفَ الحاجُّ بأرضِ عرفة، ويبدأُ وقتُ الوقوفِ بعرفة مِن زَوالِ شَمسِ يومِ عرفةَ -وهو تاسع ذي الحجة- ويمتدُّ إلى طلوع الفجر الصادق يوم عيد النحر حتى لو وقف بعرفة في غير هذا الوقت كان وقوفُه باطلاً اتفاقًا في الجُملة.

وعرفةُ كُلُّها موقفٌ إلا بَطنَ عُرَنة، ويُسَنُّ ألا يدخُلَ عرفةَ إلا بعد الزوال، وبعد أن يَجمَعَ الظهرَ والعصرَ تَقديمًا وقَصرا، فيَقِفُ بعَرَفة مُراعيًا أحكامَه وسُنَنَه وآدابَه، ويَستَمِرُّ إلى غُرُوبِ الشّمسِ، ولا يُجاوِزُ عرفةَ قَبلَه، ويَتَوجّهُ إلى الله في وُقُوفِه خاشعًا

ضارعًا بالدُّعاءِ والذِّكرِ والقُرآنِ والتَّلبية، ويَسقُطُ الفَرضُ بالوقوفِ في تلك المُدّة زمنًا يسيرًا، وما ذُكِرَ أفضل.

٣- طواف الزيارة أو الإفاضة أو الركن:

هو طوافٌ يُؤَدِّيه الحاجُّ بعدَ أن يُفيضَ من عرفةَ ويبيتَ بالمزدلفة، ويأتي مِنًى يومَ العيد، فيَرمي، وينحر، ويحلق، ثم بعد ذلك يُفيضُ إلى مكةَ فيطوفُ بالبيتِ. وسُمِّيَ طوافَ الزيارة لأن الحاج يأتي من مِنًى فيزورُ البيتَ ولا يُقيمُ بمكّة، بل يرجِعُ ليبيتَ بمنًى. ويُسَمّى أيضًا طوافَ الإفاضة؛ لأن الحاجَّ يفعلُه عند إفاضتِه من مِنًى إلى مَكّة.

وعددُ أشواطِ الطوافِ سبعة، ويجبُ المشي في الطوافِ على القادرِ عليه عند الجمهورِ، وهو سُنّة عند الشافعية. ويشترط فيه أن يكون مسبوقًا بإحرام، ومسبوقًا بالوقوف بعرفة، ويبدأ وقت طواف الإفاضة بعد منتصفِ ليلةِ النَّحرِ، لمن وَقَفَ بعرفة، ولا حَدَّ لآخرِه.

٤- السعي:

هو مَشيُ الحاجِّ وسعيُه بينَ جبلَي الصَّفا والمَروة، ويُشتَرَطُ فيه سَبقُ الإحرامِ، وأن يَسبقَه الطَّوافُ، وأن يَبدأ السَّعيَ بالصَّفا، فلو عكس يُلغى الشوطُ ويُحتَسَبُ من عند الصَّفا. وتُسَنُّ الموالاةُ بين السعيِ والطوافِ، ونيةُ السعي، والسعي الشديد بين المِيلَينِ الأخضرين، كما تُسَنُّ الموالاة بين أشواطِ السعيِ عند الجمهورِ، وهي شرطٌ لِصحةِ السعي عندَ المالكيّة.

وقد ذهب الأئمةُ الثلاثة إلى أنَّ السعي ركنٌ من أركان الحجِّ لا يَصحُّ بدونه، حتى لو تَرَكَ الحاجُّ خُطوة منه يُؤمَرُ بأن يعودَ إلى ذلك المَوضعِ فيضَعُ قدمَه عليه، ويَخطو تلكَ الخُطوة، في حين ذَهَبَ الحنفيّة إلى أنّ السعيَ واجبٌ في الحجِّ وليس بركنٍ.

وركنُ السعيِ عند الجمهورِ سبعةُ أشواط، حتى لو تَرَكَ شيئًا منها لم يتحلَّل من إحرامه. أمّا الحنفيةُ فإنّ ركنَ السعيِ أكثرُ أشواطِ السعيِ، أي أربعة، فالثلاثةُ الباقيةُ ليست رُكنًا، وتَنجَبِرُ بالفِداءِ.

والمشيُ للقادرِ واجبٌ في السعيِ عند الحنفيةِ والمالكيةِ، سُنَّة عند الشافعية والحنابلة.

٥- الحلق أو التقصير:

وهو واجب عند الحنفية والمالكية والحنابلة، وعند الشافعية ركن.

والقَدرُ الواجبُ

عند المالكية والحنابلة: هو حَلقُ شَعرِ جميعِ الرأسِ أو تقصيرُه.

وعندَ الحنفيةِ: ربعِ الرأسِ على الأقلّ.

وعند الشافعية: ثلاثِ شعراتٍ على الأقلّ.

والحَلقُ للرجال أفضل في العمرة إلا للمُتَمَتِّعِ، فالتَّقصيرُ له أفضل؛ لكي يُبقِي شَعرًا يأخذُه في الحجِّ. والسُّنَّة للنساءِ التقصير فقط، ويكره الحَلقُ في حقِّهنَّ؛ لأنَّه مُثلة، كما سَبَقَ ذِكرُه.

٦- الترتيب:

وهو رُكنٌ عند الشافعيّة بين الأركانِ السابقة، وهو ليس ركنًا منفصلاً، بل هو كيفيّة لأداءِ تلكَ الأركانِ الخمسةِ المذكورةِ، فَيحصُلُ مع آخرِ رُكنٍ، ويَبدأ مع أوَّلِ رُكنٍ.

سادساً- واجبات الحج:

والواجب في الحج:

هو العملُ الذي إذا تَركَه الحاجُّ لم يَفسُد حجُّه ولم يَبطُل، وإنَّما يجبُ عليه الفداءُ.

وتَنقَسمُ واجباتُ الحجِّ إلى قسمين:

١- واجبات أصلية ليست تابعة لغيرها.

٢- واجبات تابعة لغيرها من الأعمال.

(أ) الواجبات الأصلية:

١- المبيت بالمزدلفة:

وهي مَوضعٌ بجوارِ الحَرَم (بين عرفة ومنى)، ينــزلُ فيه الحُجّاجُ ليلةَ النَّحرِ، وأقلُّ قَدرٍ يُمكنُ للحجّاجِ مُكثُه لإسقاطِ الواجبِ أي زمن يوجد فيه الحاجُّ بعدَ منتصفِ الليلِ من ليلةِ النَّحرِ، وهو ما ذهب إليه الشافعية والحنابلة ونفتي به،ويرى المالكيه أن المرور بالمزدلفه وصلاة المغرب والعشاء جمعا وقصرا يكفى ثم يرحل الى منى او مكه.

والأكمَل:

إذا غَرَبَت شمسُ يومِ عَرَفة يسيرُ الحاجُّ من عرفةَ إلى المزدلفة، ويجمع بها المغرب والعشاء تأخيرًا وقصرا، ويبيتُ فيها ويُصَلِّي بها الفجرَ ويغادرُها بعدَ الشروقِ. ويستحبُّ له أن يلتقط الجمارَ (الحصيات الصِّغار) من المزدلفة، ليرمي بها الجمرة يوم النحر، وهي سبع جمار، وأما للرَّمي كُلّه فعددها سبعون إذا تأخر لآخر أيام التشريق، وتسعة وأربعون إذا تَعَجَّل.

٢- رمي الجمار:

وهو قَذفُ مَواضِعَ مُعَيَّنة بالحَصى، والرَّميُ الواجِبُ لكُلِّ جَمرة (أي موضع الرمي) هو سبع حصياتٍ بالإجماعِ أيضًا، وأيّامُ الرَّميِ أربعة: يوم النَّحرِ (العاشر من ذي الحجة)، وثلاثة أيام بعده وتُسَمّى (أيام التشريق)، ويَرمي يومَ النحرِ جمرةَ العقبةِ وَحدَها فقط، يرميها بسبعِ حصيات. ويَبدأ وقتُ هذه الرَّمية:

عند الحنفية والمالكية: من طلوعِ فجرِ يومِ النَّحرِ.

وعند الشافعية والحنابلة: من منتصف ليلة يوم النحر، ويمتدُّ إلى آخرِ أيامِ التَّشريقِ.

والرميُ في اليوم الأول والثاني من أيام التشريق يكونُ برمي الجِمارِ الثلاثِ على

الترتيب: أولاً الجمرة الصغرى، التي تلي مسجدَ الخَيفِ ثُمَّ الوُسطى بعدَها، ثُمَّ جمرة العقبة، يرمي كُلَّ جمرةٍ منها بسبعِ حصياتٍ.

ويبدأ وقتُ الرمي في هذين اليومين بعدَ الزَّوالِ.

أمّا الوقتُ المَسنُونُ: فيَمتدُّ من زوالِ الشمسِ إلى غروبِها.

وأمّا نِهاية وَقت الرَّمي: فقيَّدَه الحنفيةُ والمالكيّة في كلّ يومٍ بيَومِه، كما في يوم النَّحرِ. وذهبَ الشافعيةُ والحنابلةُ إلى أنَّ آخرَ الوقتِ بغروبِ شمسِ اليومِ الرابعِ من أيامِ النَّحرِ، وهو آخِرُ أيامِ التَّشرِيقِ.

٣- المبيت بمنى:

وهو شُعَيبٌ بين جبال، طولُه ميلان وعرضُه يسيرٌ. قريبٌ من الحرمِ، والمبيتُ به ليالِيَ أيّامِ التَّشريقِ واجبٌ عند جمهورِ الفُقَهاءِ، فيَلزَمُ الدَّمُ لِمَن تَرَكَه بغيرِ عُذرٍ.

٤- طواف الوداع:

وسُمِّيَ طوافَ الصَّدرِ وطوافَ آخرِ العَهد: وذهبَ جمهورُ الفقهاءِ مِنَ الحَنَفيّة والحَنابلة وهو الأَظهَرُ عندَ الشّافعيّة إلى أنَّ طوافَ الوداعِ واجبٌ، وذهبَ المالكيّة إلى أنّه سُنّة فليتخير كل حاج ما يناسب حاليه.

وهيئتُه كهيئةِ طوافِ الإفاضةِ في عددِ الأشواطِ وغيرِه.

وبذلك نكون قد انتهينا من الواجبات الأصلية، ونَذكُرُ فيما يلي الواجباتِ التّابعة.

(ب) الواجبات التابعة:

١- واجبات الإحرام: ويَجبُ على المُحرِمِ أمرانِ في إحرامِه:

- الإحرام من الميقات الزماني والمكاني.
- ترك محظورات الإحرام.

- أما التلبية فهي سنة عند الجمهور خلافا للحنفية.

سابعًا- الإحرام للحج من الميقات:

والميقاتُ مِنَ التَّوقيتِ، وهو: أن يُجعَلَ للشيءِ وقتٌ يَختَصُّ به، ثُمَّ تُوُسِّعَ فيه فأُطلِقَ على المكانِ أيضًا. ويُطلَقُ على الحَدِّ المُحَدَّدِ للشيءِ. والذي نَقصِدُه في الشَّرعِ بالمواقيتِ أنها: مواضع وأزمنة معيَّنة لعبادة مخصوصة. ويجبُ على المسلمِ أن يُحرِمَ من الميقات، فإن جاوَزَ الميقاتَ المكانيَّ فَدى، وإن أحرَمَ قَبلَ الميقاتِ الزمانيِّ فَدى، فما هو الميقاتُ الزمانيُّ والميقات المكانيُّ؟

وقد سبق الكلام عن ذلك، ونؤكِّدُ عليه في هذا الموضع مع ما يقتضيه من زيادة الوضوح والخصوص:

• الميقات الزماني:

وهو الزَّمَنُ الذي يُحرِمُ فيه الحاجُّ بالحجِّ، وهو شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة، وليس المُرادُ أنَّ جميعَ هذا الزمنِ الذي ذكروه وقتٌ لجوازِ الإحرام، بل المُرادُ أنَّ بعضَ هذا الزمنَ وقتٌ لجوازِ ابتداءِ الإحرامِ، وهو من شوّال إلى طُلوعِ فجرِ يومِ النَّحرِ، وبعضُه وقتٌ لجوازِ التَّحَلُّلِ، وهو مِن فَجرِ يومِ النَّحرِ.

• الميقات المكاني:

المُحرِمُ إمّا أن يكونَ آفاقيًا أو ميقاتيًّا أو حَرَميًّا. وإذا تَجاوزَ الحاجُّ الميقاتَ المكانيَّ ولم يُحرِم بعدُ فليُحرِم، وعليه شاةٌ جذعةٌ من الضّأنِ أو ثَنِيّة من الماعز، تُذبَحُ وتُوَزَّعُ على فقراءِ الحَرَمِ.

ثامنًا- ترك محظورات الإحرام:

وهو الواجبُ الثاني من واجبات الإحرام، وهي: الأشياءُ التي يَحرُمُ على المسلمِ فعلُها أثناءَ إحرامه، وإذا فَعَلَها وَجَبَ عليه التَّوبة والكَفّارة عن بعضِها: كُلٌّ فِعلٍ بما يُناسِبُه مِنَ الكَفّارة، وقد سبق تفصيلها في أحكام العمرة، وهي سواء، فلتُراجَع.

● ويجبُ في ارتكابِ شيءٍ مِن محظوراتِ الإحرامِ الفديةُ أو الكفّارة، وفي الجماعِ خاصّةً فَسادُ الحَجِّ وعليه الكفّارةُ والقضاءُ، عَدا ما حُرِّمَ مِنَ الرَّفَثِ والفُسُوقِ والجِدالِ، ففيه الإثمُ والجَزاءُ الأُخرَوِيُّ فقط.

تاسعًا- الكفارات الواجبة:

تَختلفُ الكفّارةُ حَسبَ اختلافِ المَحظُورِ الذي وَقَعَ فيه المُحرِمُ، ويُمكِنُ أن نُقَسِّمَ الكَفّاراتِ الواجبةَ بتَركِ محظوراتِ الإحرامِ إلى ما يلي:

١- الكفارة في حلق الشّعر أو إزالته:

على التَّخييرِ بين شاةٍ أو صيامِ ثلاثةِ أيامٍ أو التَّصَدُّقِ بثلاثةِ آصُعٍ على ستةِ مساكين.

٢- الكفارة في قتل الصيد:

إذا كان الصَّيدُ ممّا لَه مِثلٌ فكفّارتُه أن يُذبَحَ مِثلُه مِنَ الأنعامِ، فالنَّعامةُ يُماثلُها الجَمَلُ أو البقرةُ، والغَزالةُ تُماثلُها الشّاةُ، فإن لم يَجد قَوَّمَه واشتَرى بثَمَنِه طعامًا وتَصَدَّقَ به على فقراءِ الحَرَمِ، فإن لم يَجد صامَ عَن كُلِّ مُدٍّ يومًا، وإن كان الصَّيدُ ممّا ليس له مِثلٌ قَوَّمَ الصَّيدَ نَفسَه واشترى بثمنِه طعامًا وتَصَدَّقَ به أو صامَ عن كُلِّ مُدٍّ يومًا.

٣- الكفارة في قطع شجر الحرم:

الشجرةُ الكبيرةُ كفّارتُها ذَبحُ بَدَنة، والصَّغيرة شاة.

٤- كفارة الجماع:

الجماعُ يترتَّبُ عليه فسادُ الحَجِّ، ويجبُ فيه الكفّارةُ كذلك، وكفّارتُه واجبةٌ، وهي ذَبحُ بَدَنة أو بقرة أو سَبعِ شياه، أو تَقويمُها طعامًا إن لم يَجِد والتَّصدُّقُ بها، أو الصومُ عن كلِّ مُدٍّ يومًا، وذلك عند الشافعية.

وباقي المُحَرَّماتِ يترتَّبُ على فعلِها الإثمُ وتَستَوجِبُ التَّوبة إلى الله، وليس فيها كَفّارةُ دَمٍ.

وباقي الواجبات التّابعة للأعمالِ مُختَلَفٌ عليها: فهي عند بعضهم مِنَ الأركان، وقد ذُكِرَت في الأركانِ، وإمّا عند بعضهم مِنَ السُّنَنِ، وستُذكَرُ في السُّنَنِ إن شاء الله تعالى.

عاشرًا- سنن الحج:

هناكَ سُنَنٌ كثيرةٌ للحجِّ، منها ما يَتَعَلَّقُ بِهَيئة الأداء، وما يتعلَّقُ بالإحرامِ، وما يتعلَّقُ بالسَّعيِ، وهناك سُنَنٌ لا تُعَلَّقُ بأعمالٍ، بل هي مُستَقِلّة، وبيانُ ذلكَ فيما يلي:

سنن الإحرام:

هي: الاغتسال، وتَطييبُ البَدَنِ لا الثَّوبِ، وصلاةُ رَكعَتَينِ، يَفعَلُ هذه الثلاثةَ قَبلَ الإحرام. ثُمَّ التَّلبية عقَبَ النِّيّة، والتَّلبية فرضٌ في الإحرامِ عند الحنفية خلافًا للجُمهُورِ، ويُسَنُّ للحاجِّ أَن يُكثِرَ مِنَ التَّلبية مُنذُ نيّة الإحرامِ بالحجِّ إلى بدءِ الطوافِ باستلامِ الحَجَرِ الأَسوَدِ، وذلك عند الجمهور، وقال المالكيّة: الحاجُّ الآفاقيُّ يُلَبِّي حتى يَبلُغَ الحَرَمَ، لا إلى رُؤية بُيوتِ مَكّة، والحاجُّ من الجِعرانة أو مِنَ التّنعيمِ يُلَبِّي إلى دُخُولِ بُيوتِ مَكّة.

٣- سنن تتعلق بالطواف:

ويُسَنُّ له أن يَضطَبِعَ في أشواط طَوافِه هذا كُلِّها، والاضطباع أن يَجعَلَ الذكر وسطَ الرِّداءِ تحتَ إبطه الأيمن، ويَرُدَّ طرفيه على كتفه الأيسَرِ ويُبقِي كَتِفَه الأيمن مكشوفًا، كما يُسَنُّ للذكر أيضا الرَّمَلُ في الأشواط الثلاثة الأولى ويمشي في الباقي، وليُكثِر الحاجُّ من الدُّعاءِ والذِّكرِ في طوافه كُلِّه. ويُسَنُّ له أيضًا صلاةُ ركعتين بعدَ الطَّوافِ عندَ مقامِ إبراهيمَ عليه السلام.

٤- سننٌ تتعلقُ بالسعي:

تُسَنُّ الموالاةُ بين السعيِ والطوافِ، ونِيّةُ السعيِ، والسَّعيُ الشديدُ بينَ المِيلينِ الأخضرينِ، كما تُسَنُّ الموالاةُ بين أشواطِ السعي عند الجمهور، وهي شرطٌ لصحةِ السعيِ عند المالكية.

٥- ومنها ما لا يتعلق بالأركان وأفعالها:

ـــ كالشرب من ماء زمزم: لِما ثَبتَ عن النبيِّ ﷺ أنَّ ماء زمزم لِما شُرِبَ له.

ـــ وزيارةَ القبر الشريف: ولوْ لغَيرِ الحاجِّ والمُعتَمِرِ، وكم من فائدةٍ لهذه الزيارةِ. وقد نُخَصِّصُ لها موضِعًا خاصًّا.

القسم الثالث

أسئلة وفتاوى

أولاً- أسئلة النفقة:

س: هل يَجِبُ على الزوجِ أن يُحَجِّجَ زوجتَه؟

ج: الحج ركن من أركان الإسلام قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ (آل عمران:٩٧)، والحجُّ واجبٌ على المسلمِ رجلاً كان أو امرأةً إذا كان مستطيعًا في بَدَنه وماله قادرًا على أداء مَناسكِ الحجِّ ونفقاتِه، وللزوجِ ذمّة ماليّة مُستَقلّة عن زوجتِه، وللزَّوجة كذلك ذمّة مالية مستقلةٌ عن زوجِها، فإذا كان أحدُهما مستطيعًا للحجِّ دونَ الآخرِ وَجَبَ الحجُّ على المستطيعِ منهما دونَ غيرِه، سواءٌ أكان المستطيعُ الزوجَ أمِ الزوجةَ، وليس الزوجُ مُكَلَّفًا شرعًا بدَفعِ نفقاتِ الحجِّ لزوجتِه، ولا الزوجةُ مُكَلَّفة بدفعِ نفقاتِ الحجِّ لزوجِها؛ أمّا إذا أرادَ أحدُهما التَّبرُّعَ للآخرِ بنفقاتِ الحجِّ فلا مانِعَ من ذلكَ شرعًا، بل هو من المعاشرة بالمعروف.

س: أنا رجل بالمعاش، عندي أربع بنات تزوجن كلهن عدا الأخيرة بالجامعة، أدَّخِرُ مبلغ عشرة آلاف جنيه لتجهيزِها، فهل أفعلُ هذا أم أحجُّ بهذا المبلغ؟

ج: هذا المبلغُ تَحجُزُه لابنتك؛ لأنَّك مُكلَّفٌ بها وتُؤَجِّلُ الحجَّ إلى أن يَمُنَّ الله عليكَ بمالٍ تستطيعُ أن تَصِلَ به إلى الحجِّ.

س: امرأة تريد الحج لأول مرة وفي نفس الوقت تريد أن تزوج بنت أختها المُتَوَفّى والدُها ووالدتُها، وأموالُ هذه المرأة تكفي لشيء واحد، فماذا تفعل؟

ج: تَحُجُّ؛ لأنَّ الحجَّ فَرضٌ عليها وهي غيرُ مُكَلَّفة بتزويجِ بنتِ أُختها.

س: رجل له ابنٌ يبلُغُ من العُمرِ سبعَ سنوات، وعنده مبلغٌ من المال يكفي لأداءِ فريضةِ الحج، فهل يدَّخِرُ هذا المبلغَ لابنه أم يجبُ عليه أداءُ فريضةِ الحجِّ؟

ج: يَجِبُ عليه أن يقومَ بأداءِ فريضةِ الحجِّ فورًا قَبلَ أن يَلحَقَه العَجزُ بعَدَمِ الاستطاعةِ فإنَّه إن أخَّرَ الحجَّ مع استطاعتِه هذه فهو آثمٌ، ولا يجوزُ له أن يَدَّخِرَ مالَه هذا

ولو لابنه، لأنّ المُتكفِّلَ بالأرزاق هو الحيُّ القيُّومُ الغنيُّ الحميدُ، قال تبارك وتعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ (هود: ٦).

س: لي أخت مطلقة منذ حوالي ٢٠ عامًا ولها أُختانِ توأم عمرهما ثلاثة وعشرون عامًا، يعيشان معها وهي تقوم بالصرف عليهما ورعايتهما، وليس هناك فائضٌ لأداء الحج، فهل من الممكن أن أدفعَ لها مصاريفَ الحجِّ أو أساعدُها، فأنا – والحمد لله– ميسور الحال؟

ج: هذا كلام جميل يَدُلُّ على روحِ الأسرةِ المسلمة كما أرادها الشَّرعُ الشريف وأصَّلَ لها، فكَونُ هذا الأخ يبدي مثل هذا الاستعداد فهذا شيء جميل محمودٌ فطرةً وشرعًا وعُرفًا؛ لأنه يساعد على فعلِ طاعةٍ، فهذا برٌّ وصلةُ رَحِمٍ، وجزاه الله خيرًا وقد قال ﷺ: "الدّالُّ على الخير كفاعله"(١).

س: هل يجب الادخار من أجل الحج؟

ج: لا ينبغي على الشخص تحصيلُ ما يدخُلُ به في الوجوبِ؛ يعني لا يُفرَضُ على المسلمِ أن يَدَّخِرَ حتى يُصبِحَ عنده نصابُ زكاةٍ فيُزَكّي، كذلكَ ليس واجبًا على المسلمِ أن يَدَّخِرَ حتى يُصبِحَ عندَه ما يستطيعُ به الحج. ولكن عندما يرزقُه الله بتَكلفةِ الحجِّ يجبُ عليه الحجُّ، ولا يجبُ عليه أن يُحَصِّلَ ما يُوَصِّلُه إلى ذلك. وليس مَعنى ذلك أن يَتَّجهَ إلى التبذير والإسرافِ وإهلاكِ ما يتبقَّى عن حاجتِه فرارًا من إيجاب الحج عليه. فذلك من الحِيَلِ المُحَرَّمة، ومؤاخاةٌ للشياطين.

---

(١) أخرجه الترمذي (ج ٤١/٥ رقم ٢٦٧٠) ط إحياء التراث العربي، وأخرجه أحمد (ج٥/٣٥٨ رقم ٢٣٠٧٧) ط مؤسسة قرطبة، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير(ج ٢٢٨/١٧ رقم ٦٣٢) ط مكتبة العلوم والحكم.

س: دخلت في جمعية لكي أقوم بالحج، فهل يجوز لي الحج قبل أن تنتهي الجمعية؟

ج: يجوز، حتى لو كنت قد أخَذتَ الدَّورَ الأوَّلَ، ولكن عليك أن تُواظِبَ على السَّداد.

س: هل المال المُدَّخَرُ لأداءِ فريضةِ الحجِّ تجبُ فيه الزكاة؟

ج: إذا بَلَغَ النِّصابَ وحالَ عليه الحَولُ (عام قمري كامل) وجبت فيه الزكاة.

س: ما شرعية دفع مبلغ من زكاة المال للأخ الشقيق ليؤدي فريضة الحج، لعدم تمكُّنه من ذلك؟

ج: فَرَضَ اللهُ تبارك وتعالى الحج على المستطيع في قوله ﷻ: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (آل عمران:٩٧). واختلف الفقهاء في جواز دفع جزء من مال الزكاة للفقير للحجِّ به؛ فجمهور الفقهاء -الإمام مالك وأبو حنيفة والثوري والإمام الشافعي وأبو ثور وابن المنذر ورواية عن الإمام أحمد- يرَون أنه لا يجوزُ ولا يُصرَفُ من مالِ الزكاةِ للفقيرِ ليُؤَدِّيَ فريضةَ الحجِّ؛ لأنَّ الفقيرَ لا يجب عليه الحج بنصِّ القرآنِ الكريمِ، فيَسقُطُ عنه.

والقول الثاني: أن يُعطى الفقيرُ من مالِ الزكاةِ ليستعينَ به على أداءِ فريضةِ الحجِّ، ورُوِيَ هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورُوِيَ عن ابن عمر رضي الله عنهما: (الحج مِن سبيل الله)، وهو قول إسحاق ورواية عن الإمام أحمد؛ لما رُوِيَ عن أُمِّ مَعقَلٍ قالت: لَمَّا حَجَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَجَّةَ الوَداعِ وكان لَنا جَمَلٌ فجَعَلَه أَبُو مَعقلٍ في سَبيلِ اللهِ، وأصابَنا مَرَضٌ وهَلَكَ أَبُو مَعقلٍ، وخَرَجَ النَّبيُّ ﷺ فلَمَّا فَرَغَ من حَجَّةِ جئتُه، فقالَ: "يا أُمَّ مَعقلٍ، ما مَنَعَكِ أن تَخرُجِي معنا"، قالَت: لقد تَهَيَّأنا فهَلَكَ أَبُو مَعقلٍ، وكان لَنا جَمَلٌ هو الذي نَحُجُّ عليه فأوصى به أَبُو مَعقلٍ في سَبِيلِ اللهِ، قال: "فهَلاَّ خَرَجتِ عليه؛ فإنَّ الحَجَّ في سَبيلِ اللهِ"[1].

---

(1) أخرجه أبو داود (ج١/٢٩٧) ط دار الفكر.

والقولُ بالجوازِ مشروطٌ بشرطين: أن يكون ممَّن ليس له ما يحُجُّ به سِواها، وأن يكون الحج هو حجة الفرض[1].

ونحن نأخذ بالقول الثاني وهو الجواز بشرطَيه؛ تخفيفًا وتيسيرًا على الأمّة الإسلاميّة.

س: هل أبيعُ منــزلاً تملكُه والدتي المُسنّة لكي أحُجَّ؟

ج: لا يجوز لك بيعُ منــزلٍ تَملِكُه والدتُك المُسِنّة لكي تَحُجَّ.

س: تبرعت أسرة لأحد العاملين لديها بتكاليف رحلة الحج، واشترطوا أن يكون أداؤه للفريضة في هذه السّنة، وأعطُوه مبلغًا مقاربًا للمبلغِ الذي يُدفَعُ للحجِّ، ومَرِضَ هذا الرجلُ قبلَ الحجِّ وقال لهم إنّه لن يُسافِرَ للحجِّ. ويسأل هؤلاء الناس الآن: هل يَحقُّ لهم استرجاعَ هذا المَبلَغِ منه على أساسِ أنّهم تَبرَّعُوا به له كي يَحُجَّ في هذا العام، أم أنَّ المسألةَ انتهَت بعدَ أن خرجت هذه الأموالُ مِن ذِمّتِهم؟

ج: الحلُّ في ذلك أن يُترَكَ إلى العامِ القادمِ؛ أي أن يأخُذَ العاملُ هذه الأموال ويَحبِسَها للحجِّ ويَخرُجَ في العامِ القادمِ إذا تَحرَّجُوا أن يُرجِعوا منه الأموال، وعليهم أن يُخبِرُوه ويقولوا له: اجعَلها للعامِ القادمِ إن شاء الله.

س: أختٌ مَدينة ولا تَستَطيعُ أن تَفي بما عليها من ديونٍ. هل يجوز لها أن تَحُجَّ وهي في هذه الحالة حيث إنَّ هناك مَن أهداها نفقاتِ الحجِّ؟

ج: عليها أن تذهبَ إلى الدائنِ أو إلى الدائنين وتستأذنَهم في الحجِّ.

أمّا أن يكونَ معها نقودٌ تُنفِقُها في الحجِّ فعليها أن تُسَدِّدَ دَينَها أوّلاً فذلكَ أولى مِنَ الحجِّ؛ لأنَّ الحجَّ لم يُفرَض إلا على المستطيعِ، والمستطيعُ ذِمّتُه خاليةٌ من الديونِ، أمّا الذي عنده أموالٌ كثيرةٌ ولكن يُسَدِّدُ بطريقة منتظمة فعليه أن يَحُجَّ، وهذا شيءٌ مختلفٌ عن حالةِ عدمِ القُدرة على السَّدادِ كما في الحالةِ التي تسألُ عنها الأخت. إذًا فعليها أن

---

(1) المغني ٦/٣٣٤.

تستأذنَ الدائنَ ولها أن تَتَمَتَّعَ بهذه الهبة التي وَهَبَها لها أحدُهم (التذكرة والإقامة وهكذا... إلخ) وتذهبَ وتُؤَدِّيَ فرضَ الله عَسى اللهُ ﷻ أن يستجيبَ لها ويَقبَلَ دعاءَها في الحجِّ ويُسَدِّدَ عنها دَينَها.

س: هل يجوز أداء الحج أو العمرة بنظام الأقساط بضمان جهة العمل وخصم الأقساط من المُرَتَّبِ في حالة وفاةِ الحاج أو المُعتَمِرِ بعدَ أدائه لمَناسكِ الحج أو العمرة، وقد بَقِيَ عليه عددٌ من الأقساط، ومُستَحَقّاتُه لدى الجهة التي يعملُ لديها تَفِي بسَدادِ هذه الأقساط، فهل حجه أو عُمرَتُه صحيحة؟ وهل يختلف الحكم لو كانت المستحقات لا تفي بسداد الأقساط المُتَبَقّية؟

ج: أولاً- يجوز أداء فريضة الحج أو مناسك العمرة مُقَسَّطة، لأنَّ هذا لا يُخِلُّ بركنٍ ولا بشرطٍ من أركانِ أو شروطِ هذه الشعائرِ، ولا مانِعَ مِن أداءِ الحج أو العمرةِ بنظامِ الأقساطِ بضمانِ جهةِ العَمَلِ وخَصمِ الأقساطِ من المُرَتَّبِ.

ثانيًا وثالثًا: صِحّةُ الحج أو العمرةِ تَنبَني على استيفاءِ أركانِها وواجباتِها، ولا تَتأثَّرُ ببقاءِ عددٍ مِنَ الأقساطِ على المُعتَمِرِ سواءٌ أَتَرَكَ وفاءً بذلكَ أم لا، غايةُ الأمرِ أنَّه إذا مات فسيموتُ مدينًا؛ فإن كان عنده سدادٌ للدَّينِ فلا شيءَ عليه في الدُّنيا والآخرة، وإن لم يَكُن عندَه سَدادٌ في أيِّ شيءٍ مِن تَرِكَتِه صارَ مدينًا للشَّرِكَةِ وغيرِها من دائنيه، ولذا لا يَحسُنُ بالمرءِ أن يستدينَ أو يَعقِدَ عَقدًا مُقابِلُه آجلٌ وهو لا يملكُ له وفاءً، وخاصة أن الحجَّ والعمرةَ ليسا واجبين إلا على المستطيع، وغيرُ الواجد للمالِ غيرُ مستطيعٍ خاصّةً مع عدمِ وجودِ السَّدادِ للدَّينِ.

س: أودعتُ مبلغًا من المال في البنك لتأدية فريضة الحجِّ هذا العام وعند سحب المبلغِ وما أُضيفَ إليه مِن أرباحٍ، أبلَغَني مشايخُ القرية بأنَّ هذا المَبلَغَ لا يَصلُحُ للحجِّ وأنَّه ربا، فما الحكمِ الشرعيِّ في ذلك؟

ج: اختلفَ الفُقَهاءُ مُنذُ ظُهورِ البُنوكِ في العَصرِ الحديثِ في تَصويرِ شأنِها طبقًا لاختلافِ أهلِ القانون والاقتصاد في ذلك التصوير فيما إذا كانت العلاقة بين العملاء

والبنك هي علاقةُ القَرضِ كما ذَهَبَ إليه القانونيُّون، أو هي علاقة الاستثمار كما ذهب إليه الاقتصاديون. والاختلافُ في التَّصويرِ يُبنى عليه اختلافٌ في تَكييفِ الواقعة؛ حيثُ إنَّ مَن كَيَّفَها قَرضًا عَدَّه عقدَ قَرضٍ جَرَّ نفعًا، فكان الحكمُ بناءً على ذلك أنَّه مِنَ الرِّبا المُحَرَّمِ.

ثُمَّ اختَلَفَتِ الفتوى: فرأى بعضُهم أنَّ هذا مِن قبيل الضَّرُوراتِ التي يجوزُ للمسلمِ عند الاضطرارِ إليها أن يفعلَها بناءً على قاعدةِ "الضروراتُ تُبيحُ المحظوراتِ"؛ أخذًا مِن عُمُومِ قَــوله تعالي: ﴿ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ (البقرة:١٧٣).

ورأى بعضُهم أنَّه ليس مِن بابِ الضَّرُورة؛ حيثُ إنَّ الضرورةَ تُعَرَّفُ شَرعًا بأنَّها حالة إذا لم يتناول الإنسانُ فيها المُحَرَّمَ هَلَكَ أو قارَبَ على الهلاك، وبعضُ هؤلاءِ رأي الجوازَ مِن قاعدةِ "الحاجة تَنــزِلُ مَنــزِلة الضرورة، عامّة كانت أو خاصّة".

وأمّا مَن سَلَكَ في التَّكييفِ مَسلَكَ الاستثمار: فبعضُهم عَدَّها مِن قَبِيلِ المُضارَبة الفاسدة التي يُمكنُ أن تُصَحَّحَ بإجارة، وبعضُهم ذهبَ إلى أنَّها مُعامَلة جديدةٌ وعَقدٌ جديدٌ غيرُ مُسَمًّى في الفقه الإسلامي الموروث فاجتهدَ فيه اجتهادًا جديدًا كما اجتهدَ فقهاءُ سَمَرقَندَ في عقدِ بيعِ الوفاء باعتباره عقدًا جديدًا، وكما اجتَهَدَ شيخ الإسلام أبو السعود في عقد المُعامَلة وحَكَمَ بحِلّها كما حَكَمَ الأوَّلُونَ بحِلّ الوفاء؛ وذلك لمراعاةِ مصالحِ الناس، ولشدّة الحاجة إليها، ولاستقامة أحوالِ السُّوق بها، ولتَرَتُّبِ مَعاشِ الخَلقِ عليها، ولمُناسَبَتِها لمُقتَضَياتِ العَصرِ مِن تَطَوُّرِ المواصلات والاتصالات والتقنياتِ الحديثة وزيادة السكان وضَعفِ الرَّوابطِ الاجتماعيّة وتَطَوُّرِ علومِ المُحاسَبة وإمساكِ الدفاترِ واستقلالِ الشخصيّة الاعتباريّة عن الشخصيّة الطبعيّة، وغيرِ ذلك كثير.

فالحاصل: أنَّ الخلافَ قد وَقَعَ في تَصَوُّرِ مسألةِ التَّعامُلِ في البُنُوكِ، ومع البنوكِ، وفي تَكييفِها، وفي الحُكمِ عليها، وفي الإفتاءِ بشأنِها.

ومن القواعدُ المقرَّرة شرعًا:

أولاً- أنَّه إنَّما يُنكَرُ تَركُ المتفقِ على فعله أو فعلِ المُتَّفَقِ على حُرمَتِه، ولا يُنكَرُ المُختَلَفُ فيه.

ثانيًا- أنَّ الخروجَ من الخلافِ مُستَحَبٌّ.

ثالثًا- أنَّه مَنِ ابتُلِيَ بشيءٍ مِنَ المُختَلَفِ فيه فليُقلِّد مَن أجازَ.

وفي واقعةِ السؤال، فإنَّه بناءً على ما سبقَ نقول: يجوز للسّائِلِ أن يَتصَرَّفَ في هذا المالِ بكُلِّ أنواعِ التَّصَرُّفِ، وله أن يَحُجَّ مِن هذا المالِ وحجُّه صحيحٌ ولا وِزرَ عليه.

س: ما حكم الحج من مال حرام؟

ج: الحجُّ فرضٌ، وإذا أُدِّيَت مناسكُه كما ينبغي فالحج صحيح وتَسقُطُ هذه الفريضة ولا يُطالَبُ بإعادتها، هذا فيما يتعلَّقُ بصحّة الحجِّ وفساده، ولكن فيما يتعلَّقُ بالمالِ الحرامِ الذي يَحُجُّ منه فإنَّ الأحاديث الشريفة تُفيدُ بأنَّ الذي يَحُجُّ من مالٍ حرامٍ لا ثوابَ له وعليه الإثم مع صحّة العَمَلِ فقهًا، وهذا مثلُ الصلاةِ في أرضٍ مَغصُوبة، فإنَّها رغم أنها تَقَعُ صحيحة وتُسقطُ أداءَ الفريضة إلا أنَّها تَحرُمُ، فالحُرمة والصِّحّة قد يجتمعان معًا في فعلٍ واحد. ومثلُه أيضًا: خِطبة المسلمِ على خِطبة أخيه؛ فالخطبة صحيحةٌ وكذا الزواج المترتب عليها إن حصل، ولكن مع الحُرمة.

س: تَلَقَّيتُ هديّةً ذهبيةً قيِّمة مِن صديقة وقَرَّرتُ بَيعَها لأستخدمَ قيمَتَها في مصاريف الحَجِّ، لكنَّني عَلمتُ أنَّ زَوجَها يستهزئُ بالدينِ وبشعائرِه، وأنَّه حجَّ ولكنَّه لم يَكُن مُقتنعًا بهذه المناسك، فقَرَّرتُ بيعَ الهديةِ واستخدامِ قيمَتِها لأغراضٍ أخرى. فماذا ترى؟

ج: إذا كان الحال كما ورد بالسؤال فنُفيدُ بأنَّ سيدَنا رسولَ الله ﷺ يقول: "تهادُوا تَحابُّوا" [1]؛ فالهديّة بينَ المسلمين جائزةٌ شرعًا، وهي صحيحةٌ إن شاء الله ولا وِزرَ على مَن أُهديَت إليه، وإنَّما الوِزرُ على صاحبِ المال، وهو الذي يُسأَلُ عن ماله مِن أينَ اكتَسَبَه وفيمَ أنفَقَه. وما يقومُ به زوجُ هذه الصَّديقة هو الذي يتحمَّلُ تَبِعَتَه، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ (فاطر:١٨) وقال سبحانه: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ (المدثر:٣٨).

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (ج ٢٠٨/١ رقم ٥٩٤) ط دار البشائر الإسلامية.

س: هل يجوز أن تحجَّ سيدةٌ مُسِنّة من مالِ مَسيحيٍّ جارٍ لها؟

ج: يجوزُ، ولا شيءَ في ذلك، لأنَّ المالَ الذي أخذَته مِن جارِها المسيحيِّ هِبة تَمَلَّكَتها ثُمَّ حَجَّت مِن مِلكِها.

س: هل يجوز أداء الحج من أموال تَمَّ اكتسابها من عقودٍ فاسدةٍ مُبرَمة مع غيرِ المسلمين فى بلاد المسلمين كبيعِ لحمِ الخنزيرِ لهم؟

ج: الحجُّ فرضٌ، وإذا أُدِّيت مناسكُه كما ينبغي فالحج صحيح وتَسقُطُ هذه الفريضة ولا يُطالَبُ بإعادتها، هذا فيما يتعلَّقُ بصحّة الحجِّ وفساده، ولكن فيما يتعلَّقُ بهذه الأموال التي ذَكَرَها السائلُ في سؤاله؛ فان الله تعالى "طَيِّبٌ لا يَقبَلُ إلاَّ طيبا "[1]. وعن أبي هريرة ﷺ أيضا قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا خرجَ الحاجُّ حاجًّا بنفقةٍ طيبة ووَضَعَ رِجلَه في الغَرزِ فنادى: لَبَّيكَ اللهمَّ لَبَّيك، ناداه مُنادٍ مِنَ السماء: لَبَّيك وسَعدَيك، زادُكَ حلالٌ، وراحِلَتُكَ حلالٌ، وحجُّك مبرورٌ غيرُ مأزورٍ، وإذا خرجَ بالنَّفقةِ الخبيثة فوضعَ رِجلَه في الغَرزِ فنادى: لَبَّيك، ناداه مُنادٍ مِنَ السماء: لا لَبَّيك، ولا سَعدَيك، زادُك حرامٌ، ونَفَقَتُك حرامٌ، وحَجُّك مأزورٌ غير مبرورٍ"[2].

فهذه العقودُ مَحَلِّ السؤالِ عقودٌ فاسدة فى بلاد المسلمين، والمالُ المكتسبُ منها خَبيثٌ، وعلى السائل أن يخرجَه للمُعدَمينَ مِنَ الفقراءِ المحتاجين لِيُطَهِّرَ نفسَه منه، ولا يَستَعمِلُه لا في حَجٍّ ولا غيرِه من مصالحِه الشخصيّة أو الدِّينيّة.

س: اعمل فى بلاد غير المسلمين فى محل جزارة ومما يبيعه الخنزير وذلك لغير المسلم وقد توفر لدى بعض المال واريد ان احج منه فهل يجوز؟

ج: يجوز الحج من هذا المال؛ لان السادة الاحناف قد قالوا: بحل العقود الفاسده فى بلاد غير المسلمين مع غير المسلمين، وهى وإن كانت عقود فاسدة حرام فى بلاد

---

(1) جزءٌ من حديثٍ أخرجه مسلم (ج٢/٧٠٣ رقم ١٠١٥) ط إحياء التراث العربي، وأخرجه أحمد (ج٢/٣٢٨ رقم ٨٣٣٠) ط مؤسسة قرطبة.

(2) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (ج٥/٢٥١ رقم ٥٢٢٨) ط دار الحرمين.

المسلمين كما تقدم، إلا أنها جازت مع غير المسلمين في بلاد غير المسلمين لإدلة في ذلك كثيرة، ولأن ديار غير المسلمين ليست محل لإقامة أحكام الإسلام .

س: أيهما أفضل: تكرارُ الحجِّ والعمرةِ، أم الإنفاق على البحث العلمي؟

ج: حسب الحال؛ هناك أُناسٌ لا يستطيعون أن يمنعوا أشواقَهم عن الحجِّ والعمرة، أمّا لو حَضَرَ في قلبك أنَّ البحثَ العلميَّ أساسٌ مِن أُسُسِ الدِّيانة وركنٌ من أركانِها في عصرنا الحاضرِ فأخرَجتَ المالَ ابتغاءَ وجه الله يُحسَبُ لك إن شاء الله كثواب الحج والعمرة وأزيَدَ منها، أمّا لو كان قلبُك لا يُطاوِعُك فالعبرة بالقلوب، وما يقع في النفس من أنها الأوجب، وكل امرئ بما كسب رهين.

س: أيهما أفضل: تكرار الحج أم العطاء للفقراء؟

ج: حسب الحال أيضًا، فهناك شخصٌ يكونُ مُشتاقًا جدًّا ومُتعَبًا جدًّا وذنوبُه كثيرةٌ وحياتُه سيِّئة فهذا يذهبُ للحجِّ، وهناك آخر يذهبُ للتَّنَزُّه أو للتسوُّقِ أو رياءً فهذا يُخرِجُ هذه الأموال عطاءً لوجه الله، وذلك خيرٌ من تكرارِه ما لا يستفيدُ منه.

ثانيًا- أسئلة الحج و العمرة عن الغير:

س: تُوفِّيَ والدِي وكان قد عَزَمَ على الحجِّ، فهَل يجبُ عَلَيَّ أن أَجعَلَ أَحَدًا يَحُجُّ عنه؟

ج: إذا كان قد عزم فقط ولكن لم يكن معه مال، أو إذا كان قد حج حجة الإسلام، أو كان معه مال و لم يكن قد حج حجة الإسلام ولكنه مات قبل دخول شهر شوال عليه فلا يجب أن يُحَجَّ عنه، وإنَّما يُستحب استحبابا آكدًا، أما إذا كان لم يحج حجة الإسلام وكان معه مال ودخل عليه شهر شوال ثم مات قبل حجه فقد وجب عليه الحج، فيجب الحج عنه من ماله الذي تركه؛ لأنه دَين عليه ولا يورث عنه إلا ما بقي بعد تأدية فريضة الحج عنه منه.

س: هل يجوزُ للمَرأةِ أن تُـؤَدِّيَ الحج أو العمرةَ عن أبيها أو زوجِها المتوفّى؟

ج: جاء في الحديث أنَّ امرأةً سألت النبيَّ ﷺ أنَّ أباها قد ماتَ وعليه الحجُّ فأمَرَها أن تُؤَدِّيَ عنه دَينَه. فهذا يُثبتُ أنَّ المرأةَ تحجّ عن الرجل، والنبي ﷺ يقول في هذا الشأن وغيره: "النِّساءُ شَقَائِقُ الرِّجال"(١). فليس هناكَ فَرقٌ بَينَ أن يقومَ رجلٌ بالحجِّ أو العمرة عنه وأن تَقُومَ بذلكَ المَرأة، سَواءٌ أكانت ابنتَه أم زوجَه أم غيرهما.

س: أوصت لأخيها بالحجِّ عنها، فهل يجبُ أن يَحُجَّ بنفسِه أم يجوزُ غيره؟

ج: يجوز أي أحد، بشرط أن يكون قد أدى فريضة الحج عن نفسه قبل ذلك.

س: أمِّي قادرةٌ على الحجِّ، ولكنَّ أبي مشلولٌ ولا يستطيعُ الاستغناءَ عن خِدمَتِها، فهل يُمكِنُ أن يُؤَجَّلَ لها الحج؟

ج: نعم، يمكن، ونَصَّ العلماءُ على أنَّ مَن كان عندَه مريضٌ لا يستطيعُ أن يَترُكَه سواءٌ كان أخًا أو أبًا أو ابنًا أو جارًا ولو ترَكَه لَماتَ ولا يَجِدُ مَن يَقومُ به غَيرَه فلا بُدَّ عليه أن يَبقى بجانبِه، وأنه يكون غير مستطيع حينئذ.

س: سيدةٌ أصيبت بمرضِ الزهايمر، فهل عليها الحج؟

ج: ليس عليها حج بنفسها، ويمكنُ أن يَحُجَّ عنها غيرها بشرط أن يكون قد أدى فريضة الحج عن نفسه قبل ذلك.

س: أعاني من مرض ارتفاع نسبة السكر في الدم مما يستلزم دخول الحمام كل ساعتين تقريبًا، وأُعاني من ارتفاعِ ضغط الدم الذي أدّى إلى إصابتي بجلطةٍ خلفيّة بالقَلب، كما أنني أُعاني مِنَ ارتفاعِ نسبةِ الكوليسترول عن الحَدِّ المسموحِ به ولذلك فإنني أرى عدمَ قُدرَتي على أداءِ مناسكِ فريضةَ الحجِّ، ولي ابنة مُتزَوِّجة

---

(1) أخرجه الترمذي (ج١/١٩٣ رقم ١١٣) ط إحياء التراث العربي، وأخرجه أبو داود (ج١/٦١ رقم ٢٣٦) ط دار الفكر، وأخرجه أحمد (ج٦/٢٥٦ رقم ٢٦٢٣٨) ط مؤسسة قرطبة.

ومُقيمة بجدّة بالمملكة العربية السعودية وستحج هي وزوجُها هذا العام للمرّة الثانية، فهل يجوز لها أن تحُجَّ عنّي هذه الحجة للأسباب التي سبق ذكرها؟

ج: يقول الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (آل عمران:٩٧) فالاستطاعة شرطٌ لوجوبِ الحجِّ، وهي تَشمَلُ الزّادَ والرّاحلة، أي ما يستطيعُ به الحاجُّ الوصولَ إلى بيتِ اللهِ الحرامِ والعودةَ في أمنٍ وأمانٍ، وقد فُسِّرَت الاستطاعةُ بالصِّحة عندَ بعضِ الفقهاء.

وبناءً على ذلك وفي واقعة السؤال: فإنَّ السائلَ ما دامَ غيرَ قادرٍ على أداءِ فريضة الحج لمرضه الذي ذَكَرَه في طَلَبِه فإنّه لا حجَّ عليه؛ لأنّه غيرُ مستطيعٍ وغيرُ قادرٍ صحيًّا، وهذا ما ذَهبَ إليه الإمامُ مالكٌ، ويرى الإمامُ أبو حنيفة والشافعي وأحمد رحمهم الله تعالى أنَّه متى وَجَدَ مَن ينوبُ عنه ومالاً يَستَنيبُه به لَزِمَه أن يُنيبَ عنه غيرَه، ويُشتَرَطُ فيمن ينوبُ عنه أن يكونَ أدّى الفريضةَ عن نَفسه أوَّلاً[١].

وعليه فإنه يجوز لك أيها السائل أن تُنيبَ عنكَ ابنَتك لتُؤَدِّيَ عنكَ فريضةَ الحجِّ هذا العام على رأي جمهور الفقهاء؛ لأنها قد أدَّت الفريضةَ عن نَفسِها.

ثالثًا- المحرَم:

س: هل يجوز للمرأةِ السَّفَرُ للحجِّ بدونِ مَحرَمٍ وإن كان عمرُها يفوقُ أربعين عامًا؟

ج: للمرأة أن تُسافرَ لحجِّ الفريضةِ مع رفقة آمنة أو معَ نِسوة صالحاتٍ إن تَوَفَّرَ الأمنُ، صغيرةً كانت المرأةُ أو كبيرةً، إذا تَوافَرَت شروطُ الوجوبِ الأُخرى، وهذا عندَ الشافعيّة والمالكيّة، أو حتى وحدها إن توفر الأمن عند الشافعية، أمّا إن كان حجَّ نَفلٍ أو سَفَرٍ غيرَ واجبٍ فيُشتَرَطُ المَحرَمُ أو الزَّوجُ عند الجمهور، ويجوز بغير شرط المحرم عند بعض العلماء بشرط الأمن.

---

(1) انظر: المهذب (١/١٩٩) ونيل الأوطار (٤/٣٢٠) وبدائع الصنائع (٢/٢١٢) والكافي (١/٥١٤).

س: معي عشرة آلاف جنيه وأريد الحج وأريد مَحرَمًا، وزوجي ليس معه مال، فهل يجب عليَّ الحج؟

ج: الحجُّ يجبُ عندَما يكونُ معكَ مال يُوَصِّلُكِ أنتِ والمَحرَمُ إلى بيتِ اللهِ الحرامِ، أمّا إذا لم يكن معكِ فليس بواجبٍ؛ لأنكِ حينئذ غير مستطيعة.

رابعًا- الإحرام:

س: هل تجوز الخياطة التي فوق الحزام الذي يلبسه الحاج؟

ج: بشرط ألا تكون هذه الخياطة واصلة الحزام، فلو كانت فوقه فلا مانع، لكنَّ واصِلة الحزامِ لا بُدَّ أن تكونَ "مكبسنة".

س: هل النَّظّارة والسّاعة إذا لَبِسَهما المُحرِمُ يَبطُلُ إحرامُه؟

ج: لبس النَّظّارة والسّاعة والخاتم والدبلة أو غيرها من الأدوات لا يُبطِلُ الإحرامَ؛ لأن المراد بالمَخِيط والمُحِيط ملابس الإحرام الإزار والرداء.

س: هل المرأة في الحج لا بد أن تلبس البياض أو السواد؟

ج: لا، ولو لبست البياض لكان أحسن.

س: أعاني من حالة مَرَضِيّة تَتَمَثَّلُ في استئصالِ وَرَمٍ سَرَطانيٍّ بالبروستاتا، ومِنَ الأعراضِ تَبَوُّلٍ غيرِ إراديٍّ في بعضِ الأوقات، ورأيُ الطبيب أنَّ هذه الحالةَ تستغرقُ بعضَ الوقتِ وهو غيرُ مُحَدَّدٍ علميًّا. وأنا بصدد السفر لأداء مَناسكِ العمرةِ وأرتَدي حفّاظاتٍ بها خياطة ومطاط، فهل يجوز ارتداؤها أثناءَ المَناسِك؟

ج: إذا كان الحال كما ورد بالسؤال فيجوز لك ذلكَ، بل يَجبُ عليك لِبسُ هذا الشيءِ صيانةً للمسجدِ الحرامِ والمسجد النبويِّ، ولَكِن عليك كَفّارة تَتَخَيَّرُ فيها بينَ أن تَذبَحَ شاةً أو تَتَصَدَّقَ على ستّة مساكينٍ أو تصومَ ثلاثةَ أيامٍ.

س: هل يجوز أن أدخل مكة بنيّة الحجّ وألبسَ ملابسَ الإحرامِ داخلَ مكةَ، وذلك خوفًا من أن يَمنعُوني مِن دُخُولِ مَكّة لعَدَمِ تَمكُّني من عَمَلِ تَصريحٍ بالحجِّ، وماذا يكونُ عَلَيَّ من فداءٍ في هذه الحالة؟

ج: إذا كان الحالُ كما ورد بالسؤال فمنَ المُقرَّرِ فقهًا أنَّ مَن كان له عُذرٌ واحتاجَ إلى ارتكابِ محظورٍ مِن محظوراتِ الإحرامِ غيرَ الوطءِ كحلقِ الشَّعرِ ولبسِ المخيطِ ونحو ذلك لَزِمَه أن يذبحَ شاةً، أو يُطعمَ ستّة مساكينَ، كل مسكين نصف صاعٍ، أو يصوم ثلاثة أيام، وهو مُخيَّرٌ بينَ هذه الأمورِ الثلاثة، ولا يَبطُلُ الحجُّ بارتكابِ شيءٍ من المحظورات سوى الجماع؛ فعن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن كَعب بنِ عُجرة أنَّ رسول الله ﷺ مَرَّ به زمنَ الحديبية فقال: "لعلكَ آذاكَ هَوامُّكَ"، قال: نعم يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: "احلَق رَأسَكَ وصُم ثَلاثَةَ أيّامٍ أو أَطعِم سِتّةَ مساكين، أو انسُك بشاةٍ" (١).

س: هل يجوز لبس ملابس الإحرام عند الخروج من البيت، وعند الميقات أنوي العمرة ثمّ أُصلّي رَكعَتَين بنيّة الإحرام؟

ج: نعم، يجوزُ لِبسُ ملابسِ الإحرامِ عندَ الخروجِ مِنَ البَيتِ، وعندَ الميقاتِ أو قبله تصلّي ركعتين للإحرامِ ثم تنوي العمرة.

س: ما حكم مَن أَحرَمَ قَبلَ أو بعدَ الميقاتِ المَكانيّ؟

ج: لا بأس بالذي يُحرِم قبل الميقاتِ المكانيّ، لكنَّ الذي يُحرِمُ بعدَ الميقاتِ المكانيّ يكونُ عليه دم، وأمّا مَن أحرَمَ بالعمرةِ وذهبَ إلى مكّة وتحلل مُتَمتّعًا إلى الحج وجلسَ في مكّة أو جدة مثلا فعندما يأتي وقتُ الحج يُحرِمُ مِن مَكّة أو مِن جدة.

---

(١) أخرجه البخاري (ج٢/٦٤٤ رقم ١٧١٩) ط ابن كثير- اليمامة، وأخرجه مسلم (ج٢/٨٦١ رقم ١٢٠١) ط إحياء التراث العربي.

س: مَرَّ على الميقاتِ بدونِ إحرامٍ ونَزَلَ جدة ثُمَّ ذهبَ إلى المدينةِ وأقامَ بها ثُمَّ أَحرَمَ، فهل عليه شيءٌ؟

ج: لا شيءَ عليه، فهذا تَصرُّفٌ صحيحٌ.

س: ما حُكمُ مَنِ اعتَمَرَ مُسافِرًا من مصرَ وأرادَ أن يَعتمِرَ مَرّة أُخرى؟

ج: يَخرُجُ إلى التَّنعيمِ ويَعتَمِرُ مَرّاتٍ، ولا بأسَ إن كرر ذلك.

س: كنتُ في مهمّة عملٍ إلى جدة، ووصلتُ دونَ إحرامٍ، ثُمَّ أَحرَمتُ مِن هناك، فهل هذا جائزٌ؟ ثُمَّ رجعتُ إلى جدة ومِنها إلى المدينة وأَحرمتُ من هناك بعمرة ثم رجعتُ إلى جدة ومنها إلى مصر، فهل تجاوزتُ الميقاتَ المكانيَّ للإحرامِ؟

ج: هذا جائزٌ، لأنَّك لما جاوزت الميقات المكاني إلى جدة لم تَكُن قاصدًا البيتَ الحرامَ، إنَّما كُنتَ قاصدًا لمكان ما للعملِ أو للزيارة أو للتجارة، ثمَّ بعدَ ذلكَ شرعت في عمرة، فلكَ أن تُحرِمَ مِن جدّة ولا بأسَ بذلك. وهذه ليست حالةُ تجاوزِ الميقاتِ المكانيّ؛ لأنَّكَ لا بُدَّ أن تكونَ ناويًا وقاصدًا العمرة لا غيرها، فإن لم تَكُن قاصدًا البيتَ الحرامَ فلا إحرامَ.

س: أحرَمتُ مِن مطار جدة للعمرة، فهل عليّ دم؟ علمًا بأنني مقيم في مصر.

ج: إذا كنت قد ذهبت لجدةَ مِن أجلِ العملِ وفي مطارِ جدة أحرَمت مِن هناكَ فلا شيءَ عليك، لكنَّك لو قَصَدت البيتَ الحرام مِن مصرَ فعليك دم.

س: هل يجوز الإحرام لمناسك العمرة بالقاهرة أم بأبيار علي؟ وبعد أداء مناسك العمرة هل يجوز الإحرام مرة أخرى من مسجد التنعيم؟

ج: إن كُنتَ مُتَوَجِّهًا مِنَ القاهرةِ إلى المدينة فيجوزُ الإحرامُ مِنَ القاهرة، والأفضلُ أن تُحرِمَ مِن (أبيار علي)، ويجوزُ لكَ بعدَ أداءِ مناسِكِ العُمرة الإحرامُ مِن مسجدِ التَّنعيمِ لأداءِ عُمرة أُخرى.

س: رجل في مصر ويريد أن يقومَ بعمرةٍ وهو يعمل بحائل في السعودية، ويقول: من أين يُحرِم؟

ج: إن تَوَجَّهَ إلى مكةَ مِن مصرَ فيُحرِمُ مِنَ القاهرة، وإن توجه إلى مكةَ من حائل فيحرم من ميقات حائل.

خامساً- الحلق والتحلل:

س: هل يستحب لمن يحلق للحاج أن يكون حلالا أو يكون قد تحلل من إحرامه؟ وهل يستحب له ألا يساوم في سعر الحلاقة أو ذبح الهدي؟

ج: يحلق للحاج أي أحد، ولا يساوم الحاج في سعر الحلاقة أو ذبح الهدي.

س: أدَّيتُ الحجَّ مُنذُ عامَين، لَكنِّي تذَكَّرتُ الآن أنّني لم أَقُم بالتَّحَلُّلِ الأصغرِ أي قَصُّ جزءٍ مِن شَعرِ الرّأسِ بعدَ رَمي الجمرات، وأريدُ أن أعرفَ مِن فضيلتِكم ماذا أفعل؟

ج: أنت هكذا نَسيتَ، فعليكَ دم، والدم يكون هناك في الحرمِ، وتَقُصُّ شَعرَكَ أو تحلق، وكُلُّ هذه الفترةِ فيها هَديٌ.

سادساً- الطواف والسعي:

س: كنت أعمل في المملكة العربية السعودية مدة ستّ سنوات وبالتّحديد في مكّة المكرمة، وعندما كنتُ أنزلُ في إجازة سنويّة أقومُ بعَمَلِ طَوافِ الوَداعِ، إلا أنّه عندَما قَرَّرتُ إنهاءَ عَقدي هناكَ وفي زَحمة إنهاءِ أوراقِي نَسيتُ القيامَ بعَمَلِ طوافِ الوداعِ عن غَيرِ قَصدٍ بالرَّغمِ مِن قِيامي قَبلَها بيومين بعملِ عُمرة، فهل عليَّ ذنبٌ في هذا النسيان؟

ج: اتَّفَقَ فُقَهاءُ الشريعةِ الإسلاميةِ على أنَّ طوافَ الوداعِ مَشرُوعٌ؛ لما رواه مسلم وأبو داود عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النّاسُ يَنصَرِفُونَ في كُلِّ وَجهٍ، فقال رسول الله ﷺ: "لا يَنفِرَنَّ أَحَدٌ حتى يَكُونَ آخِرُ عَهدِه بالبَيتِ"(١).

---

(1) أخرجه مسلم (ج٢/٩٦٣ رقم ١٣٢٧) ط إحياء التراث العربي، وأخرجه أبو داود (ج٢/٢٠٨ رقم ٢٠٠٢) ط دار الفكر.

إلا أنَّ الفُقَهاءَ قد اختَلَفُوا في حُكمه:

فقال الإمام مالك وداود وابن المنذر: إنَّه سُنّة لا يَجبُ بتَركِه شَيءٌ، وهو قولٌ للإمام الشافعيِّ[١]، وقال الإمام أبو حنيفة والإمام أحمد إنَّه واجبٌ ويَلزَمُ بتركه دم[٢]، وهو الأصح عند الشّافعيِّة.

وعليه فليس عليك شيء على رأي مالك ومن قال برأيه، وعليك دم على رأي الجمهور.

س: أدَّيتُ فريضةَ الحجِّ مُنذُ خَمسِ سنواتٍ ولم أَطُف طوافَ الوداعِ، فما حكم ذلك؟

ج: إجابة السؤال السابق تجري على هذا السؤال.

س: في طواف الوداع كانت صلاة العشاء في الشوط الثاني فصَلَّيتُ وأنا في مكاني بصلاةِ الإمامِ. فما الحُكمُ؟

ج: لا مانع، وتُكمِلُ لأنَّ الصلاةَ لا تَقطَعُ الطَّوافَ.

س: كنتُ في الطواف فأحدَثَ (نقض وضوءه) شخصٌ معي، ثمَّ خَرَجتُ مِن الطَّوافِ مسافةً قصيرةً وأعطيتُه ماءً فتوضّأ وأتممنا الطَّوافَ، فما الحكم؟

ج: الطوافُ صحيحٌ ما دمت قد عُدتَ إلى مكانك الأول.

س: بعد الطواف تَبيَّنَ لي أنَّني لم أكُن على وضوءٍ، عِلمًا بأنَّني قد جَمَعتُ بينَ طوافِ الإفاضةِ والوداعِ وكان طوافي في اليومِ الثّاني مِن أيّامِ التَّشريقِ، فما الواجبُ عليَّ؟

ج: عليك دم عند الحنفية.

---

(1) انظر الأم (٢/١٨٠) ونيل الأوطار للشوكاني (٥/١٧٠).
(2) انظر المدونة الكبرى (٢/٥٠٢) والمغني (٣/٢٣٧) وبداية المجتهد (١/٢٧٣).

س: هل يُمكنُ للمرأة الحائضُ الطوافُ في العمرةِ إذا خَشيَت فواتَ الرَّكب؟

ج: إذا فعلَت فعليها بَدَنة عند الحنفية وشاة عند الحنابلة وبه نفتي .

س: ما حُكمُ أخذُ حُبُوبٍ لَمنعِ الدَّورة الشَّهريّة في العُمرة والحَجِّ؟

ج: لا مانعَ مِن أخذ الحُبُوبِ لَمنعِ الدَّورة الشهريّة في العُمرة أو الحَجِّ ما لم يَترتَّب على ذلكَ ضَرَرٌ غالب يَلحَقُ المَرأة.

س: ذهبتِ إلى مكةَ وكنتُ مقيمةً مع زوجي في المملكة العربية السعودية وذهبتُ لعَمَلِ عمرة وكنتُ حائضًا فأخَذتُ دواءً لرَفعِ الدمِ، فارتَفعَ، وقُمتُ بأداءِ العمرةِ، معَ العِلمِ بأنّني كلما نَزلتُ الحرمَ للصلاةِ وغيرِها أغتسلُ، فهَل عُمرَتي صحيحةٌ؟

ج: طالما أن الدم ارتَفعَ فعُمرَتُك صحيحةٌ.

س: صبيٌّ لا يستطيع الطوافَ بنفسِه ويَحمِلُه أبوه، فهل يطوفُ به؟

ج: نعم، يطوفُ به أبوه أو مَن يَحمِلُه، وكذا في كُلِّ المناسِك.

س: لماذا تَكشِفُ المرأةُ وَجهَها أثناء الطَّواف؟

ج: لأن هذا هو إحرامُها؛ فإحرامُها في وجهِها وكَفَّيها.

س: لماذا يَختَلِطُ الرجالُ بالنِّساءِ أثناءَ الطَّوافِ، ولماذا كان ذلكَ جائزًا؟

ج: هو جائزٌ للحاجة والضَّرُورة.

س: عند استلام الحجر الأسود نقول: (اللهمَّ إيمانًا بكَ وتَصديقًا بكِتابِكَ ووَفاءً بعَهدِكَ واتباعا لسنة نبيك ﷺ)، فما المرادُ بالوفاء بالعَهد؟

ج: العهدُ الذي أخَذَه الله ﷻ علينا بالتَّوحيد، في قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ ﴾ (الأعراف:١٧٢)، والعهد الذي أخذه علينا بطاعة أوامره.

س: رجل يقول إنَّ الطَّوافَ حَولَ الحِجارة التي هي الكعبة فضيحة للمسلمين أمامَ الكفّارِ، فما تعليقكم؟

ج: لعنة الله على هؤلاء الكفار، فهل هذه هي فقط التي لو هَدَمناها لأسلموا أم هي غُصّة في صَدرِ كُلِّ كافرٍ! فهذا بيتُ الله، ونحن عندما نطوفُ نذكرُ ونَتلو ونُسَبِّح، والتسبيح يعني تنـــزيه الله عن كُلِّ ما يُشرَكُ به فيه. فالكعبة إنما هي مَهبطُ الرَّحَمات والبركات وأماكنُ استجابةِ الدعاء ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ﴾ (آل عمران:٩٦/٩٧).

س: هل يجوز أن نجمع بين طواف الإفاضة والوداع؟

ج: نعم، اجعل آخرَ عَهدِكَ بالبيتِ الطوافَ؛ سواء أكان طواف وداعٍ أم كان مُستقلاً أم كان للإفاضة.

س: حَجَّ شخص مُتَمَتِّعًا حيثُ إنَّه طاف للعمرة في أشهر الحج وسعى وقَصَّرَ وبقي في مكة المكرمة، ثمَّ نَوى الحجَّ من نفس العام يوم ثمانية، وطافَ طوافَ الرُّكنَ لَكِنَّه لم يَسعَ، فما الحُكمُ؟

ج: ما دامَ مُتَمَتِّعًا فيَجِبُ عليه السَّعيُ مَرّة ثانية، أما إذا كان حجَّ مُفرِدًا أو قارنًا فيكفيه سعي واحد.

سابعًا- المبيت في منى ورمي الجمار:

س: ذهبتُ للحجِّ في العامِ الماضي، ولم أكُن أبيتُ في مِنًى أثناءَ رَميِ الجِمارِ، وكُنتُ أبيتُ في مَكّة مع العِلمِ أنّني كُنتُ قادرًا على المبيتِ في مِنًى؟

ج: المبيتُ بمِنًى سُنّة عند السّادة الحنفيّة، وعليه فمَن تَركَ المَبيتَ بمِنًى فلا شيءَ عليه عندهم[١].

---

(1) بدائع الصنائع (٢/١٤٩).

س: رجل يقول إنَّ الطَّوافَ حَولَ الحجارة التي هي الكعبة فضيحة للمسلمين أمامَ الكفّارِ، فما تعليقكم؟

ج: لعنة الله على هؤلاء الكفار، فهل هذه هي فقط التي لو هَدَمناها لأسلموا أم هي غُصّة في صَدرِ كُلِّ كافرٍ! فهذا بيتُ الله، ونحن عندما نطوفُ نذكرُ ونَتلو ونُسبِّح، والتسبيح يعني تنــزيه الله عن كُلِّ ما يُشرَكُ به فيه. فالكعبة إنما هي مَهبطُ الرَّحَمات والبركاتِ وأماكنُ استجابةِ الدعاء ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ۞ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ﴾ (آل عمران:٩٦/٩٧).

س: هل يجوز أن نجمع بين طواف الإفاضة والوداع؟

ج: نعم، اجعل آخرَ عَهدِكَ بالبيتِ الطوافَ؛ سواء أكان طواف وداعٍ أم كان مُستَقلاً أم كان للإفاضةِ.

س: حَجَّ شخص مُتَمَتِّعًا حيثُ إنَّه طاف للعمرة في أشهر الحج وسعى وقَصَّرَ وبقي في مكة المكرمة، ثمَّ نَوى الحجَّ من نفس العام يوم ثمانية، وطافَ طوافَ الرُّكنَ لَكِنَّه لم يَسعَ، فما الحُكمُ؟

ج: ما دامَ مُتَمَتِّعًا فَيَجِبُ عليه السَّعيُ مَرّة ثانية، أما إذا كان حجَّ مُفرِدًا أو قارِنًا فيكفيه سعي واحد.

سابعًا- المبيت في منى ورمي الجمار:

س: ذهبتُ للحجِّ في العامِ الماضي، ولم أكُن أبيتُ في مِنًى أثناءَ رَمِي الجِمارِ، وكُنتُ أَبيتُ في مَكّة مع العِلمِ أنَّني كُنتُ قادِرًا على المبيتِ في مِنًى؟

ج: المبيتُ بمِنًى سُنّة عند السّادة الحنفيّة، وعليه فمَن تَرَكَ المَبيتَ بمِنًى فلا شيءَ عليه عندهم[١].

---

(1) بدائع الصنائع (١٤٩/٢).

س: خرجت من المزدلفة بعد الساعة الثانية بعد منتصف الليل ورَمَيتُ جمرةَ العقبة حوالي الساعة ٢:٣٠، فما الحكم؟

ج: صحيح، وأجازه النبي ﷺ.

س: كنت في الحج ورميت الجمرة الأولى، وفي الجمرة الثانية قالوا إنَّه يُمكنُ رَميُها الساعة ١٢ قَبلَ الفَجرِ فرَمَيتُ، فهل هذا صحيحٌ، وإن كان خطأً فكيفَ الإصلاح؟

ج: بالنسبة للإفتاء بهذا فنحن نُفتي به الآن، خاصّة بسببِ زحامِ النّاسِ الشديد، وهو مذهب طاوس بن كَيسان اليماني من التابعين من تلامذة ابن عباس رضي الله عنهما حَبرِ الأمّة، ولذلك نقولُ للنّاسِ: إنَّه لا بأسَ أن نأخذُ مثلَ هذا، بل ونقول أيضًا للعلماء: ينبغي عليكم أن تُدركُوا الواقعَ الذي نعيشُه وأنَّ النّاسَ قد بَلَغت في الأرضِ كُلّها مِن كُلِّ ناحيةٍ وفي الحجِّ مِن ناحيةٍ أُخرى ما لم تَبلُغه البشريّة منذُ خلقَها الله ﷻ إلى هذا اليومِ، فلم يَحدُث أن كانَ على الأرض ستة أو سبعة مليارات من البشر، ولم يحدُث أبدًا في الحجِّ أن كان في مثلِ هذه الأماكنِ أربعة أو خمسة ملايين، هذه أرقامٌ لا يمكنُ تصوُّرُ سابقة لها، ونحن لا نذهبُ إلى هذه الأماكنِ المقدسةِ من أجلِ أن تُقتَلَ النّفسُ التي حَرَّمَ اللهُ قتلها إلا بالحقِّ، نحن نذهب للعبادة، ويكفي في العبادةِ أن نُقلّدَ واحدًا من أئمّة المسلمين خاصّة إذا كان رفيعَ الشّأنِ مثلَ كيسان ومجاهد رضي الله عنهما وهما يَريَانِ أنَّ محلَّ الرَّمي اليومَ كُلّه ما دمنا قد رَجَعنا مِن مُزدَلفة ولو بعدَ مُنتَصَفِ الليلِ. فما فعلته في الحج أيَّتُها السائلةُ الكريمةُ جائز إن شاء الله، وكُلُّ اليومِ إنّما هو مَوضِعٌ للرَّمي تَخفيفًا على النّاسِ. أمّا بعدَ الزَّوالِ فهو السُّنّة، ولَكن لا يَصِحُّ أن أفعَلَ سُنّة أقتُلُ بها مُسلمًا مِن أجلِ الزّحام، أو أقتلَ بها نفسي! فهذا لا يجوزُ أبدًا. وندعو الناسَ أن تَتَفَهّمَ مُرادَ اللهِ في دينه ومُرادَ اللهِ مِن خَلقِه.

س: ما الحكم إذا عاد الحاج إلى بلده قبل أن يرمي الجمار؟

ج: رميُ الجِمارِ واجِبٌ مِن واجباتِ الحَجِّ؛ فيجبُ الدمُ بتَركِه، وهو ذَبحُ شاةٍ

لفُقَراءِ الحَرَمِ، فإن لم يجد مالاً للذبحِ صامَ عشرةَ أيامٍ في بلده ولكن يَفصلُ بينَ ثلاثةٍ منها وبينَ السَّبعة بفترةٍ زمنيّة تُعادلُ زمنَ رجوعه من مَكّة المكرمة إلى بلده[2]؛ لقوله تعالى: ﴿ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ (البقرة:١٩٦).

ثامنًا- الذبح:

س: رجل عليه دمُ حجٍّ فذبحَ الذي عليه في الحجِّ في عيدِ الأضحى هنا؟

ج: لا يجوز؛ لأنَّ النُّسُكَ يَجبُ أن يُذبَحَ هناك في مكة أو منى أو المزدلفة، أي في الحرم.

س: ذبحنا هَديَنا بعدَ رمي الجمرةِ الأولى، وهناك مَن ذبحَ الهدي قبلَ يومِ النَّحرِ، فما الحكم؟

ج: الذبحُ صحيحٌ للجميع وإن كان بعد رمي جمرة العقبة هو الأقرب للسنة؛ لأن الذبح يجب بالتلبس بالنسك؛ أي بالإحرام، وإن كان وقته الأمثل يبدأ بيوم النحر بعد الرمي.

س: أدَّيتُ فريضةَ الحَجِّ هذه السَّنة، والحمدُ لله قمت بحجِّ تَمَتُّعٍ، وأرسلت شخصًا نظرًا للزحامِ الشديدِ يدفعُ لي ثمنَ الهَدي عن طريقِ البنك، وفوجئتُ عندما أعطاني الإيصال أنَّه مكتوبٌ عليه (فدو) وأنا في نِيَّتي هَديٌ، فهل عليَّ شيءٌ الآن؟

ج: أولاً: ما دمت أخرجت المال بنية هَدي تمتعٍ فلا حَرَجَ عليك شرعًا، وكلمة (فدو) غيرُ عربيّة أصلا، فإمّا أن تكونَ هَديًا أو أُضحيةً أو جُبرانًا لبعضِ الأعمالِ التي

---

(2) انظر: مغني المحتاج (١/٥٠١) وبدائع الصنائع (٢/١٣٦) وبداية المجتهد (١/٣٥٣) والمغني (٣/٤٥٣).

هي مخالفة لمحظوراتِ الإحرامِ؛ فَبَرِئَت ذمّتُك بأن دفعتَ المبلغ بهذه النية، ولا حَرَجَ عليك شرعًا، وحجُّك صحيحٌ إن شاء الله.

تاسعًا- عرفة:

س: قيل إن النبي ﷺ قال: "كل عرفة موقف، وارفعوا عن بَطن عُرَنة"، فما توضيح هذا الحديث؟

ج: لفظ الحديث: عن جُبَير بن مُطعِم ﷺ عن النَّبيِّ ﷺ قالَ: "كُلُّ عَرَفات مَوقفٌ، وارفَعُوا عن بَطنِ عُرَنة، وكُلُّ مُزدَلفة مَـــوقِفٌ، وارفَعُوا عن مُحَسِّرٍ، وكُلُّ فِجاجِ مِنًى مَنحَرٌ، وكُلُّ أَيّامِ التَّشريقِ ذَبحٌ"[1].

فبطنُ عُرَنة جزءٌ متداخلٌ، وكأنّه لسانٌ أو خليجٌ في عرفةَ. هذا اللسانُ ليس مِن عَرَفة؛ يعني كأنَّ حُدُودَ عرفةَ ليست خَطًّا مستقيمًا؛ إنّما هي خَطٌّ مُتَعَرِّجٌ، وهذا الذي دَخَلَ في عرفةَ وليس منه هو بطنُ عُرَنة، وهو الذي بُني فيه مسجدُ نَمرة الذي يُطلَقُ عليه مسجدُ إبراهيم، هذا الوادي لا يَصِحُّ الوقوفُ فيه؛ لأنّه ليس مِن عرفةَ، بل هو خارجَ حُدُود عرفة التي قد يَتَصَوَّرُ بعضُهم أنّه خطوطٌ مستقيمةٌ، وهي ليست كذلك؛ بل إنّه يأخُذُ خَطًّا ثُمَّ يدخلُ هذا اللسان ثُمَّ يأخذُ خَطًّا آخرَ، هذا وإن كانَ يَشتَبِهُ عَلى كَثيرٍ مِنَ النّاسِ أنّه مِن عرفةَ إلا أنّه ليس مِن عرفةَ؛ فنَبَّه رسول الله ﷺ على هذه الحقيقة، والفرقُ هو خطوةٌ؛ وهو أن يَجعَلَ الإنسانُ قَدَمَه خَلفَ هذا الخَطِّ أو هذا الخط.

وهناك علاماتٌ وَضَعَتها بلديّة مَكّة في هذا المكانِ تُرشِدُ الحجيجَ بمكانِ الموقفِ وأينَ يَكونُ خارج عرفة. إذن فكثيرٌ مِنَ النّاسِ يَستَبيحُونَ أن يَجلِسُوا في المَسجدِ وهكذا فإنّهم لم يَقِفُوا بعرفةَ؛ ولأنّهم عندَما جَلَسُوا في المسجد فارِّينَ مِن زِحامِ عرفة فهم في وادي عُرَنة في مسجد نَمرة، ولذلكَ لا يُحسَبُ لَهم الحجُّ، وهم واقفون في هذا المكان ويعتقدون أنّهم داخلَ الحدودِ وهم ليسوا داخلَها، فالحدودُ واضحة.

---

(1) أخرجه أحمد في مسنده (ج٤/٨٢ رقم ١٦٧٩٧) ط مؤسسة قرطبة، وأخرجه ابن حبان (ج٩/١٦٨ رقم ٣٨٥٤) ط مؤسسة الرسالة.

طبعًا المسجدُ الآنَ اتَّسَعَ وفيه جُزءٌ دَخَلَ في عرفة. ولكن نحن نَنصَحُ أن نَخرُجَ مِن عُرَنة تمامًا خارجَ المسجدِ ونَذهبَ إلى عرفات حتى يَصِحَّ حجُّنا.

س: ما الحكم إذا صادف الوقوف بعرفة يوم الجمعة؟

ج: **الوقوفُ** بعَرَفة في يومِ الجمعةِ أو في غيرِ يومِ الجمعةِ يُؤَذَّنُ فيه للظهر، ثم يؤدي الإمامُ والحجيجُ صلاتَي الظُّهرَ والعَصر بإقامَتَينِ بعدَ أذانٍ واحد، ثُمَّ يَخطُبُ الإمامُ خطبةَ الحجِّ، ويُقيمُ للنّاسِ الصَّلاتَينِ قَصرًا وجَمعًا؛ فلا فَرقَ في الحجِّ أن يكونَ في أيِّ يَومٍ مِن أيامِ الأسبوعِ؛ لأنَّ الجمعةَ بطبيعتِها ركعتان فصُلِّيَت على أنَّها جمعةٌ فهي جمعة، وصُلِّيَت على أنَّها ظهرُ عرفةَ.. هكذا، فلا فَرقَ، إنَّما يخطب أمير الحج أو فقيهُ الحجِّ المُكَلَّفُ مِنَ الأمير ثُمَّ يؤدِّي بالنّاسِ الظُّهرَ أو الجُمعة ثُمَّ يَجمَعُ عليها ركعتَي العَصرِ. هذا هو الحكمُ الدّائمُ والثّابتُ.

إنَّ كثيرًا مِنَ النّاسِ يَسألونَ هذا لِما شاعَ مِن أنَّ حجّةَ الوداعِ كانت يوم جمعة؛ فيَعتَقِدُ كثيرٌ مِنَ النّاسِ أنّه إذا جاءَ يومُ عرفةَ يومَ جمعةٍ كان ثوابُه بسبعين حجة، وهناك حديث في إسناده كلام بهذا المعنى؛ فقد ذكر ابن حجر في فتح الباري عن رزين في جامعه مرفوعا: "خَيرُ يَومٍ طَلَعَت فيه الشمسُ يومُ عرفةَ وافَقَ يومَ الجمعة، وهو أفضَلُ مِن سبعينَ حجةٍ في غيرِها"[1]، وهذا حديثٌ موضوع. ويَنبَغي على النّاسِ أن يَتَفَهَّمُوا هذا، حتى وإن كان ذلك قد وافَقَ حجَّ النبي ﷺ، إلا أنَّ هذه الموافقةَ لا تُعَدُّ سُنّة ولا تُعَدُّ فضيلةً؛ إنّما هي أوقات، وأوقاتُ اللهِ أقسامٌ ويَنبَغي علينا أن نَرضى بأقسامه ﷻ، وكلُّ ذلك فَضلٌ مِنَ الله.

---

(1) ذكره ابن حجر في فتح الباري (٢٧١/٨) وقال: وهو حديث لا أعرف حاله لأنه لم يذكر صحابيه ولا من أخرجه بل أدرجه في حديث الموطأ الذي ذكره مرسلا عن طلحة بن عبد الله بن كريز وليست الزيادة المذكورة في شيء من الموطآت فإن كان له أصل احتمل أن يراد بالسبعين التحديد أو المبالغة وعلى كل منهما فثبتت المزية بذلك والله أعلم.

س: ما هو حكم صيام يوم عرفة بالنسبة للحاجِّ وغيرِ الحاجِّ؟

ج: عن أبي قَتادةَ ﷺ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: "صِيامُ يَومِ عَرَفَةَ إنِّي أحتَسِبُ عَلى اللهِ أن يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتي قَبلَه والسَّنَةَ الَّتي بعدَه"[1]. وهذا في شأن غير الحاج؛ يعني مَن كان في الحِلِّ أو في وَطَنِه ولم يَنوِ الفريضة. أما حُكمُ صيامِ يومِ عرفةَ لوَفدِ الحجيجِ فهو بينَ الحُرمة والكراهة الشديدة؛ لأن الحاج في عبادةٍ أخرى وفي سَفَرٍ وفي مَشَقَّة، فالصواب طاعةً لله ﷻ ولرسوله ﷺ أن صيام عرفة إنما هو لغَيرِ الحَجيجِ.

س: امرأةٌ ذهبت إلى الحجِّ معَ أخيها وقبلَ أن تَقِفَ بعرفات اتَّصَل بها أحَدُ النّاسِ وأخبَرَها بوفاةِ زَوجِها، فماذا تَفعَلُ؟

ج: لا ترجعُ وتُكمِلُ حجَّها، فإذا بَلَغَ المرأةَ وفاةُ زَوجِها قبلَ أن تَدخُلَ (الترانزيت)، أي قبلَ مُفتِّشِ الجوازاتِ ينبغي عليها أن ترجِع، أمّا بعدَ مُفتِّشِ الجوازات فتَمضي وتَذهَبُ للحجِّ، إذن فمَن تَلَبَّسَت بالحَجِّ لا تعودُ، أمّا مَن لم تَتَلَبَّس بالحَجِّ فينبغي أن ترجِعَ.

س: ما حُكمُ المرأةِ التي أتَتها الدورةُ وهي واقِفةٌ على عرفات؟

ج: الوقوف على عرفات لا يحتاج إلى طهارة؛ فالمرأة سواءٌ كانت حائضًا قبلَ الوقوفِ بعرفات أو أثناءَ الوقوف فهذا لا شيء فيه، وهي تُؤدِّي كُلَّ مَناسِكِها إلا الطَّوافَ؛ فالطوافُ يحتاجُ إلى طهارة؛ وعن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما: قال رسولُ الله ﷺ: "الطَّوافُ بالبَيتِ صَلاةٌ إلا أنَّ اللهَ أحَلَّ فيه المَنطِقَ، فمَن نَطَقَ فيه فلا يَنطِق إلا بخَيرٍ"[2]. فالمرأة الحائض تفعل كل مناسك الحج حتى السعيِ بينَ الصَّفا والمَروة. فلو

---

(1) أخرجه الترمذي (ج٣/١٢٤ رقم ٧٤٩) ط إحياء التراث العربي، وأخرجه ابن ماجه (ج١/٥٥١ رقم ١٧٣٠) ط دار الفكر، وأخرجه ابن حبان (ج٨/٣٩٥ رقم ٣٦٣٢) ط مؤسسة الرسالة.

(2) أخرجه ابن حبان (ج٩/١٤٤ رقم ٣٨٣٦) ط مؤسسة الرسالة، وأخرجه الحاكم (ج١/٦٣٠ رقم ١٦٨٦) ط دار الكتب العلمية بلفظ "الطواف بالبيت صلاة إلا أن الله أحل لكم فيه الكلام فمن يتكلم فلا يتكلم إلا بخير".

فَرَضنا أنَّ امرأةً طافَت وصلَّت رَكعَتَي الطَّوافِ ثُمَّ جاءَها الحيضُ فإنَّها تَسعى بينَ الصَّفا والمروةَ وعندَها الحيضُ؛ لأنَّ السعيَ بينَ الصفا والمروة لا يُشتَرَطُ فيه الطهارةُ بخلافِ الطَّوافِ حَولَ الكعبة فيُشتَرَطُ فيه الطهارةُ؛ وبعضُ النّاسِ يَسأَلُ: ماذا يحدثُ إذا امتَدَّت بها هذه الدورة إلى رحيلِ الوَفدِ، والوفدُ الآنَ طَبعًا يَرتَبِطُ بمواعيدِ طيران وغيره. فنقول إنها لو طافت وهي حائضٌ فإن حجها صحيح ولكن عليها بدنة؛ على مذهب الإمام أبي حنيفة، وتستطيعُ أن تَعلَمَ قِيمَتَها مِنَ الشَّرِكاتِ التي تَقُومُ بذبحِ الهَديِ وتوزيعه، وتَدفَعُها ويَتِمُّ حجُّها بهذه الطريقة.

عاشرًا- ماذا بعد الحج؟

س: بعد أن عاد الحجّاجُ مِنَ الأماكنِ المُقَدَّسة سَيُباشِرُونَ بالطَّبعِ حياتَهم اليوميّة، فما هو واجبُ الحاجِّ بعدَ أن مَنَّ اللهُ عليه بأداءِ الفريضة؟

ج: أُنَبِّهُ الجميعَ بأنَّ بَرَكة الحسنة الحَسَنةُ بعدَها، ومن شُؤمِ المَعصيةِ المَعصيةُ بعدَها، والإنسانُ إذا أَدّى حَسَنة فلكي يَستَشعِرَ أنَّ هذه الحسنةَ مَقبُولة عندَ اللهِ ﷻ عليه أن يُراقِبَ ما يأتي بعدَها: إن أَتى بعدَها منه خَيرٌ فذلكَ دليلٌ على قَبُولِ الحسنة الأولى وأنَّها أَثمَرَت ثمرات طَيِّبة مباركةً وأنَّها أَوقَفَت الإنسانَ على الصراط المستقيم الذي تَتَواصَلُ به المَسيرة إلى مَرضاة الله ﷻ؛ فالحاجُّ الذي أدّى الفريضةَ وتَمَثَّلَ أخلاقَ الإنسان التي أشارَت إليها الآيةُ الكريمةُ: ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ﴾ (البقرة:١٩٧) تَتَسامى أخلاقه:

فالرَّفَثُ: يَتَعَلَّقُ بالأعراضِ والنَّسَب.

والفُسُوقُ: يَتَعَلَّقُ بالحَرَكة السُّلُوكيّة في الحَياة.

والجِدَالُ: يَتَعَلَّقُ بالحَرَكة الفكريّة.

س: إذا أدّى شَخصٌ العُمرة أكثَرَ مِن مَرّة ولَكنّه حتى الآن لم يُؤدِّ فريضةَ الحجِّ فهل عليه شيءٌ؟

ج: ليس عليه شيء، ولَكن عليه أن يَحُجَّ ما دامَ قادرًا على الوصولِ إلى بَيتِ اللهِ الحَرام؛ فيُحاولُ أن يكونَ ذلكَ في مواقيتِ الحجِّ ثمّ يحُجُّ، لأنَّ الحجَّ فَرضٌ ورُكنٌ مِن أركانِ الإسلامِ ولا بُدَّ عليه أن يُراعِيَ هذا؛ فما دامَ قادِرًا جَسَدًا ومالاً أن يَنتَقِلَ إلى بيتِ اللهِ الحرام فإنّه أيضًا يَجِبُ عليه أن يَحُجَّ.

س: ما هي مشروعيّة تَعليمِ مناسِكِ العمرةِ عن طريقِ عَمَلِ مُجَسّمٍ للكعبةِ والطوافِ حَولَها؟

ج: لا بأسَ بتَعليمِ مناسكِ العمرةِ على النَّحوِ الواردِ بالسؤال، بل إنّه قد يَرتَقي إلى الاستحباب، وإذا لم يُمكن فَهمُ المَنسَك إلا به فقد يَجبُ، وعلى أن يَتمَّ ذلك في جَوٍّ منَ التَّعظيمِ لشَعائرِ الله، قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ (الحج:٣٢).

س: هل يجوزُ لطالبِ استخراجُ شهادة بأنّه ليس بالسَّنة الأخيرةِ للكُلّيّة لِيَستَطيعَ السَّفَرَ للعُمرة عِلمًا بأنّ هذه ليست المرّة الأولى للعمرة؟

ج: يَحرُمُ عليه ذلك؛ لأنّ هذا كَذبٌ.

هذا، والله تعالى أعلى وأعلم، ونسأله سبحانه أن يغفر الزلات ويمحو السيئات ويرفع الدرجات؛ إنه جواد كريم،

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

القسم الرابع

الملاحق

أولا : أدعية مأثورة

اللهم إنّ هذا اليومَ خَلقٌ جديدٌ فافتحه عليّ بطاعتك، واختمه لي بمغفرتك ورِضوانك، وارزُقني فيه حَسَنةً تقبلُها مِنّي، وزكّها وضَعّفها لي، وما عَملتُ فيه مِن سيئةٍ فاغفرها لي، إنّك غفورٌ رحيمٌ وَدُودٌ كريمٌ.

اللهم إني لا أستطيعُ دَفعَ ما أكرَه، ولا أملكُ نَفعَ مَا أَرجُو، وأصبحتُ مُرتَهنًا بعَمَلي، فلا فَقيرَ أفقرُ مِنّي، اللهم لا تُشمت بي عَدُوي، ولا تَسُؤ بي صديقي، ولا تَجعَل مُصيبَتي في دِيني، ولا تَجعَلِ الدنيا أكبرَ هَمّي، ولا تُسلّط عليّ مَن لا يَرحَمُني، يا حيُّ يا قيومُ.

اللهم إني أسألك مِن الخيرِ كلّه عاجله وآجله ما عَلمتُ منه وما لم أعلَمْ، وأعوذُ بك مِن الشّرِّ كلّه عاجله وآجله ما علمتُ منه وما لم أعلَمْ، وأسألُك الجنةَ وما قرّبَ إليها مِن قَولٍ وعملٍ، وأعُوذُ بك مِن النارِ وما قرّبَ إليها مِن قولٍ وعملٍ، وأسألك ما قَضَيتَ لي مِن أمرٍ أن تَجعَلَ عاقبتَه رَشَدًا، برحمتك يا أرحمَ الراحمين.

يا حيُّ يا قيومُ، برحمتِكَ أستَغيثُ، لا تَكِلني إلى نَفسِي طَرفةَ عَينٍ، وأصلِح لِي شَأنِي كلّه.

اللهم إني ضعيفٌ فقوِّ في رضاك ضعفي، وخُذ إلى الخيرِ بناصيتي، واجعَلِ الإسلامَ مُنتَهى رِضايَ، اللهم إني ضعيفٌ فقَوِّني، وإني ذَليلٌ فأعزَّني، وإني فقيرٌ فأغنِني، يا أرحمَ الراحمين.

سبحانَ اللهِ وبحمدِه سبحانَ اللهِ العظيمِ، لا حول ولا قوة إلا باللهِ العليِّ العظيمِ.

اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت، عليك توكلتُ وأنت ربُّ العرشِ العظيمِ، لا حول ولا قوة إلا باللهِ العليِّ العظيمِ، ما شاء اللهُ كانَ وما لم يشأ لم يَكُن، أعلَمُ أنّ اللهَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ وأنّ اللهَ قد أحاطَ بكلِّ شيءٍ عِلمًا وأحصى كلَّ شيءٍ عَدَدًا، اللهم

إني أَعُوذُ بك مِن شَرِّ نَفسِي ومِن شَرِّ كلِّ دابّةٍ أنتَ آخذٌ بناصيتها، إنَّ ربِّي على صراطٍ مستقيمٍ.

بسم اللهِ، ما شاء اللهُ، لا قوة إلا باللهِ، ما شاء اللهُ، كلُّ نِعمةٍ مِن اللهِ، ما شاء اللهُ، الخَيرُ كلُّه بيَدِ اللهِ، ما شاء اللهُ، لا يَصرِفُ السُّوءَ إلا اللهُ.

حَسبيَ اللهُ لديني، حَسبيَ اللهُ لدُنيايَ، حَسبيَ اللهُ الكريمُ لما أَهَمَّني، حَسبيَ اللهُ الحليمُ القويُّ لِمَن بَغى عليَّ، حَسبيَ اللهُ الشديدُ لِمَن كادَني بسُوءٍ، حَسبيَ اللهُ الرحيمُ عندَ المَوت، حَسبيَ اللهُ الرءوفُ عندَ المَسألة في القَبرِ، حَسبيَ اللهُ الكريمُ عندَ الحسابِ، حَسبِيَ اللهُ اللطيفُ عندَ الميزانِ، حَسبيَ اللهُ القديرُ عندَ الصِّراطِ، حَسبيَ اللهُ لا إله إلا هو عليه تَوَكَّلتُ وهو ربُّ العَرشِ العَظيمِ.

اللهم يا هادِي الضالِّينَ، ويا راحم المُذنبِينَ، ويا مُقيلَ عَثَراتِ العاثِرينَ ارحَم عَبدَكَ ذا الإثمِ العظيمِ، والمسلمين كلِّهم أجمعين، واجعلنا مع الأخيارِ المرزوقين، الذين أنعمتَ عليهم من النبيين والصديقين والشهداءِ والصالحين، آمين يا ربَّ العالمين.

اللهم إنك تَعلَمُ سِرِّي وعَلانِيتِي فاقبَل مَعذِرتِي، وتَعلَمُ حاجتِي فأَعطِنِي سُؤلِي، وتَعلَمُ ما في نَفسِي فاغفِر لِي ذُنُوبِي، اللهم إني أسأَلُك إيمانًا يُباشِرُ قَلبِي ويَقينًا صادقًا حتىٰ أعلَمَ أنَّه لن يُصِيبَنِي إلاَّ ما كَتَبتَه عليَّ والرِّضا بما قَسَمتَه لِي، يا ذا الجلالِ والإكرامِ.

إنك أنت اللهُ ربُّ العالمين، إنك أنت اللهُ لا إلهَ إلاَّ أنت الحيُّ القيومُ، إنك أنت اللهُ لا إله إلا أنت العليُّ العظيمُ، إنك أنت اللهُ لا إله إلا أنت لم تَلد و لم تُولَد، إنك أنت اللهُ لا إله إلا أنت العفوُّ الغفورُ، إنك أنت اللهُ لا إله إلا أنت مُبدِئُ كلِّ شيءٍ وإليك يَعُودُ، العزيزُ الحكيمُ، الرحمنُ الرحيمُ، مالكُ يومِ الدِّينِ، خالقُ الخيرِ والشرِّ، خالقُ الجنة والنارِ، الواحدُ الأَحَدُ الفَردُ الصمدُ، الذي لم يَتَّخذ صاحبةً ولا وَلَدًا، الفَردُ الوَترُ، عالِمُ الغيبِ والشهادةِ، المَلِكُ القدوسُ السلامُ المؤمنُ المهيمنُ، العزيزُ الجبارُ المتكبرُ، الخالقُ البارئُ المُصَوِّرُ، الكبيرُ المُتَعالي، المقتدرُ القهارُ، الحليمُ الكريمُ، أَهلُ الثناءِ والمَجدِ، تَعلَمُ السِّرَّ وأَخفى، القادِرُ الرَّزّاقُ فوقَ الخَلقِ والخَليقة.

سبحان اللهِ، والحمدُ للهِ، ولا إله إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ، ولا حول ولا قوة إلا باللهِ العليِّ العظيم، عَدَدَ ما خَلَقَ وعَدَدَ ما هو خالقٌ، وزِنةَ ما خَلَقَ وزِنةَ ما هو خالقٌ، ومِلءَ ما خَلَقَ ومِلءَ ما هو خالقٌ، ومِلءَ سَمَواتِه ومِلءَ أرضِه ومِثلَ ذلكَ وأضعافَ ذلكَ، وعَدَدَ خَلقِه وزِنةَ عَرشِه ومُنتَهى رَحمتِه ومِدادَ كلماتِه ومَبلَغَ رِضاه، حتى يَرضى وإذا رَضيَ، وعَدَدَ ما ذكَرَه به خَلقُه في جميعِ ما مَضى، وعَدَدَ ما هم ذاكِرُوه فيما بَقِي في كلِّ سنةٍ وشهرٍ وجُمعةٍ ويومٍ وليلةٍ وساعةٍ من الساعاتِ وشَمٍّ ونَفَسٍ مِن الأنفاسِ وأبدٍ من الآبادِ مِن أَبدٍ إلى أَبدٍ، أَبدِ الدنيا وأَبدِ الآخرةِ وأكثَرَ مِن ذلك، لا ينقطعُ أولُه ولا يَنفَدُ آخرُه.

بسم اللهِ الحميدِ المجيدِ الرفيعِ الودودِ الفَعّالِ في خَلقِه ما يُريدُ، أصبحتُ باللهِ مؤمنًا، وبلقائه مُصَدِّقًا، وبحُجّتِه مُعترِفًا، ومِن ذَنبي مُستَغفِرًا، ولِرُبُوبيّةِ اللهِ خاضعًا، ولسوى اللهِ من الآلهةِ جاحدًا، وإلى اللهِ فقيرًا، وعلى اللهِ مُتَّكلاً، وإلى اللهِ مُنيبًا، أُشهِدُ اللهَ وأُشهِدُ ملائكتَه وأنبياءَه ورُسلَه وحَمَلةَ عَرشِه، ومَن خَلَقَه ومَن هو خالقُه، بأنه هو اللهُ الذي لا إله إلا هو وحدَه لا شريكَ له، وأنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه صلى اللهُ عليه وسلم تسليمًا، وأنَّ الجنةَ حَقٌّ، وأنَّ النارَ حَقٌّ، والحَوضَ حَقٌّ، والشفاعةَ حَقٌّ، ومُنكَرًا ونَكيرًا حَقٌّ، ووَعدَه حَقٌّ، ووَعيدَه حَقٌّ، ولقاءَه حَقٌّ، والساعةَ آتيةٌ لا رَيبَ فيها، وأنَّ اللهَ يَبعَثُ مَن في القبورِ، على ذلك أَحيا، وعليه أَمُوتُ، وعليه أُبعَثُ إن شاء اللهُ، اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت، خَلَقتَني، وأنا عَبدُك، وأنا على عَهدِك ووَعدِك ما استَطَعتُ، أَعوذُ بكَ اللهم من شَرِّ ما صَنَعتُ ومن شرِّ كلِّ ذي شَرٍّ، اللهم إني ظَلَمتُ نَفسِي فاغفر لي ذُنُوبي فإنه لا يَغفرُ الذنوبَ إلاّ أنت، واهدِني لأَحسَنِ الأخلاقِ فإنّه لا يَهدي لأَحسَنِها إلاّ أنت، واصرِف عنِّي سَيِّئَها فإنه لا يَصرِفُ سَيِّئَها إلاّ أنت، لَبَّيكَ وسَعدَيكَ، والخيرُ كلُّه بيديكَ، أنا بكَ وإليكَ، أستغفِرُكَ وأتوبُ إليكَ، آمنتُ اللهم بما أَرسَلتَ مِن رسولٍ، وآمنتُ اللهم بما أنزلتَ من كتابٍ، وصلّى اللهُ على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وسلم تسليمًا كثيرًا خاتَمَ كلامي ومِفتاحَه، وعلى أنبيائه ورسله أجمعين، آمين يا رب العالمين، اللهم أَورِدنا حَوضَ سيدنا محمدٍ واسقِنا بكأسه مَشرَبًا

رَوِيًّا سائغًا هَنِيًّا لا نَظمأُ بعدَه أبَدًا، واحشُرنا في زُمرته غيرَ خَزايا ولا ناكِثين للعَهد ولا مُرتابين ولا مَفتُونين، ولا مَغضُوبٍ علينا ولا ضالين، اللهم اعصِمني مِن فِتَنِ الدنيا، ووَفِّقني لِما تُحِبُّ وتَرضى، وأصلِح لي شأني كلَّه، وثَبِّتني بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ولا تُضِلَّني وإن كنتُ ظالمًا، سبحانك سبحانك يا عَلِيُّ يا عظيمُ، يا بارِىءُ يا رحيمُ، يا عزيزُ يا جَبّارُ، سبحان مَن سَبَّحَت له السمواتُ بأكنافها، سبحان مَن سَبَّحَت له البحارُ بأمواجها، سبحان مَن سَبَّحَت له الجبالُ بأصدائها، سبحان مَن سَبَّحَت له الحيتانُ بلُغاها، سبحان مَن سَبَّحَت له النجومُ في السماء بأبراجها، سبحان مَن سَبَّحَت له الأشجارُ بأُصولها وثمارِها، سبحان مَن سَبَّحَت له السمواتُ السَّبعُ والأَرَضُونَ السَّبعُ ومَن فيهنّ ومَن عليهنّ، سبحان مَن سَبَّحَ له كلُّ شيءٍ من مخلوقاته، تباركتَ وتعاليتَ، سبحانك سبحانك، يا حيُّ يا قيومُ، يا عليمُ يا حليمُ، سبحانك لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، تُحيي وتُميتُ وأنت حيٌّ لا تموتُ، بيدك الخيرُ وأنت على كلِّ شيءٍ قديرٌ.

سبحانَ رَبِّي العَليِّ الأعلى الوهابِ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملكُ وله الحمدُ وهو على كل شيء قديرٌ.

رضيتُ باللهِ ربًّا، وبالإسلام دِينًا، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيًّا. (ثلاث مرات)

اللهم فاطرَ السمواتِ والأرضِ، عالِمَ الغيبِ والشهادةِ، رَبَّ كلِّ شيءٍ ومَليكَه، أشهَدُ أن لا إله إلا أنت، أعوذ بك مِن شرِّ نَفسي، وشرِّ الشيطانِ وشِركه، اللهم إني أسألُك العَفوَ والعافيةَ في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللهم استُر عَوراتي، وآمِن رَوعاتي، وأَقِل عَثَراتي، واحفَظني مِن بينِ يَدَيَّ ومِن خَلفي، وعن يَميني وعن شِمالي ومِن فوقِي، وأَعُوذُ بك أن أُغتالَ مِن تحتي، اللهم لا تُؤَمِّنِّي مَكرَك، ولا تُوَلِّني غيرَك، ولا تَنزِع عني سِترَك، ولا تُنسِني ذِكرَك، ولا تَجعَلني مِن الغافلين.

اللهم عافِني في بَدَني، وعافِني في سَمعي، وعافِني في بَصَري، لا إله إلا أنت.

اللهم إني أسألك الرِّضا بعدَ القَضاء، وبَردَ العَيشِ بعدَ المَوت، ولَذَّةَ النَّظَرِ إلى وَجهكَ الكريمِ، وشَوقًا إلى لقائك، مِن غيرِ ضَرّاءَ مُضِرّةَ ولا فتنة مُضلَّة، وأَعُوذُ بكَ أن أَظلِمَ أو أُظلَمَ، أو أَعتَديَ أو يُعتَدى عليَّ، أو أَكسبَ خَطيئةً أو ذَنبًا لا تَغفرُه، اللهم إني أسأَلُك الثَّباتَ في الأَمرِ، والعَزيمةَ في الرُّشد، وأسأَلك شُكرَ نعمتك وحُسنَ عبادتك، وأسأَلُك قَلبًا خاشعًا سَليمًا، وخُلُقًا مستقيمًا، ولسانًا صادقًا، وعَمَلاً مُتقبَّلاً، وأسأَلُك مِن خيرِ ما تَعلَمُ، وأعوذُ بكَ مِن شرِّ ما تَعلَمُ، وأَستَغفِرُكَ لما تَعلَمُ، فإنك تَعلَمُ ولا أَعلَمُ، وأنت علاّمُ الغيوب، اللهم اغفر لي ما قَدَّمتُ وما أخَّرتُ، وما أَسرَرتُ وما أَعلَنتُ، وما أنت أَعلَمُ به مني، فإنك أنت المقدمُ وأنت المؤخرُ وأنت على كل شيء قديرٌ، وعلى كلِّ غَيبٍ شهيدٌ، اللهم إني أسأَلُك إيمانًا لا يَرتَدُّ، ونَعيمًا لا يَنفَدُ، وقُرَّةَ عَينِ الأَبَد، ومُرافَقةَ نبيِّك محمد صلى الله عليه وسلم في أعلى جَنَّة الخُلد، اللهم إني أسأَلُك الطَّيِّبات، وفعلَ الخَيرات، وتَركَ المُنكرات، وحُبَّ المساكين، وأسأَلُك حُبَّك، وحُبَّ مَن أَحبَّك، وحُبَّ كلِّ عَمَلٍ يُقَرِّبُ إلي حُبِّك، وأن تَتُوبَ عليَّ وتَغفرَ لي وتَرحَمَني، وإذا أردتَ بقوم فتنةً فاقبِضني إليك غيرَ مَفتُون، اللهم بعلمك الغيبَ وقُدرتك على الخَلقِ أَحيِني ما كانت الحياةُ خَيرًا لي، وتَوَفَّني ما كانت الوفاةُ خَيرًا لي، أسأَلُك خَشيتَك في الغيبِ والشهادة، وكلمةَ العَدلِ في الرِّضا والغضب، والقَصدَ في الغِنى والفقرِ، ولَذَّةَ النَّظَرِ إلى وَجهك، والشَّوقَ إلى لقائك، وأعوذُ بك مِن ضَرّاءَ مُضِرَّة، وفتنةٍ مُضِلّة، اللهم زَيِّنّا بزِينة الإيمانِ، واجعلنا هُداةً مهتدين.

اللهم اقسِم لنا مِن خشيتك ما تَحُولُ به بيننا وبين معاصيك، ومِن طاعتك ما تُبَلِّغُنا به جَنَّتَك، ومِن اليقينِ ما تُهَوِّنُ به علينا مصائبَ الدنيا، اللهم املأْ وُجُوهَنا منك حَياءً، وقلوبَنا منك فَرَقًا، وأَسكِن في نفوسِنا مِن عَظَمتك ما تُذَلِّلُ به جوارحَنا لخدمتك، واجعَلكَ اللهمّ أَحَبَّ إلينا مِمَّن سواك، واجعَلنا أَخشى لك مِمَّن سواك.

الحمدُ لله الذي تَواضَعَ كلُّ شيءٍ لعَظَمته، وذَلَّ كلُّ شيءٍ لعزّته، وخَضَعَ كلُّ شيءٍ لمُلكه، واستَسلَمَ كلُّ شيءٍ لقُدرته، والحمدُ لله الذي سَكَّنَ كلُّ شيءٍ لهَيبته، وأَظهَرَ كلَّ شيءٍ بحكمته، وتَصاغَرَ كلُّ شيءٍ لكِبريائه، اللهم صَلِّ على سيدنا محمدٍ

وعلى آلِ سيدنا محمدٍ وأزواجِ سيدنا محمد وذُرِّيته، وبارِكْ على سيدنا محمدٍ وعلى آله وأزواجه وذريته كما باركتَ على سيدنا إبراهيمَ وعلى آلِ سيدنا إبراهيمَ في العالمين إنك حَميدٌ مَجيدٌ، اللهم صلِّ على سيدنا محمد عبدك ونبيِّك ورسولك النبيِّ الأُمِّيِّ ورسولك الأمينِ وأعطِه المَقامَ المَحمُودَ الذي وَعَدتَه يومَ الدِّينِ، اللهم اجعَلنا من أوليائك المتقين، وحزبك المفلحين، وعبادك الصالحين، واستَعملنا لمَرضاتك عنّا، ووَفِّقنا لمَحابِّك منّا، وصرِّفنا بحُسنِ اختيارك لنا، نسألُك جَوامعَ الخَيرِ وفَواتحَه وخَواتمَه، ونَعُوذُ بك من جَوامعِ الشَّرِّ وفَواتِحه وخَواتمه، اللهم بقُدرتك عليَّ تُب عليَّ إنَّك أنت التوابُ الرحيمُ، وبحِلمك عَنِّي اعفُ عني إنك أنت الغَفّارُ الحليمُ، وبعلمك بي ارفُق بي إنك أنت أَرحَمُ الراحمين، وبمُلكك لي مَلِّكني نَفسي ولا تُسَلِّطها عَليَّ إنك أنت المَلِكُ الجَبّارُ، سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت.

اللهم ارزُقني حَلالاً لا تُعاقِبني عليه، وقَنِّعني بما رَزَقتَني، واستَعمِلني به صالحًا تَقبَّله مني، اللهم إني أسألُك العَفوَ والعافيةَ وحُسنَ اليَقينِ والمُعافاةَ في الدنيا والآخرةِ، يا مَن لا تَضُرُّه الذُّنوبُ ولا تُنقصُه المَغفرةُ هَب لي ما لا يَضُرُّكَ وأَعطِني ما لا يُنقِصُك، رَبَّنا أَفرِغ علينا صَبرًا وتَوَفَّنا مُسلمين، أنتَ وَلِيِّي في الدنيا والآخرةِ تَوَفَّني مُسلمًا وأَلحِقني بالصالحين، أنتَ وَلِيُّنا فاغفِر لنا وارحَمنا وأنتَ خَيرُ الغافِرين، واكتُب لنا في هذه الدنيا حَسَنةً وفي الآخرةِ إنّا هُدنا إليكَ، رَبَّنا عليكَ تَوَكَّلنا وإليكَ أَنبنا وإليكَ المَصيرُ رَبَّنا لا تَجعَلنا فتنةً للذين كفروا واغفِر لنا رَبَّنا إنك أنت العزيزُ الحكيمُ، رَبَّنا اغفِر لنا ذنوبَنا وإسرافَنا في أَمرِنا وثَبِّت أَقدامَنا وانصُرنا على القومِ الكافرين، ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سَبَقُونا بالإيمان ولا تَجعَل في قلوبنا غِلاً للذين آمنوا رَبَّنا إنك رءوفٌ رحيمٌ، رَبَّنا آتنا من لدنك رَحمةً وهَيِّئ لنا مِن أَمرِنا رَشَدًا، رَبَّنا آتنا في الدنيا حَسَنةً وفي الآخرةِ حَسَنةً وقنا عَذابَ النارِ، رَبِّ اغفِر لي ولوالديَّ وارحَمهما كما رَبَّياني صَغيرًا، واغفِر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأَحياءِ منهم والأموات، رَبِّ اغفِر وارحَم وتَجاوَز عمّا تَعلَمُ وأنت تَعلَمُ وأنت الأَعَزُّ الأَكرَمُ وأنت خيرُ الراحمين وأنت خيرُ الغافرين، وإنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله

العليِّ العظيمِ، وحَسبُنا اللهُ ونِعمَ الوَكيلُ، وصلّى اللهُ على سيدنا محمدٍ خاتَمِ النبيين وآله وصحبه وسلَّمَ تَسليمًا كثيرًا.

عَملتُ سُوءًا وظَلَمتُ نَفسِي فاغفِر لي ذَنبِي إنك أنت رَبِّي ولا يَغفِرُ الذنوبَ إلا أنت، اللهم أَلهِمنِي رُشدِي وقِنِي شَرَّ نَفسِي، اللهم إني أسأَلُك العَفوَ والعافيةَ وحُسنَ اليَقينِ والمُعافاةَ في الدنيا والآخرةِ.

اللهم إني أَعُوذُ بك مِن البُخلِ، وأَعُوذُ بك مِن الجُبنِ، وأَعُوذُ بك مِن أن أُرَدَّ إلى أَرذَلِ العُمُرِ، وأَعُوذُ بك مِن فتنةِ الدنيا، وأَعُوذُ بك مِن عذابِ القَبرِ، اللهم إني أَعُوذُ بك مِن طَبَعٍ يَهدِي إلى طَمَعٍ، ومِن طَمَعٍ في غيرِ مَطمَعٍ، ومِن طَمَعٍ حيث لا مَطمَعٍ، اللهم إني أَعُوذُ بك مِن عِلمٍ لا يَنفَعُ، وقَلبٍ لا يَخشَعُ، ودُعاءٍ لا يُسمَعُ، ونَفسٍ لا تَشبَعُ، وأَعُوذُ بك مِن الجُوعِ فإنه بئسَ الضَّجيعُ، ومِن الخِيانةِ فإنها بئستِ البِطانةُ، ومِن الكَسَلِ والبُخلِ والجُبنِ والهَرَمِ ومِن أن أُرَدَّ إلى أَرذَلِ العُمُرِ، ومِن فتنةِ الدَّجالِ وعذابِ القَبرِ ومِن فتنةِ المَحيا والمَماتِ، اللهم إنّا نسأَلُك قُلُوبًا أَوّاهةً مُخبِتةً مُنيبةً في سَبِيلِك، اللهم إني أَسأَلُك عَزائمَ مَغفِرتِك، ومُوجِباتِ رَحمتِك، والسَّلامةَ مِن كلِّ إثمٍ، والغَنيمةَ مِن كلِّ بِرٍّ، والفَوزَ بالجنةِ، والنَّجاةَ مِن النّارِ، اللهم إني أَعُوذُ بك مِن التَّرَدِّي، وأَعُوذُ بك مِن الغَمِّ والغَرَقِ والهَدمِ، وأَعُوذُ بك مِن أن أَمُوتَ في سبيلِك مُدبِرًا، وأَعُوذُ بك مِن أن أَمُوتَ في تَطَلُّبِ الدنيا، اللهم إني أَعُوذُ بك مِن شَرِّ ما عَلِمتُ ومِن شرِّ ما لم أعلَمُ، اللهم جَنِّبنِي مُنكَراتِ الأَخلاقِ والأَعمالِ والأَدواءِ والأَهواءِ، اللهم إني أَعُوذُ بك مِن جَهدِ البَلاءِ، ودَركِ الشَّقاءِ، وسُوءِ القَضاءِ، وشَماتةِ الأَعداءِ، اللهم إني أَعُوذُ بك مِن الكُفرِ والدَّينِ والفَقرِ، وأَعُوذُ بك مِن عذابِ جَهَنَّمَ، وأَعُوذُ بك مِن جارِ السُّوءِ في دارِ المُقامةِ فإنَّ جارَ البادِيةِ يَتَحَوَّلُ، اللهم إني أَعُوذُ بك مِن القَسوةِ والغَفلةِ والعَيلةِ والذِّلةِ والمَسكَنةِ، وأَعُوذُ بك مِن الكُفرِ والفَقرِ والفُسُوقِ والشِّقاقِ والنِّفاقِ وسُوءِ الأَخلاقِ وضِيقِ الأَرزاقِ والسُّمعةِ والرِّياءِ، وأَعُوذُ بك مِن الصَّمِّ والبَكَمِ والعَمى والجُنُونِ والجُذامِ والبَرَصِ وسَيِّءِ الأَسقامِ، اللهم إني أَعُوذُ بك مِن زَوالِ نِعمتِك، ومِن تَحَوُّلِ عافيتِك، ومِن فَجأةِ

نقمتك، ومِن جميعِ سَخَطِك، اللهم إني أعُوذُ بك مِن عذابِ النار، وفِتنة النّارِ، وعذابِ القَبرِ، وفِتنة القَبرِ، وشَرِّ فِتنة الغِنى، وشَرِّ فِتنة الفَقرِ، وشَرِّ فتنة المَسيحِ الدَّجالِ، وأعُوذُ بك مِن المَغرَمِ والمَأثَمِ، اللهم إني أعُوذُ بك مِن نَفسٍ لا تَشبَعُ، وقلبٍ لا يَخشَعُ، وصَلاةٍ لا تَنفَعُ، ودَعوةٍ لا تُستَجابُ، وأعُوذُ بك مِن شَرِّ الغَمِّ وفتنة الصَّدرِ، اللهم إني أعُوذُ بك مِن غَلَبةِ الدَّينِ وغَلَبة العَدُوِّ وشَماتة الأعداءِ، وصلّى اللهُ على سيدنا محمدٍ وعلى كلِّ عَبدٍ مُصطَفًى مِن كلِّ العالمين، آمين.

اللهم أحيِنا مُسلمين، وأمِتنا مُسلمين، غيرَ خَزايا ولا مَفتُونين، عَلِّمنا مِن كتابك ما يَنفَعُنا، وانفَعنا بما عَلَّمتَنا، وأَقِمنا في الحَقِّ وأقِمِ الحَقَّ بنا، اللهم اجعَل القُرآنَ الكَريمَ رَبيعَ قُلُوبِنا، وجَلاءَ هَمِّنا وحَزَنِنا، وافتَح لنا فيه فُتُوحَ العارِفين بك، اللهم يا أرحَمَ الراحمين رَقِّق قُلُوبَنا لحُبِّك، وحُبِّ نبيِّك، وحُبِّ مَن أَحَبَّك، اللهم يا رَبَّ العالَمين حَبِّب إلينا الإيمانَ وزَيِّنه في قُلُوبِنا وكَرِّه إلينا الكُفرَ والفُسُوقَ والعِصيانَ، واجعلنا مِن الراشدين، ومِن المتقين، ومع القومِ الصادقين، أَعِنّا على ذِكرِك وشُكرِك وحُسنِ عِبادتك، اللهم اغفِر ذُنُوبَنا، واستُر عُيُوبَنا، ويَسِّر غُيُوبَنا، اللهم يا رَبَّ العالَمين كُن لنا ولا تَكُن علينا، ارحَم مَوتانا واغفِر لحَيِّنا ومَيِّتِنا، اشفِ مَرضانا، اقضِ حَوائجَنا، اللهم يا رَبَّ العالمين أَلهِمنا رُشدَنا، واجعَل جَمعَنا هذا جَمعًا مَرحُومًا، وتَفرُّقَنا مِن بَعده تَفرُّقًا مَعصُومًا، ولا تَجعَل فينا شَقيًّا ولا مَحرُومًا، يا رَبِّ استَجب دُعاءَنا ولا تَرُدَّنا خائبين، اغفِر وارحَم، وتَجاوَز عَمّا تَعلَمُ، إنّك أنت الأعَزُّ الأكرَمُ، نَعُوذُ بك مِن الشِّقاقِ والنِّفاقِ وسُوءِ الأخلاقِ، ونَعُوذُ بك مِن العَجزِ والكَسَلِ، ومِن المَغرَمِ والمَأثَمِ، ومِن الفقرِ والكُفرِ، أخرِجِ الدنيا مِن قُلُوبِنا واجعَلها في أَيدينا، واجعَلنا نَتوَكَّلُ عليك خَيرَ تَوكُّلٍ يا أرحَمَ الراحمين، يا اللهُ، يا رَبِّ احشُرنا تحتَ لِواءِ نبيِّك يومَ القيامةِ، واسقِنا مِن يَدِه الشَّريفة شَربةً ماءٍ لا نَظمأُ بعدَها أبدًا، ثم أَدخِلنا الجنةَ مِن غيرِ حِسابٍ ولا سابقةِ عِقابٍ ولا عِتابٍ، يا رَبِّ مَتِّعنا بالنَّظَرِ إلى وَجهِك الكريمِ، ووَحِّد قُلُوبَ أُمّة سيدنا محمد يا أرحَمَ الراحمين، وَحِّد صُفُوفَهم، وسَدِّد رَميَ المُجاهدين منهم في نُحُورِ المُعتَدين، انصُرهم بنَصرِك، واجعَلهم مَحَلَّ نَظَرِك، وأَطعِم الجائعين منهم، واكسُ عارِيَهم، وثَبِّت

أفئدتَهم، ورُدّ علينا القُدسَ رَدًّا جَميلاً، اللهم زَلزِل الأرضَ تحتَ أقدامِ أعدائك، وأَرِنا فيهم يومًا يَشفي صُدُورَ قَومٍ مؤمنين ويُذهِبُ غيظَ قلوبهم يا أرحمَ الراحمين، يا رَبِّ انصُرنا على أعدائنا وعلى أنفُسنا، واهدِنا واهدِ بنا، اهدنا فيمَن هَدَيتَ، وعافنا فيمَن عافَيتَ، وتَولَّنا فيمَن تَولَّيتَ، يا رَبِّ تَقبَّل منّا صالحَ أعمالِنا، وارفَع أيديَ الأُمَمِ عنّا، يا رَبِّ بَلِّغ بنا دينَك، ولا تجعَلنا فتنةً للقَومِ الكافرين، اللهم يا رَبَّنا أَمِدَّنا بمَدَدٍ مِن عندِك، ووَحِّد قُلُوبَ المسلمين، وخَذِّل عنهم أعداءهم، اللهم اجمَعنا على الخَيرِ في الدنيا والآخرة، اللهم يا رَبَّ العالمين جَنِّبنا الزَّلَلَ والخَطَأَ والخَطيئةَ، اللهم يا رَبَّ العالمين انصُر الإسلامَ والمسلمين، واحمِ عِرضَنا، ورُدَّ أرضَنا، ورُدّ علينا قُدسَنا، ووَحِّد قُلُوبَنا وصُفُوفَنا، وأَقِمنا حيثما تَرضى، اللهم يا رَبَّ العالمين هذا حالُنا لا يَخفى عليك، وعِلمُ كلِّ ذلك بين يَدَيك، فانصُرنا واجعَل ثأرَنا على مَن ظَلَمَنا، وأَظهِر آياتك في العالمين، وأَمِدَّ بعَونِك أهلَ الدِّينِ، اللهم ارحَم العُلَماءَ مِن قَولةِ السُّوءِ ومِن الخَطَأ يا أرحمَ الراحمين، نسأَلُك العَفوَ والعافيةَ في الدِّينِ والدنيا والآخرة، فَهِّمنا عنك مُرادَك، اللهم يا رَبَّنا أَنزِل علينا مِن خَزائنِ فَضلِك ومِن السَّكينة ما تُثَبِّتُ به أفئدتَنا، اللهم إنّا في حاجة إلى رَحمتك ولستَ في حاجة إلى مُؤاخَذتنا، فاعفُ عنّا، واستُر عُيُوبَنا، وارحَم زَلّتَنا، واقبَل تَوبتَنا، إنك على كلِّ شيءٍ قديرٌ، اللهم اصرِف عنّا السُّوء بما شئتَ وكيف شئتَ، اللهم لا تَكِلنا إلى أنفُسنا طَرفةَ عَينٍ ولا أَقلَّ مِن ذلك، اللهم الطُف بنا وتَقبَّلنا على ما نحن عليه، واعفُ عنّا، واستُر عَيبَنا، واغفر ذَنبَنا، وشَفِّع فينا حَبيبَك يا أرحمَ الراحمين، اسلُك بنا يا رَبَّنا في الطريقِ إليك مَسالكَ المَجذُوبين إليك الصالحين العابدين الزاهدين في الدنيا الراغبين فيك، اللهم ثَبِّت حُبَّك وحُبَّ نَبيِّك في قلوبنا، وهَيِّئنا للأَدَب معك، اللهم يا رَبَّنا أَحسِن سَريرتَنا، وأَحسِن أَحوالَنا، وأَحسِن أعمالَنا، وتَقبَّلنا عندَك بقَبُولٍ حَسَنٍ، اللهم يا رَبَّنا وَفِّقنا إلى ما تُحبُّ وتَرضى، اللهم يا رَبَّنا اشرَح صُدُورَنا، واهدِنا إلى أَقوَمِ طَريقٍ لا يَهدينا إليها إلا أنت، اللهم مَتِّعنا بالنَّظَرِ إلى وَجهك الكريم في جَنّة الخُلد يا أرحمَ الراحمين، اللهم نَعُوذُ بك مِن السَّلبِ بعدَ العَطاءِ، ومِن الحَورِ بعد الكَورِ، اللهم اجعَلنا مِن التوابين واجعلنا مِن المتطهرين، وارضَ عنّا برِضاك، وحَبِّبنا في

رسول الله ﷺ، اللهم حَبِّب فينا خَلقَك، اللهم اهدِنا بِهدايتِك، اللهم نَوِّر قلوبَنا، وخَفِّف عنّا وارحَمنا.

شَفِّع فينا سَيِّدَ الخَلقِ يا أرحمَ الراحمين، اللهم يَسِّر ولا تُعَسِّر، اختَر لنا ما فيه الخَيرُ، اللهم افتح لنا بابَ الفَهم لِمُرادك مِن خَلقِكَ، ولا تَجعَل نُفوسَنا حائلاً بيننا وبينك، وأَصلِح حالَنا، وهَدِّئ بالَنا، نَسأَلُك رِضاك والجَنّةَ، ونَعُوذُ بك مِن سَخَطِك والنّارِ، اللهم إنّا نَعُوذُ بك منك، وبعَفوِك مِن عُقُوبتك، وبرِضاك مِن سَخَطك، جَلَّ وَجهُكَ يا رَبَّنا، لا نُحصي ثَناءً عليك أنت كما أَثنيتَ على نَفسِك، هَب مُسيئَنا إلى مُحسنِنا واغفر لنا أَجمَعين، رَضِّنا بقَضائك، وارحَمنا برَحمتِك، وافتَح لنا مِن خَزائنِ فَضلِك ما تُثَبِّتُ به إيمانَنا.

اللهم يا رَبَّنا يا اللهُ يا رحمنُ يا رحيمُ يا مَلِكُ يا قدوسُ يا سلامُ يا مُؤمِنُ يا عزيزُ يا جبارُ اجبُر كَسرَ قلوبِنا، وانصر الإسلام والمسلمين، وثَبِّت بقُدرتك ومَدَدك أَقدامَ المُجاهدين، وسَدِّد رَميَهم في نحورِ المُعتَدين، ورُدَّ علينا القُدسَ رَدًّا جَميلاً طَيِّبًا نَحُجُّ إليها تَحتَ رايةِ الإسلامِ، اللهم لا نَصرَ إلا نَصرُكَ، ولا مَدَدَ إلا مَدَدُك، ولا نَعرفُ رَبًّا سواك، فانصُرنا على القوم الكافرين، واجعَل ثَأرَنا على مَن ظَلَمَنا، اللهم يا رَبَّ العالمين أَنزِلِ السَّكينةَ على قُلوبنا وقُلوبِ أُمَّهاتِ الشُّهَداءِ، اللهم يا رَبَّ العالمين وَحِّد قُلوبَ المسلمين وانقُلنا مِن دائرةِ سَخَطِك إلى دائرةِ رِضاك، ومِن الضِّيقِ إلى السَّعة، ومِن المَعصيةِ إلى الطّاعة، ومِن الفُرقة إلى الوَحدة، اللهم ارحَمنا فإنك بنا راحِمٌ، ولا تُعَذِّبنا فأنتَ علينا قادرٌ، وكُن لنا ولا تَكُن علينا، اللهم يا رَبَّنا استَجب دُعاءَنا ولا تَرُدَّنا خائبين، اللهم اشفِ مَرضانا، وارحَم حَيَّنا ومَيِّتَنا، وحاضِرَنا وغائبَنا، نسأَلُك السِّترَ في الدنيا والآخرةِ، اللهم إنّا في حاجة إلى رَحمتك ولستَ في حاجة إلى عذابنا فاعفُ عنّا، اللهم أَيِّد الإسلامَ والمسلمين، وانصُر بمَدَدك كَلمةَ الحَقِّ والدِّين، ووَفِّقنا إلى ما تُحبُّ وترضى، وقِنا عَذابَ النّارِ، وأَدخِلنا الجنةَ مع الأَبرارِ، يا عَفُوُّ يا غَفّارُ، اللهم يا رَبَّنا أَعِنّا على ذِكرِك وشُكرِك وحُسنِ عبادتك، باعِد بينَنا وبينَ خَطايانا كما باعَدتَ بينَ المَشرِقِ والمَغرِبِ، واغسِلنا مِن خَطايانا بالماءِ والثَّلجِ والبَرَدِ، ونَقِّنا مِن خَطايانا كما يُنَقّى الثَّوبُ

الأَبيَضُ مِنَ الدَّنَسِ، اللهم وَجَّهنا وُجُوهَنا إليك، وتَوَكَّلنا عليك، فلا تَرُدَّنا إلاّ بِذَنب مَغفُورٍ، وتِجارةٍ لن تَبُورَ، نَتَوَسَّلُ إليك باسمِك الأَعظَمِ الذى إذا ما دُعيتَ به أَجَبتَ أَنْ تَرُدَّ المسلمين إلى حَظيرةِ الإسلامِ، وحَقيقةِ الإيمانِ، اللهم إنا نَعُوذُ بك مِن شَرِّ أَنفُسنا، ومِن شَرِّ المنافقين والمنافقات، والمشركين والمشركاتِ، والغافلين والغافلات، اللهم اجعَلنا مِن الذاكرين اللهَ كثيرًا والذاكرات.

اللهم يا أَرحَمَ الراحمين ارحَمنا، ويا غِياثَ المُستَغيثين أَغثنا، اللهم يا رَبَّنا نَتَوَسَّلُ إليك بمَعاقِدِ العِزِّ من عَرشِك، اللهم يا رَبَّنا نَتَوَسَّلُ إليك بسيدِنا محمد، اللهم يا رَبَّنا نَتَوَسَّلُ إليك بما تَوَسَّلَ إليك به الصالحون، اللهم يا رَبَّنا انصُرِ الإسلامَ والمسلمين، اللهم يا رَبَّنا انصُرِ الإسلامَ والمسلمين، اللهم يا رَبَّنا انصُرِ الإسلامَ والمسلمين، اللهم يا رَبَّنا أَخرِجنا مِن أَزمتِنا ووَرطتِنا، ووَحِّد بين قُلُوبِ أُمَّةِ سيدِنا محمد.

اللهم اجعَلنا ممَّن يَستَمِعُون القَولَ فيَتَّبِعُون أَحسَنَه، وارزُقنا رِزقًا واسعًا، وقَلبًا خاشعًا، ودُعاءً مَسمُوعًا مُستَجابًا، وعَينًا دامعةً، ونَفسًا قانعةً، وشفاءً من كلِّ داءٍ، تَقَبَّل منا صالِحَ أعمالنا، واغفِر حَوبَتَنا، واقبَل تَوبتَنا، اللهم أَرِنا الحَقَّ حَقًّا واهدِنا اتِّباعَه، وأَرِنا الباطِلَ باطلاً وجَنِّبنا اتِّباعَه، اللهم لا تَفجَعنا في دِينِنا، ولا تَجعَلِ الدُّنيا أَكبَرَ هَمِّنا ولا مَبلَغَ عِلمِنا، وآتِ سيدَنا محمدًا الوَسيلةَ والفَضيلةَ والدَّرَجةَ العاليةَ الرَّفيعةَ، وابعَثه مَقامًا مَحمُودًا الذي وَعَدتَه، وشَفِّعه فينا، اللهم ارزُقه الفِردَوسَ الأَعلى الذى طَلَبَ، اللهم جازِه عنّا خَيرَ ما جازَيتَ نَبيًّا عن أُمَّتِه، اللهم إنا نَسأَلُك مِن كلِّ خَيرٍ سَأَلَك منه سيدُنا محمدٌ صلى اللهُ عليه وآلــه وسلم، ونَعُوذُ بك مِن كلِّ شَرٍّ استَعاذَكَ منه سيدُنا محمدٌ صلى الله عليه وآلــه وسلم.

ثانيا : بيت الله الحرام

بناؤه وتوسعاته ومعالمه

الكعبة المشرفة:

تقع الكعبة وسط المسجد الحرام تقريبًا على شكل حجرة كبيرة مرتفعة البناء مربعة الشكل، ويبلغ ارتفاعها خمسة عشر مترًا، وفي ضلعها الشرقي يقع الباب مرتفعًا عن الأرض نحو مترين. أركان الكعبة الأربعة هي الركن الأسود والركن العراقي والركن الشامي والركن اليماني، وفي أعلى الجدار الشمالي يوجد الميزاب، وهو مصنوع من الذهب الخالص ومُطِلٌّ على حِجر إسماعيل.

بناء الكعبة المشرفة:

تفيد الروايات التاريخية أن الكعبة المشرفة بنيت اثنتي عشرة مرة عبر التاريخ، وفيما يلي أسماء البناة: الملائكة، ثم آدم عليه السلام، ثم شيث ابن آدم عليه السلام، ثم إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام بعد ان أتى عليها طوفان نوح عليه السلام فهدمها وطمس معالمها فأظهر الله لإبراهيم عليه السلام مكان البيت؛ قال تعالى: ﴿ **وإذ بَوّأنا لإبراهيمَ مَكانَ البَيتِ أن لا تُشرِكْ بي شَيئًا وطَهِّرْ بَيتيَ للطّائفينَ والقائمينَ والرُّكّعِ السُّجُودِ** ﴾ (الحج:٢٦)، وأمرهما ببنائه؛ قال تعالى: ﴿ **وإذ يَرفَعُ إبراهيمُ القَواعِدَ مِنَ البَيتِ وإسماعيلُ رَبَّنا تَقبَّلْ مِنّا إنَّكَ أنتَ السَّميعُ العَليمُ** ﴾ (البقرة:١٢٧).

وممن ساهم في إعادة البناء والتجديد والتوسعة فيما بعد أقوام وأشخاص مثل العَماليق، ثم جُرهُم، ثم قُصَيّ بن كِلاب، ثم قريش وكان معهم النبي ﷺ قبل البعثة، ثم عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما في عام ٦٥ هـ، ثم الحَجّاج بن يوسف الثَّقَفي في عام ٧٤هـ، ثم السلطان مراد العثماني في عام ١٠٤٠هـ، ثم خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز في عام ١٤١٧هـ.

بناء قريش للكعبة:

قامت قريش ببناء الكعبة سنة (١٨) قبل الهجرة، واتفقوا أن لا يُدخلوا في بنائها إلا مالاً طيبًا، فقَصُرَت بهم النفقةُ فأخرجوا مِن جهة الحِجرِ ثلاثة أمتار. ومن مميزات بنائهم أنهم رفعوا الباب من مستوى المطاف ليدخل الكعبة مَن أرادوه، وسدوا الباب الخلفي المقابل لهذا الباب وسقّفوا الكعبة وجعلوا لها ميزابًا يسكب في الحطيم، ورفعوا بناء الكعبة ٨,٦٤ أمتار بعد أن كان ٤,٣٢ أمتار.

وأكبر ميزةٍ لهذا البناء مشاركةُ النبي ﷺ في البناء بنقل الحجارة ووضعه للحجر الأسود في مكانه بيديه الشريفتين.

توسعات الحرم المكي عبر العصور

(١) عصر الرسول ﷺ:

بعد أن فتح الرسول ﷺ مكة أزال ما كان على الكعبة من أصنام، وكان يكسوها ويطيبها، ولكنه لم يقم بعمل تعديل على عمارة الكعبة وما حولها كما لم يُرجع الكعبة إلى سابق عهدها في أيام سيدنا إبراهيم عليه السلام خشية من الفتنة؛ لأن قومه كانوا حديثي عهد بالإسلام، لكن كانت أهم الأحداث في عهد الرسول ﷺ هو توجيه القبلة بأمر من الله إلى المسجد الحرام؛ يقول تعالى: ﴿ **قد نَرى تَقَلُّبَ وَجهكَ في السَّماء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قبلةً تَرضاها فوَلِّ وَجهَكَ شَطرَ المَسجدِ الحَرامِ وحيثُ ما كُنتم فوَلُّوا وُجُوهَكم شَطرَه** ﴾ (البقرة:١٤٤).

(٢) عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفي العام السّابع عشر الهجري: استشعر مدى الحاجة لهذه التوسعة حين رأى الزّيادات المطّردة في عدد الحُجّاج الذين يفدون للطّواف حول الكعبة المشرّفة سنويًّا، وعجز المطاف عن استيعاب تلك الزّيادات، فقام بشراء البيوت المجاورة للمسجد، ووسّع بها ساحة المطاف وجعل لها أبوابًا يدخل الحجّاج والمعتمرون منها للطّواف حول الكعبة المشرفة.

(٣) عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه :

في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه كثر الناس فوسع المسجد، وكانت هذه الزيادة سنة ست وعشرين للهجرة، كما بنى رضي الله عنه للمسجد أروقةً؛ فكان ذو النورين أول من بنى أروقة للمسجد الحرام.

(٤) عهد عبد الله بن الزّبير رضي الله عنه :

في عهد عبد الله بن الزّبير رضي الله عنه عام ٦٤ هـ أجريت زيادة كبيرة على المسجد

طالت جهاته الشّرقية والجنوبيّة والشّمالية، كما قام بسقف المسجد ودعمه بأعمدة من الرّخام، وبذل أموالا طائلةً في شراء بعض البيوت المحيطة به، التي ضمّ أرضها لساحة المسجد، وقد بلغت التّوسعة التي أجراها نحو ٤٠٥٠ مترًا مسطّحًا.

(٥) عهد عبد الملك بن مروان رحمه الله:

في عهد عبد الملك بن مروان وتحديدًا في سنة ٧٥ هـ أجرى هذا الخليفة الأمويّ عمارةً في المسجد الحرام دون أن يحدث أيّ زيادة في مساحته، لكنه قام برفع جدران الحرم، وسقّفه بالسّاج، ووضع على رأس كلّ أسطوانة خمسين مثقالا من الذّهب.

(٦) عهد ابنه الوليد بن عبد الملك: رحمه الله

في عهد الوليد بن عبد الملك تم لأول مرة نقل أساطين الرخام (أعمدة الرخام) من مصر والشام إلى مكة على العجل، وزاد في مساحة المسجد الحرام من الجهة الشرقية رواقًا دائرًا على حافتـــه، وقد بلغت هذه التوسعة نحو ٢٣٠٠ متر مربع، وكان الوليد بن عبد الملك هو أول من آزر المسجد بالرخام من داخله، كما أهدى إلى الكعبة المشرفة هلالين وسريرا من ذهب.

(٧) عهد الخليفة المنصور العباسي: رحمه الله

في عهد الخليفة المنصور زاد في مساحة المسجد الحرام، وأصلح في عمارته، وقد تمثّلت هذه الزّيادة في إقامة رواق واحد ينفذ على صحن المسجد الحرام، كما بنى الخليفة المنصور مئذنة في ركن المسجد الشمالي الغربي عُرفت باسم "مئذنة بني سهم". أما عن شكلها فقد كان الجزء الأسفل مكعبًا، أما الجزء العلوي فهو أسطواني يعلوه خوذة المئـــذنة، وبهذه الزّيادة التي بلغت نحو ٤٧٠٠ متر مربع والتي انتهت عام ١٤٠ هـــ تكون مساحة المسجد قد بلغت ضعف ما كانت عليه في المرحلة السّابقة عنها.

(٨) الخليفة محمد المهـدي العبّاسي رحمه الله:

أعقب الخليفة محمد المهدي العبّاسي العمارة السابقة بعمارتين كبيرتين: الأولى جرت عام ١٦٠ هـ، وأكمل بها عمارة أبيه الخليفة أبي جعفر المنصور؛ حيث وسّع المسجد الحرام من الموضع الذي انتهى إليه والده في الجانب الغربيّ، كما وسّعه من أعلاه ومن الجانب اليماني. وقد بلغت هذه الزيادة ٧٩٥٠ مترا مسطحًا. أما العمارة الثّانية فقد جرت بعد أن قدم المهدي للحج عام ١٦٤هـ، وساءه أن يرى العمارة الأولى التي أمر بإجرائها لم تجعل المسجد مربعًا وتتوسّطه الكعبة المشرفّة، فأمر المهندسين بتدارك الأمر وإجراء التعديلات والتوسعات اللازمة، واشترى الدور المجاورة، وأنفق أموالا طائلة حتى تحقّق له ما أراد، وانتهت هذه العمارة في عهد ابنه موسى الهادي بعد أن توفاه الله. وقد بلغت هذه الزيادة نحو ٢٣٦٠ مترًا مربعًا، وكان عدد الأعمدة وقتها أربعمائة وأربعة وثلاثين عمودا، وكان عدد الأبواب في المسجد أربعة وعشرين بابًا، وأصبح للمسجد أربع مآذن في أركانه الأربعة.

(٩) في عهد المعتضد بالله: رحمه الله

في عهد المعتضد بالله تم إضافة دار النّدوة إلى المسجد الحرام، ودُعِّم هذا الجزء بأساطين وطاقات وأروقة مسقّفة بالساج المزخرف، وأُوصلت بالمسجد الحرام عن طريق اثني عشر بابا فُتحت في حائط المسجد. وبلغت هذه الزّيادة ١٢٥٠ مترًا مربعا.

(١٠) المقتدر بالله العبّاسي: رحمه الله

في عام ٣٠٦هـ أجرى المقتدر بالله العبّاسي زيادة أخرى بلغت ٨٥٠ مترًا مربعًا؛ حيث كانت هناك ساحة تقع بين بابين من أبواب المسجد الحرام: أحدهما يسمّى باب "الخياطين" أو باب "الحزوة"، والثاني يسمّى باب "جمح"، وكانت أمام هذه السّاحة داران لزبيدة أمّ الخليفة الأمين. وقد ضمت تلك المساحات جميعها للمسجد الحرام.

(١١) السّلطان أبو السّعادات زين الدّين فرج برقوق: رحمه الله

في سنة ٨٠٣هـ شبّ حريق كبير في المسجد الحرام دمّر الجانب الغربيّ منه، وأصاب أيضًا الجانب الشّمالي الذي استمرّ الحريق فيه إلى أن أتى على سقوف المسجد وأعمدته الرّخامية، ووصل إلى أسطوانتين هدمهما السّيل العظيم الذي داهمهما، وأسقط ما عليهما من الأعمدة والسّقوف. وحين علم السّلطان أبو السّعادات زين الدّين فرج برقوق بذلك قام بإصلاح ما أتلفه الحريق، وأعاد بناء المسجد الحرام إلى ما كان عليه، دون إضافة أيّ زيادات على مساحته.

(١٢) جمال الدّين محمد بن عبد الله بن ظهيرة: رحمه الله

في سنة ٨١٥هـ قام قاضي مكّة جمال الدّين محمد بن عبد الله بن ظهيرة بتعمير أجزاء من المسجد وإصلاح سقفه.

(١٣) الأمير زين الدّين برسباي: رحمه الله

في سنة ٨٢٥ هـ أجرى الأمير زين الدّين برسباي عمارة كبيرة للمسجد الحرام بعد أن أصاب التّلف والتّشقّق جدرانه وأعمدته وأبوابه وسقفه وقام بتشييد عشرات العقود وتجديد الأبواب والسّقوف في مبنى المسجد.

(١٤) السلطان قايتباي: رحمه الله

في سنة ٨٨٢ هـ بنى السلطان قايتباي سلطان مصر أوّل مدرسة تدرس فيها المذاهب الأربعة، واشترى بعض الدّور المحيطة به، وأقام فيها مجمّعًا كبيرًا يشرف على المسجد الحرام والمسعى واشترى مكتبًا ومنارةً.

(١٥) السّلطان سليم: رحمه الله

في الفترة الواقعة ما بين ٩٨١-٩٨٤ هـ أجرى السّلطان سليم عمارةً شاملةً

للمسجد بعد أن أصاب الخراب بعض أروقته وبرزت رؤوس أخشاب سقوفه، فاستبدلت بالسقوف الخشبيّة القبابُ التي أقيمت على دعامات قويّة من الحجر وأساطين الرّخام. وقد توفّي السّلطان سليم قبل إتمام تلك العمارة، فتولّى ابنه السّلطان مراد خان الرّابع إتمامها. وكانت هذه العمارة بمثابة تجديد كامل للمسجد منذ عمارة الخليفة المهدي العبّاسي التي انتهت عام ١٦٤ هـ.

(١٦) الملك سعود: رحمه الله

في عهد الملك سعود تمت توسعة شاملة لبيت الله الحرام وعمارته في ثلاث مراحل شملت إزالة المنشآت السكنية والتجارية التي كانت مجاورة للمسعى، وكذلك إزالة المباني التي كانت قريبة من المروة، وإنشاء طابق علوي للمسعى بارتفاع تسعة أمتار مع إقامة حائط طولي ذي اتجاهين، وتخصيص مسار مزدوج يستخدمه العجزة الذين يستعينون بالكراسي المتحركة في سعيهم مع إقامة حاجز في وسط المسعى يقسمه إلى قسمين لتيسير عملية السعي. كما أنشئ للحرم ١٦ بابًا في الجهة الشرقية (ناحية المسعى)، كما تمّ إنشاء درج ذي مسارين لكلّ من الصّفا والمروة؛ خصّص أحدهما للصّعود والآخر للهبوط. كما أنشئ مجرى بعرض خمسة أمتار وارتفاع يتراوح ما بين أربعة وستة أمتار لتحويل مجرى السّيل الذي كان يخترق المسعى ويتسرّب إلى داخل الحرم، كما تم توسعة منطقة المطاف على النّحو الذي هو عليه الآن، كما أقيمت السّلالم الحاليّة لبئر زمزم. وكان المطاف بشكله البيضاويّ يبدو وكأنّه عنق زجاجة؛ الأمر الذي كان سببًا في تزاحم الطّائفين حول الكعبة المشرّفة. وقد زال هذا الوضع بعد إجراء توسعة المطاف. كذلك جرت وفق هذه التّوسعة إزالة قبّة زمزم التي كان يستخدمها المؤذّنون الذين أنشئ لهم مبنى خاص على حدود المطاف إضافة لبعض التطويرات العديدة، وأصبحت مساحة مسطحات المسجد الحرام بعد هذه التوسعة ١٩٣٠٠٠ متر مربع بعد أن كانت ٢٩١٢٧ مترًا مربعًا؛ أي بزيادة قدرها ١٣١٠٤١ مترًا مربعًا. وأصبح الحرم المكي يتسع لحوالي ٤٠٠٠٠٠ مصلٍّ، وشملت هذه التوسعة ترميم الكعبة المشرفة وتوسعة المطاف وتجديد مقام إبراهيم عليه السلام.

(١٧) الملك فيصل: رحمه الله ورضى عنه

في عهد الملك فيصل تم الإبقاء على البناء العثماني القديم، وتم عمل تصاميم العمارة الجديدة بأفضل أساليب الدمج التي تحقق الانسجام بين القديم والجديد. وما زال البناء الحالي يجمع بين التراث والمعاصرة.

(١٨) الملك فهد: رحمه الله

في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد في ١٣-٩-١٩٨٨م تم وضع حجر الأساس لتوسعة المسجد الحرام بمكة المكرمة بحيث تتألف من الطابق السفلي (الأقبية) والطابق الأرضي والطابق الأول؛ وقد صمم وتم بناؤه على أساس تكييف شامل، وعمل محطة للتبريد في أجياد، وروعي في الأقبية تركيب جميع الأمور الضرورية من تمديدات وقنوات، وعُملت فتحات في أعلى الأعمدة المربعة، حيث يتم ضخ الهواء والماء البارد فيها من المحطة المركزية للتكييف في أجياد. ومبنى التوسعة منسجم تمامًا في شكله العام مع مبنى التوسعة الأولى، وقد كُسيت الأعمدة بالرخام الأبيض الناصع، كما كسيت أرضها بالرخام الأبيض، وأما الجدران فكسيت من الخارج بالرخام الأسود المموج والحجر الصناعي، وكذلك من الداخل مع تزيينها بزخارف إسلامية جميلة، ويبلغ عدد الأعمدة للطابق الواحد (٥٣٠) عمودًا دائريًا ومربعًا. وجعل في هذه التوسعة أربعة عشر بابًا؛ فبذلك صارت أبواب المسجد الحرام (١١٢) بابًا، وصنعت الأبواب من أجود أنواع الخشب، وكُسيت بمعدن مصقول ضبط بحليات نحاسية، وصُنعت النوافذ والشبابيك من الألمونيوم الأصفر المخروط وزينت بمعدن مصقول بحليات نحاسية.

وعمل لهذه التوسعة مبنيان للسلالم الكهربائية في شماله وجنوبه وسُلّمان داخليان؛ وبذلك يصبح مجموع السلالم الكهربائية في المسجد الحرام تسعة سلالم، هذا عدا السلالم الثابتة الموزعة في أنحاء مبنى المسجد الحرام.

وفي سنة ١٩٩١م أُحدثت ساحات كبيرة محيطة بالمسجد الحرام، وهُيئت للصلاة لا سيما في أوقات الزحام بتبليطها برخام بارد ومقاوم للحرارة، وإنارتها، وفرشها، وتبلغ المساحة الإجمالية لهذه الساحات (٨٨٠٠٠) متر مربع.

وفي سنة ١٩٩٤م تم في المسجد الحرام توسعة منطقة الصفا في الطابق الأول تسهيلا للساعين؛ وذلك بتضييق دائرة فتحة الصفا الواقعة تحت قبة الصفا.

وفي سنة ١٩٩٦م تم أيضًا إعادة تهيئة منطقة المروة؛ لغرض القضاء على الزحام في هذا الموقع، حتى صارت مساحة المنطقة (٣٧٥) مترًا مربعًا بدلا من المساحة السابقة وهي (٢٤٥) مترًا مربعًا.

وفي سنة ١٩٩٦م حصلت أيضًا توسعة الممر الداخل من جهة المروة إلى المسعى في الطابق الأول، وأُحدثت أبواب جديدة في الطابق الأرضي والأول للدخول والخروج من جهة المروة.

وفي سنة ١٩٩٧م تم إنشاء جسر الراقوبة الذي يربط سطح المسجد الحرام بمنطقة الراقوبة من جهة المروة، لتسهيل الدخول والخروج إلى سطح المسجد الحرام. ويبلغ طول الجسر ٧٢,٥ مترًا، ويتراوح عرضه من عشرة أمتار ونصف المتر إلى أحد عشر مترًا ونصف المتر، وتم تنفيذه وفق أحدث التصاميم الإنشائية، وبما يتناسق مع الشكل الخارجي للمسجد الحرام، كما تم في هذا العام توسعة الممر الملاصق للمسعى الذي يستعمل للطواف بالطابق الأول في أوقات الزحام من منطقة الصفا إلى ما يقابل منتصف المسعى؛ حيث تمت توسعته، فأصبح عرضه تسعة أمتار وعشرين سنتيمترًا، ويبلغ طوله سبعين مترًا.

وفي سنة ١٩٩٨م تم تجديد غطاء مقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام من النحاس المغطى بشرائح الذهب والكريستال والزجاج المزخرف، وتم وضع غطاء من الزجاج البلوري القوي الجميل المقاوم للحرارة والكسر على مقام إبراهيم عليه السلام، وشكله مثل القبة نصف الكرة، ووزنه ١,٧٥٠ كجم، وارتفاعه ١,٣٠ م، وقطره من الأسفل

٤٠ سم، وسمكه ٢٠ سم من كل الجهات، وقطره من الخارج من أسفله ٨٠ سم، ومحيط دائرته من أسفله ٢,٥١ م.

وأصبح مجموع المساحات بعد توسعة خادم الحرمين الشريفين (٣٦٦١٦٨) مترا مربعا، وأصبحت طاقة استيعاب المصلين في المسجد الحرام في الظروف العادية بعد توسعة خادم الحرمين الشريفين (٤٦٠٠٠٠) مُصَلٍّ، بحيث يبلغ مجموع عدد المصلين في داخل المسجد الحرام والسطوح والساحات (٨٢٠٠٠٠) مُصَلٍّ. ويمكن في ذروة الزحام استيعاب أكثر من مليون مصل.

وصف الكعبة من الداخل:

يبلغ سمك حائطها ستة أشبار، وأرضها مغطاة بالرخام الأبيض. وبالكعبة ثلاث خلوات صغيرة كأنها دكاكين إحداها تقابل الباب والأخريان على الجانب الشمالي. والأعمدة التي بالكعبة والتي أقيم عليها السقف كلها من خشب الساج المربع إلا عمودًا واحدًا مدورًا. وفي الجانب الشمالي قطعة مستطيلة من الرخام الأحمر يقال إن الرسول ﷺ كان يصلي عليها، ويجتهد كل من يعرف ذلك أن يصلي هناك. وقد غطيت حوائط الكعبة بألواح الرخام الملون. وعلى الجانب الغربي منها ستة محاريب من الفضة ألصقت بالحائط بمسامير. ويبلغ ارتفاع كل منها قامة الرجل، وهي مزينة بنقوش كثيرة من الذهب والفضة، وهي مرتفعة عن الأرض وحوائط الكعبة الأربعة حتى أربعة أذرع من الأرض خالية من النقوش، وأما بعد ذلك إلى السقف فمزيّنة بالرخام المنقوش والموشّى أغلبه بالذهب.

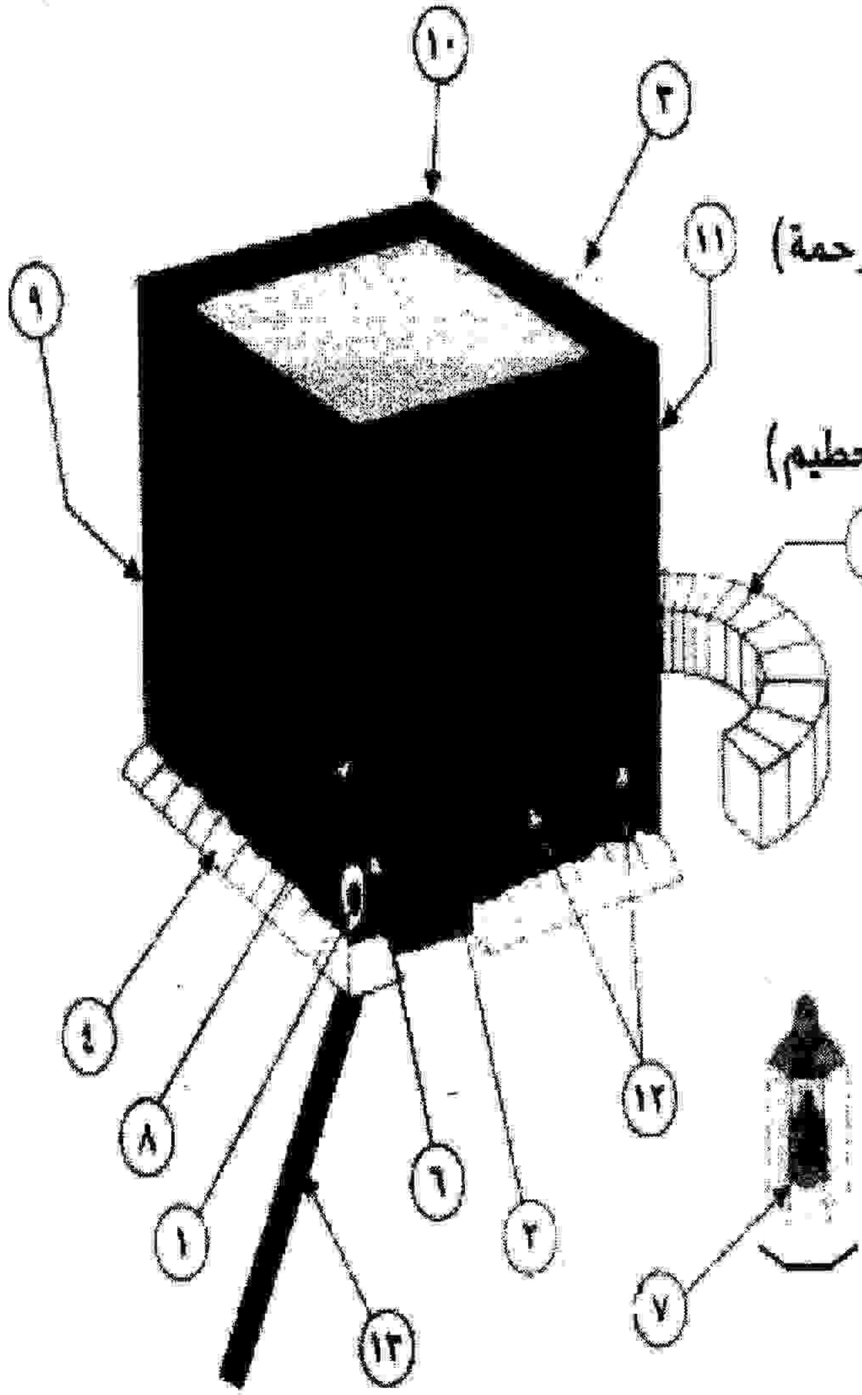
وفوق كل من الخلوات الثلاث التي ذكرتُها والتي توجد إحداها في الركن العراقي والأخرى في الركن الشامي والثالثة في الركن اليماني، فوق كل ركن منها لوحان من الخشب مثبتان على الحائط بمسامير من فضة، وهي ألواح يقال إنها من خشب سفينة نوح عليه السلام طول كل منها خمسة أذرع وعرضه ذراع واحد.

وقد أُسدل على الخلوة التي خلف الحجر الأسود ستار من الديباج الأحمر، وحين يدخل السائر في الكعبة يجد على اليد اليمنى زاوية مربعة بمقدار ثلاثة أذرع في مثلها. وهناك سُلَّم يؤدي إلى سطح الكعبة عليه باب من الفضة له مصراع واحد يسمى باب الرحمة، وعليه قُفل من الفضة، فإذا صار فوق سطح الكعبة يجد بابًا آخر مثل الباب السابق منقوشًا بالفضة على وجهيه، وقد غطى سقف الكعبة بالخشب المغطّى بالحرير الذي يحجبه عن الأنظار وعلى حائط الكعبة الأمامي فوق العمد الخشبية كتابة ذهبية فيها اسم العزيز بالله سلطان مصر الذي استولى على مكة من الخلفاء العباسيين، وعلى

الحائط أربعة ألواح أخرى كبيرة من الفضة متقابلة ومثبتة بمسامير من فضة وعلى كل لوح منها اسم السلطان الذي أرسله من سلاطين مصر كان كل منهم يرسل لوحًا في عهده.

وبين الأعمدة ثلاثة قناديل فضية معلقة، وبلاط سطح الكعبة من الرخام اليمني الذي يلمع كأنه البلور، وفي أركانها أربع روازن، على كل منها لوح من الزجاج لينفذ منه النور ولمنع تسرب المطر.

الكعبة المشـــرفة



١ - الحجر الأسود
٢ - باب الكعبة
٣ - الميزاب (مزراب الرحمة)
٤ - الشاذروان
٥ - حجر إسماعيل (الحطيم)
٦ - المُلتَزَم
٧ - مقام إبراهيم
٨ - ركن الحجر الأسود
٩ - الركن اليماني
١٠ - الركن الشامي
١١ - الركن العراقي
١٢ - ستار الكعبة
١٣ - خط المرمر البني

١ - الحجر الأسود:

يوجد في الجنوب الشرقي من الكعبة، وهو يمين الله في الأرض يصافح بها عباده المؤمنين، والباقي منه أحجار صغيرة معدودة بقيت من حجر أسود اللون مائل إلى الحمرة تم وضعها الآن على ظاهر حجر ثقيل بيضاوي الشكل قطره ٣٠ سم ويحيط به إطار من الفضة، ويطلب من الطائف تقبيل الحجر في كل شوط إن أمكن أو يشير إليه بيده ثم يقبلها. وقد ورد في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: "إنّ الحَجَرَ والمَقامَ ياقُوتَتانِ مِن ياقوت الجنة طَمَسَ اللهُ نُورَهما، ولولا أن طمس نورهما لأضاءا ما بين المشرق والمغرب"[١]، وقد ورد في الحديث أيضًا أن "الحَجَر الأسوَد نَزَلَ مِن الجَنّةِ أَشَدَّ بَياضًا مِن اللَّبَنِ فسَوَّدَته خَطايا بَني آدمَ"[٢].

الإطار الفضي: كان عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما أوّل من ربط الحجر الأسود بالفضة، ثم تتابع الخلفاء في عمل الأطواق من فضة كلما اقتضت الضرورة. وفي شعبان ١٣٧٥هـ وضع الملك سعود بن عبد العزيز طَوقًا جديدًا من الفضة، وقد تمَّ ترميمه في عهد خادم الحرمين.

---

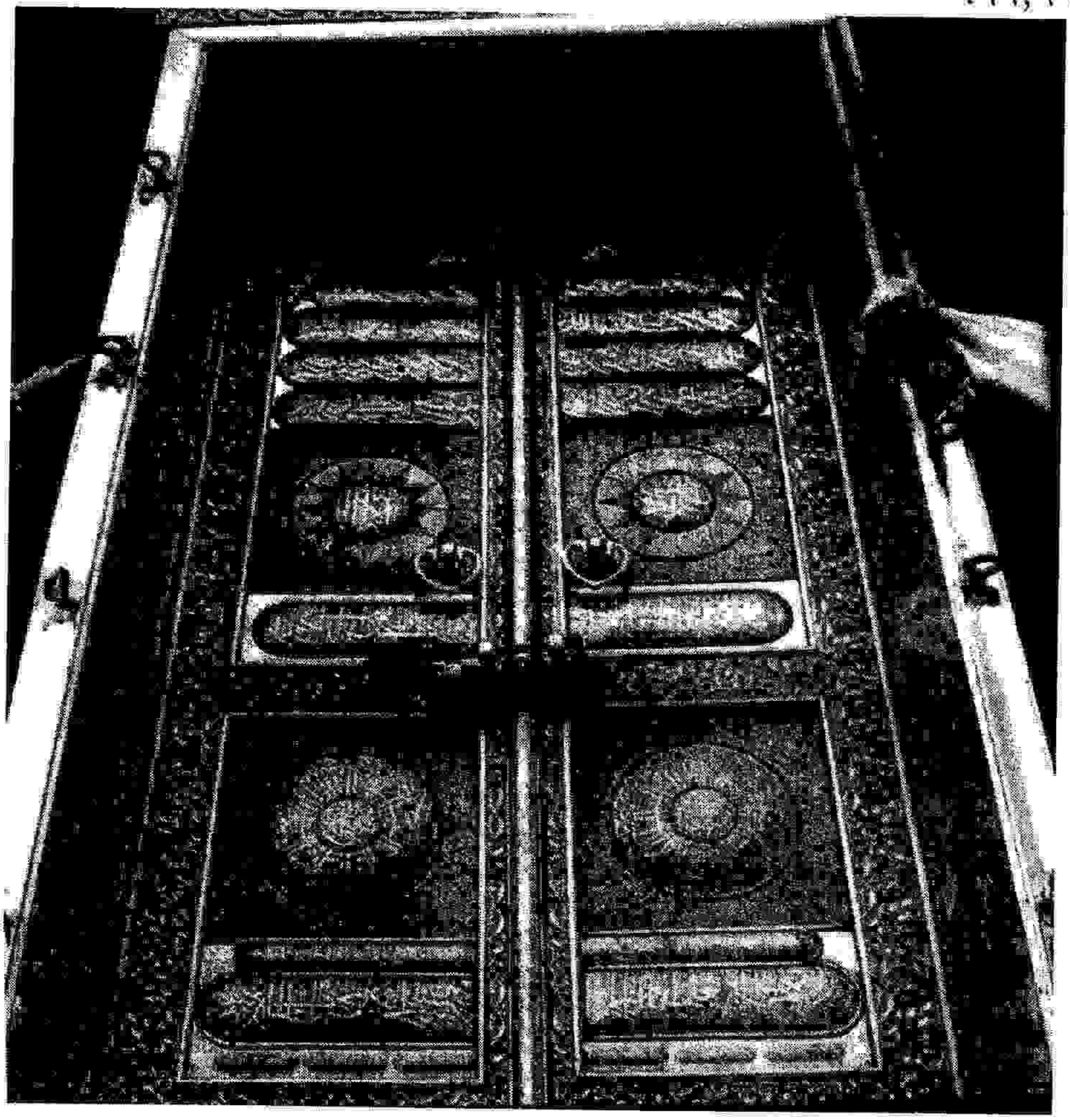
(1) أخرجه الترمذي (ج٣/٢٢٧رقم ٨٧٨) ط إحياء التراث العربي، وأخرجه أحمد (ج٢/٢١٤ رقم ٧٠٠٠) ط مؤسسة قرطبة.

(٢) أخرجه الترمذي (٣/٢٢٦ رقم ٨٧٧) وقال حسن صحيح. ط إحياء التراث العربي، وأخرجه أحمد (ج١/٣٠٧ رقم ٢٧٩٦) ط مؤسسة قرطبة.



٢- باب الكعبة المشرفة:

يرتفع عن أرض المطاف بحوالي ٢,٥ متر، وارتفاع الباب ٣,٠٦ أمتار وعرضه ١,٦٨ متر، والباب الموجود اليوم هدية من الملك خالد بن عبد العزيز، وقد تمّ صنعه من الذهب حيث بلغ مقدار الذهب المستخدم فيه للبابين حوالي ٢٨٠ كيلو جرام عيار ٩٩,٩٩.



- الشاذَروان:

هو البناء المُسَنَّم بأسفل الكعبة مما يلي أرض المطاف ما عدا جهة الحَطِيم فإن العتبة التي فيه من أصل الكعبة وليس بشاذروان، وهي مرتفعة عن الأرض نحو ١٣ سم وبعرض ٤٥ سم. وحقيقة الشاذروان أنه من أصل جدار الكعبة حينما كانت على قواعد إبراهيم عليه السلام وأنقصته قريش من عرض أساس جدار الكعبة حين ظهر على وجه الأرض. وقيل إن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما بنى الشاذروان لحماية جدار الكعبة من تسرب المياه إليها وربط حبال الكعبة المشرفة في الحلقات المثبتة فيه لهذا الغرض ولإبعاد أجساد الطائفين عن الاحتكاك بستار الكعبة حتى لا تتضرر أجساد الطائفين في الازدحام ولا يتلف ستار الكعبة. وثبت في الشاذروان وعتبة الحطيم (٥٥) حلقة نحاسية لربط حبال كسوة الكعبة. وحجارة الشاذروان من الرخام الصلب وأثناء عمارة الكعبة المشرفة سنة ١٤١٧هـ جدد الرخام القديم.

٥- حِجر إسماعيل (الحَطِيم):

وهو بناء مكشوف على شكل نصف دائرة، ومما قيل في علة تسميته بالحطيم أنه حُطِّم من البيت حيث أنقصته قريش من البيت حين جددت بناء الكعبة المشرفة، ويقال له حجر إسماعيل لأن إبراهيم عليه السلام جعل بجانب الكعبة عريشًا من أراك لإسماعيل وأمه عليهما السلام مما يدلُّ على أن الحجر لم يكن من الكعبة. أما الجزء الذي أنقصته قريش من الكعبة وأدخلوه في الحجر فهو من الكعبة ومقداره نحو ثلاثة أمتار. كما روي أن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت النبي ﷺ عن الجَدر (أي الحطيم) أمِنَ البيت هو؟ قال: "نعم". قلت: فما لهم لم يُدخِلُوه في البيت؟ قال: "إنّ قَومَكِ قَصُرَت بهم النَّفَقَةُ"(١).

وإنّ مَن لم يتيسر له الصلاة في الكعبة المشرفة وصلى في الحطيم بالجزء الذي يلي الكعبة ثلاثة أمتار فإنه قد صلّى في الكعبة؛ فقد روي عن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت أحب أن أدخل البيت فأصلي فيه .فأخذ رسول الله ﷺ بيدي فأدخلني الحجر فقال: "صَلِّي فيه إن أَرَدتِ دُخُولَ البيتِ؛ فإنما هو قطعةٌ مِن البَيتِ"(٢).

---

(1) أخرجه البخاري (ج٢/٥٧٤ رقم ١٥٠٧) وفي (ج٦/٢٦٤٦ رقم ٦٨١٦) ط ابن كثير- اليمامة، وأخرجه مسلم عن عائشة أيضا.

(2) أخرجه الترمذي (ج٣/٢٢٦ رقم ٨٧٦) ط إحياء التراث العربي، وأخرجه أبو داود (ج٢/٢١٥ رقم ٢٠٢٨) ط دار الفكر، وأخرجه أحمد (ج٦/٩٣ رقم ٤٦٦٠) ط مؤسسة قرطبة.

مقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وإذ جَعَلنا البَيتَ مَثابةً للنّاسِ وأمنًا واتَّخِذُوا مِن مَقامِ إبراهيمَ مُصلّى ﴾ (البقرة:١٢٥)، أي: اتخذوا عند مقام إبراهيم مصلى.

قيل: المسجد كله مقام إبراهيم، وقيل: الحرم كله، وقيل: جميع مشاهد الحج كمنى وعرفة ومزدلفة، وقيل: هو الحجر الذي قام عليه إبراهيم عليه الصلاة والسلام عند بناء الكعبة وكان يرتفع به كلما ارتفع البناء. وهذا القول الأخير هو الصحيح، وهو الذي يتبادر إلى الأذهان إذا ذُكِر المقام، وهو الذي أراد الله أن تغوص فيه قدما إبراهيم عليه الصلاة والسلام تخليدا لذكراه وما يحوطها من إيمان كامل وتعلق بالله شامل.

أصل المقام من الجنة؛ لما رواه الترمذي وأحمد والحاكم وابن حبان أن رسول الله ﷺ قال: "إنّ الرُّكنَ والمَقامَ ياقُوتَتانِ مِن ياقُوتِ الجَنّةِ طَمَسَ اللهُ تعالى نُورَهما، ولو لم يَطمِس نُورَهما لأضاءَتا ما بينَ المَشرِقِ والمَغرِبِ".

ومع عظيم احترام العرب في الجاهلية للحجر الأسود والمقام إلا أن الله حماهما من عبادهما؛ فلم يتحولا إلى أصنام تعبد، وكذا الكعبة، لأن الله ببالغ علمه الواسع أراد أن تكون هذه المقدسات لأمة محمد ﷺ صافية نقية مِن شائبة الشرك في تاريخ وجودها.

لقد تغير أثر القدمين عن هيئتهما الأصلية؛ وذلك لأن المقام كان مكشوفا، ومن كثرة مَس الأيدي له ذهبت معالمُ تفصيلِ الأصابع.

والظاهر من أثر القدمين في مقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام أنه كان بدون نعلين حين يرتقي الحجر.

روى البخاري عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (وافقت ربي في ثلاث: قلت: يا رسول الله، لو اتَّخَذتَ مَقامَ إبراهيمَ مُصلًّى. فنَزَلَت: ﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾ ... إلخ الحديث).

لقد كان قرار إلغاء مقصورة المقام واستبدال ذلك بالصرح البلوري المشاهد اليوم مبنيا على قرار توصية المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي الذي اتخذه في جلسته الحادية عشرة المنعقدة بتاريخ ٢٥-١٢-١٣٨٤هـ والذي جاء في مقدمة نصه: (تفاديا لخطر الزحام أيام موسم الحج وحرصا على الأرواح البريئة التي تذهب في كل سنة تحت أقدام الطائفين الأمر الذي ينافي سماحة الشريعة الإسلامية ويسرها وعدم تكليفها النفس البشرية أكثر مما في وسعها يقرر المجلس الموافقة على المشروع الآتي ورفعه إلى الجهات السعودية المختصة ...

ثم عرضت مواصفات المشروع، وكانت الاستجابة من الدولة سريعة جدا فكان هذا الإنجاز البلوري المشاهد اليوم.

وكانت قدما نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم شديدة الشبه بأثر قدمي أبي الأنبياء إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وهو حق لا شك فيه؛ لما ورد من الأحاديث الصحيحة، ولما يدل عليه شكل القدمين اللتين على المقام الكريم. وكان أبو جهم ابن حذيفة القرشي الذي حضر بناء الكعبة المعظمة مرتين: مرة في بناء قريش، ومرة في بناء ابن الزبير رضي الله عنهما يقول: ما رأيت شبها كشبه قدم النبي ﷺ بقدم إبراهيم عليه السلام التي كنا نجدها في المقام.

وقال قوم من بني مدلج وهم من أشهر العرب معرفة بالقيافة وبالآثار والعلامات لعبد المطلب جد النبي ﷺ حينما كفله بعد وفاة أمه آمنة: احتفظ بمحمد؛ فإنا لم نر قدما أشبه بالقدم التي في مقام إبراهيم منه.

وتبعا للترميم الكامل للكعبة المشرفة فقد جاء الأمر السامي الكريم من خادم الحرمين الشريفين بترميم مقام سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام في مكانه مع عدم تغيير في موقعه ولا بمقدار مليمتر واحد.

وقد تم في هذا الترميم تغيير الهيكل والقبة والهلال والكسوة الخرسانية للقاعدة فقط على الشكل التالي:

تم تغيير الهيكل المعدني المركب على مقام سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام بهيكل نحاسي جديد ذي جودة عالية، بالإضافة إلى أن شبكه الداخلي مطلي بالذهب ومن الخارج وُضِع زجاج مقاس ١٠ مليمتر ليعطي رؤية واضحة ومن النوع المقاوم للحرارة والكسر.

كما تم تغيير كسوة القاعدة الخرسانية من الجرانيت الأسود ورخام وادي فاطمة إلى رخام كرار أبيض صافي ومحلى بجرانيت أخضر ليماثل حجر سيدنا إسماعيل عليه الصلاة والسلام. وليصبح بشكل انسيابي بعد أن كان ذا شكل مضلع.

وقد تم الانتهاء من هذا الترميم في مساء الأربعاء في ٢١-١٠-١٤١٨هـ، ونسأل الله أن يتقبل ذلك من خادم الحرمين الشريفين أحسن قبول.

زمزم .. خير ماء على الأرض

يُعَدُّ بئر زمزم من العناصر المهمة داخل المسجد الحرام، وهي أشهر بئر على وجه الأرض؛ لمكانتها الروحية المتميزة، وارتباطها في وجدان المسلمين عامة، والمؤدين لشعائر الحج والعمرة خاصة.

وهي تلك البئر المباركة التي فجرها جبريل عليه السلام بعقبه لإسماعيل وأمه عليهما السلام، حيث تركهما خليل الله إبراهيم عليه السلام في ذلك الوادي القَفر الذي لا زرعُ فيه ولا ماء، وذلك حين نفد ما معهما من زاد وماء، وجهدت هاجر وأتعبها البحثُ ساعية بين الصفا والمروة ناظرة في الأفق البعيد علّها تجد مغيثًا يغيثها، فلما أيست من الخلق أغاثها الله عز وجل بفضله ورحمته.

فضل ماء زمزم

عن جابر وابن عباس: قال رسول الله ﷺ: "ماءُ زَمزَمَ لِما شُرِبَ له"[(١)].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "خَيرُ ماءٍ على وجه الأرض ماءُ زَمزَمَ، فيه طَعامُ الطُّعمِ، وشِفاءُ السُّقمِ"[(٢)]. وطعام الطُّعم أي أنَّ الإنسان يشبع من مائها إذا شربه كما يشبع من الطعام إذا أكله. وشفاء السقم: أي يزيل المرض، ويبرئ العلةَ.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "إنَّ آيةَ ما بيننا وبين المنافقين أنهم لا يَتَضَلَّعُون مِن زَمزَم"[(٣)] (التضلع أي الشرب حتى تنتفخ الأضلاع).

---

(1) أخرجه ابن ماجه (ج١٠١٨/٢ رقم ٣٠٦٢) ط دار الفكر، وأخرجه أحمد (ج٣٥٧/٣ رقم ١٤٨٩٢) ط مؤسسة قرطبة، وأخرجه الحاكم (ج٦٤٦/١ رقم ١٧٣٩) ط دار الكتب العلمية.

(2) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (ج٩٨/١١ رقم ١١١٦٧) ط مكتبة العلوم والحكم، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (ج١٧٩/٤ رقم ٣٩١٢) ط دار الحرمين.

(3) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (ج٣١٤/١٠ رقم ١٠٧٦٣) وأيضا في (ج١٢٤/١١ رقم ١١٢٤٦) ط مكتبة العلوم والحكم.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يحمل ماء زمزم في الأداوي والقِرَب، وكان يصب على المرضى ويسقيهم[١].

وعن حبيب بن أبي ثابت قال: سألت عطاء: أأحمل ماء زمزم؟ فقال: قد حمله رسول الله ﷺ، وحمله الحسن والحسين. وكان الصحابة والسلف الصالح رضوان الله عليهم يُتحِفُون ضيوفَهم بماء زمزم.

وعن مجاهد أن ابن عباس رضي الله عنهما كان إذا نزل به ضيف أتحفه من ماء زمزم، ولا أطعم قوما طعاما إلا سقاهم من ماء زمزم.

يقول الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري ﷺ: لقد لبثتُ ثلاثين بين ليلة ويوم ما كان لي طعام إلا ماء زمزم؛ فسَمِنتُ حتى تَكَسَّرَت عُكَنُ بطني، وما وجدتُ على كبدي سُخفة جوع. (صحيح مسلم)

ويقول ابن القيم رحمه الله في (زاد المعاد):

[سيد المياه وأشرفها، وأجلها قَدرًا، وأحبها إلى النفوس، وأغلاها ثمنًا، وأنفسها عند الناس.... وقد جربت أنا وغيري من الاستشفاء بماء زمزم أُمُورًا عَجِيبةً واستشفيت به من عدة أمراض]، وقال في موضع آخر: [ولقد مر بي وقت بمكة سقمتُ فيه، وفقدتُ الطبيب والدواء، فكنت أتعالج بها (يقصد الفاتحة) آخذ شربة من ماء زمزم، وأقرؤها عليها مرارا ثم أشربه، فوجدتُ بذلك البرءَ التام، ثم صرتُ أعتمد ذلك عند كثير من الأوجاع، فأنتفع بها غاية الانتفاع] اهـ. لذا فإن ماء زمزم يُستخدَم للاستشفاء بشرط: سلامة القلب، والتوكل على الله، والثقة به سبحانه وتعالى.

---

(1) أخرجه الترمذي (ج٣/٢٩٦ رقم ٩٦٣) ط إحياء التراث العربي، وأخرجه الحاكم (ج١/٦٦٠ رقم ١٧٨٣) ط الكتب العلمية، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى (ج٥/٢٠٢ رقم ٩٧٦٨) ط دار الباز.

سبب التسمية

سميت بئر زمزم بهذا الاسم لكثرة مائها، وقيل: لاجتماعها؛ لأنه لما فاض منها الماء على وجه الأرض قالت هاجر للماء: (زم زم -أي: اجتمع- يا مبارك)، فاجتمع، فسُمِّيت زمزمَ، وقيل: لأن هاجر زَمَّت بالتراب لئلا يأخذ الماءُ يمينا وشمالا، فقد ضمت هاجر ماءها حين انفجرت وخرج منها الماء وساح يمينا وشمالا.

ولزمزم أسماء كثيرة تدل على فضلها، منها: زُمام، وركضة جبرائيل، وهزمة جبرائيل، وهزمة الملك، والهزمة، والركضة، والشَّباعة، وبرّة، ومضنونة، وتُكتَم، وشفاء سُقم، وطعام طُعم، وشراب الأبرار، وطعام الأبرار، وطيّبة.

قصة بئر زمزم

كان ظهور زمزم في سنة ٢٥٧٢ قبل ميلاد الرسول محمد ﷺ تقريبًا، وهو ما يجعل بينها وبين ظهور زمزم بالتقويم الهجري حوالي أربعة آلاف سنة.

قدم إبراهيم عليه السلام إلى مكة هو وأم إسماعيل، وكان إسماعيل طفلاً رضيعًا، وترك أم إسماعيل وابنها في مكان زمزم، وكانت معها وعاء ماء؛ فأخذت تشرب منه وتدر على ولدها حتى فني ماء الوعاء؛ فانقطع درها؛ فجاع ابنها واشتد جوعه حتى نظرت إليه يتشحط قال: فحسبت أم إسماعيل أنه يموت؛ فعمدت إلى الصفا حين رأته مشرقًا تستوضح ما عليه، ثم ذهبت من الصفا إلى المروة حتى كان مشيها بينهما سبع مرات، ثم رجعت إلى ابنها فسمعت صوتًا؛ فقالت: أَسْمَعُ صوتَك فأغثني إن كان عندك خير: قال: فضرب جبريل الأرض؛ فظهر الماء، فحاضته أم إسماعيل برَمل ترده خشية أن يفوتها، قبل أن تأتي بالوعاء؛ فشربت ودرت على ابنها. وقد روى البخاري رضي الله عنه هذه الواقعة مطولة جدًّا في صحيحه[1].

(1) (البخاري ج١٢٣١/٣ رقم ٣١٨٥) ط ابن كثير- اليمامة.

كانت زمزم هي مقدمة العمران بمكة؛ فقد ذكر الأزرقي في (أخبار مكة)، والطبري في (تاريخ الرسل والملوك): أن رَكبًا مِن (جُرهُم) مروا من بلاد الشام؛ فرأى الركبُ الطيرَ على الماء؛ فقال بعضهم: ما كان بهذا الوادي من ماء ولا أنيس؛ فأرسلوا رجلين لهما حتى أتيا أم إسماعيل فكلماها ثم رجعا إلى ركبهما فأخبراهم بمكانها؛ فرجع الركب كله ونزلوا على الماء بعد استئذان أم إسماعيل. وفي صحيح البخاري صريح موافقتها على إقامتهم دون أن يكون لهم حق في الماء -أي يكون منحة منها- فوافقوا.

وأخذ العمران يزداد بمكة بعد بناء سيدنا إبراهيم وولده إسماعيل للبيت الحرام، واستمرت جرهم تلي أمر البيت الحرام وزمزم فترة من الزمن إلى أن قدمت قبيلة "يمنية" هاجرت من الجنوب بعد تهدم سد مأرب وهي قبيلة خُزاعة. وتقاتلت خزاعة مع جرهم، وانتصرت خزاعة، ووليت أمرَ البيت، وخرجت جرهم عن وادي مكة ومنها خرج أبناء إسماعيل، وتفرقوا في تِهامة، ثم ولي أمرَها بعد ذلك قُصَيُّ بنُ كلابٍ في القرن الخامس الميلادي بعد أن أجلى خزاعةَ من مكة، وفرض سلطانه على كِنانة، وأنزل قريشًا مكة وقسمها بين بطونها، وكانت زمزم في تلك الأثناء قد أُهمِلَت إلى أن دَرَسَت وخَفَت معالُمها، وظلت على ذلك حينًا حتى حفرها عبد المطلب بن هاشم جد النبي ﷺ.

وكان حفر عبد المطلب لزمزم عقب حادثة الفيل بعد أن رأى في منامه هاتفًا: (احفر زمزم)، ثم عاوده الهاتف فقال: (احفر زمزم بين الفَرث والدَّم، عند نَقرة الغُراب الأعصَم، في قرية النمل مستقبلة الأنصاب الحُمر)، فلما استيقظ عبد المطلب وذهب إلى المسجد الحرام، جلس فيه؛ فرأى ما سُمِّي له، حيث نحرت بقرة بالحزورة (وهو اسم السوق في الجاهلية) فانفلّت من جازرها حتى غالبها الموت في المسجد في موضع زمزم، فجُزرت تلك البقرة في مكانها حتى احتمل لحمها؛ فأقبل غراب فهوى حتى وقع في الفرث، واجتمع حول ما تبقى النملُ. فقام عبد المطلب فحفر هناك، فجاءته قريش فقالت له: ما هذا الصنيع، لِمَ تحفر في مسجدنا؟ فقال عبد المطلب: إني حافر هذه البئر،

ومجاهد مَن صدني عنها؛ فطفق هو وابنه الحارث وليس له ولد يومئذ غيره، فسفه عليهما يومئذ أناسٌ من قريش؛ فنازعوهما وقاتلوهما، وتناهى عنه أناس آخرون لما يعلمون من عتاقة نسبه حتى اشتد عليه الأذى؛ فنذر إن رُزق بعشرة من الولد أن ينحر أحدهم، ثم استمر الحفر حتى أدرك سيوفًا ذهبية في زمزم؛ فلما رأت قريش السيوف قالت له: يا عبد المطلب، أجزنا ما وجدتَ. فقال: هذه السيوف لبيت الله الحرام؛ فحفر حتى انبط الماء في القرار.

ثم بنى عليها حوضا، فطفق هو وابنه يملآن الحوض فيشرب منه الحاج، فيكسره أناس من قريش بالليل فيصلحه عبد المطلب حين يصبح، فلما أكثروا فساده دعا عبد المطلب ربه فجاءه هاتف في المنام فقال له: (قل: اللهم إني لا أُحلها لمغتسل، ولكن هي للشارب حِلٌّ)؛ فلما أصبح عبد المطلب نادى بالذي رأى في المسجد، ثم انصرف فلم يكن يفسد حوضه أحد من قريش إلا رُمي في جسده بداء، حتى تركوا إفساد حوضها.

ثم تزوج عبد المطلب حتى وُلِدَ له عشرة ذكور فهمَّ بنحر أحدهم، وأصابت القرعة عبد الله والد النبي ﷺ فكرروا القرعة عشر مرات إلى أن افتدى عبدَ الله بمائة ناقة.

كيف كانت زمزم

ظلت زمزم فترة طويلة عبارة عن حوضين الأول بينها وبين الركن يُشرَب منه الماء، والثاني من الخلف للوضوء، له سَرَب يذهب فيه الماء، ولم يكن عليها شباك حينئذ. وكانت مجرد بئر محاطة بسور من الحجارة خفيف البناء، وظل الحال كذلك حتى عصر أبي جعفر المنصور الخليفة العباسي الذي يعد أول من شيد قبة فوق زمزم، وكان ذلك سنة مائة وخمس وأربعين.

وكان أول من عمل الرخام على زمزم وعلى الشباك وفرش أرضها بالرخام أبو جعفر في خلافته، ثم عملها المهدي في خلافته، وقد سُقِفَت حجرة زمزم بالساج على

يد عمر بن فرج، وكُسيت القبة الصغيرة بالفسيفساء، كما جددت عمارة زمزم، وأُقيم فوق حجرة الشراب قبة كبيرة من الساج بدلاً من القبة الصغيرة التي تعلو البئر، وكان ذلك في عهد الخليفة المهدي سنة ١٦٠هـ، كما جددت بئر زمزم وكسيت بالرخام، وجددت قبتها في عهد الخليفة العباسي المعتصم سنة مائتين وعشرين من الهجرة.

أهم الإصلاحات

جرى على قبة زمزم بعد ذلك العديد من الإصلاحات والترميمات، من أهمها:

(١) عمرت زمزم في عصر المماليك في عهد السلطان الناصر فرج بن برقوق عقب حريق أصاب المسجد الحرام في ليلة الثامن والعشرين من شوال سنة اثنتين وثمانمائة.

(٢) عمرت قبة زمزم سنة ٨١٥هـ على يد قاضي مكة جمال الدين محمد بن أبي ظهيرة.

(٣) في عهد السلطان قايتباي تم إصلاح بئر زمزم وتجديد رخامها سنة ٨٨٤ هـ.

(٤) أما في العصر العثماني فقد كان الاهتمام كبيرًا بالمسجد الحرام، وقد جرى العديد من الإصلاحات على مبنى زمزم، وخصوصًا في عهد السلطان سليم الثاني سنة ٩٨٢ هـ.

(٥) تم تجديد قبة زمزم في عهد السلطان أحمد سنة ١٢٠١ هـ.

(٦) تم تجديد مبنى زمزم في عهد السلطان أحمد الرابع سنة ١٠٨٣هـ، وفي عهد السلطان عبد الحميد الأول سنة ١١٨٧هـ-١٢٠٣هـ.

(٧) جرت أكبر عمارة على قبة زمزم قبل أيامنا هذه في عهد السلطان عبد الحميد الثاني ١٣٠٠هـ، وقام بها المهندس السيد محمد صادق.

(٨) في العصر الحديث أُعيدَ بناء زمزم من جديد بعيدًا عن مكانها الأصلي؛ نظرًا لأن المبنى القديم بالقرب من الكعبة يعوق الطواف؛ لكثرة أعداد الحجيج، وقد تم توصيل مياه زمزم إلى مكانها الجديد من الجزء الشرقي من الحرم عن طريق مضخات رفع ومواسير، كما تم تخصيص مكان للرجال وآخر للنساء، وأخيرًا ورغم مرور آلاف السنين على بئر زمزم فقد بقي ماؤها للنقاء والطهارة والشفاء حتى بات ماؤها يسقي ساكني مكة وما حولها والمدينة، كما يسقي الحجاج والعمار، ويحمل منها الناس إلى بلادهم، وهي آية لا تزال حاضرة بين أيدينا تحتاج إلى تفكير وادّكار.

الصفا والمروة

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللَّهِ ﴾ (البقرة:١٥٨). وجبل الصفا واقع أسفل جبل أبي قبيس مما يقابل ركن الحجر الأسود من الكعبة ومنه يبدأ السعي، أما المروة فهي واقعة جهة المُدَّعى وإليها ينتهي السعي وجبلها يقع في أصل جبل قُعَيقعان.

والسعي بين الصفا والمروة من الأمور التعبدية التي أوجبها الله سبحانه وتعالى علينا في محله المخصوص، ولا يجوز العدول عنه.

وأصل السعي عمل تعبدي لا نقاشْ في علته، ولكنّ بعضًا مِن حكمته قد تظهر للمتدبر لأصول التشريع، وربما كان جزء من الحكمة أن الله ﷻ أراد أن يرمز إلى علو إيمان أم إسماعيل عليه السلام لنتذكر دائما قصتها فنسمو بإيماننا إلى درجة سموها بإيمانها حيث عبارتها المشهورة: (آالله أمرك بهذا؟) فأجابها إبراهيم عليه الصلاة والسلام بـــ(نعم) فقالت: (إذًا لن يُضَيِّعَنا). أجابت بذلك رغم أن القرائن تدل على أنها منطقة مضيعة، ولكنها أدركت قيومية الله في أوامره فأجابت بتلك العبارة الخالدة: (إذًا لن يضيعنا).

لقد كان المسعى على عهد رسول الله ﷺ عريضا، ثم بنيت بعض الدور بعد ذلك في بعض عرض المسعى القديم، فهدمها المهدي وأدخل بعضها في المسجد الحرام وترك بعضها للسعي فيه.

لقد كان في بداية الأمر على الصفا والمروة دَرَجٌ، وكان قد بناها عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن العباس عامل أبي جعفر المنصور على مكة المكرمة، وقد كانت اثنتي عشرة درجة على الصفا وخمس عشرة درجة على المروة.

وكان في المروة عَلَم يحدد المروة ومكتوب في أعلاه ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللَّهِ ﴾(البقرة:١٥٨).

وكذلك كان على الصفا علم أيضا، وكان يُصعَد إليهما بدرج، وتاريخها يعود إلى ما قبل القرن الثالث الهجري. وكانت تنتهي درج الصعود إلى علمَي الصفا والمروة بمصطبة واسعة للوقوف للدعاء وللدوران للرجوع ولاستراحة الضعفاء.

وفي إصلاح منطقة المسعى في عهد الملك سعود هدم علم الصفا في ٢٤-١٠-١٣٧٧هـ وبنيت درجات من الأسمنت المسلح للصعود ودرجات للهبوط.

وطول المسافة بين الصفا والمروة ٣٧٥ مترا، وذلك حسب قياس الخطاط محمد طاهر كردي بنفسه بعد التوسعة السعودية للمسجد الحرام التي كان المسعى ضمنها.

وكانت أرضية المسعى غير مستوية، وكان مكان الرمل بين العلمين منحدرا يُجبِر الساعي على الإسراع، وحينما سويت أرضية المسعى أصبح من الضروري الاهتداء بالعلمين في مكان الرمل لأنه عمل تعبدي.

والميلان الأخضران اللذان بالمسعى وضعا للعلامة على طلب الهرولة بينهما في السعي ذهابا وإيابا، وحينما أريد هدمهما بتوسعة المسجد الحرام والمسعى هدم أحدهما عام ١٣٧٥هـ وظل الثاني ليكون هاديا للساعين، وحين أعيد وضعه في مكانه في عام ١٣٧٦هـ هدم الثاني ثم أعيد إلى مكانه، فبهذا أعيد وضع العلمين إلى مسامتة المحل الأصلي الذي كانا فيه.

ومن استقراء أقوال المؤرخين يمكن استنباط أن العلمين الأخضرين ليسا مستحدثين ولكنهما وضعا لغرضهما منذ القرن الأول الهجري هداية للناس لمواطن الرمل في السعي.

ولم يكن المسعى مظللا حتى عام ١٣٤١هـ حيث أمر الشريف حسين بن علي بن محمد بن عون بتظليل معظمه، ثم في عام ١٣٦٦هـ أمر الملك عبد العزيز بتجديد سقيفة المسعى بصفة فنية محكمة بعرض ٢٠,٥ مترا.

وفُرِش المسعى لأول مرة في تاريخه بالحجارة في عهد الملك عبد العزيز بناء على

أمره عام ١٣٤٥هـ، وذلك منعا للضرر من الغبار الذي كان يؤذي الساعين وأصحاب الدكاكين حول المسعى.

ولقد تم تعمير المسعى من أرضه إلى سقفه بالأسمنت المسلح كاملا وبصورة جمالية في عهد الملك سعود.

أما الوضع الحالي للمسعى بطابقيه وسعته العظيمة ووسائل التكييف والراحة للحجاج والساعين فهو امتداد للمفخرة الكبرى لتوسعة المسجد الحرام التي وفق الله خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز لإنجازها، ومعلوم أن المسعى يشهد الآن في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز توسعة مستعرضة جديدة لأول مرة بعد أخذ رأي العلماء في داخل المملكة وخارجها، وذلك للتيسير على المعتمرين والحجيج.

منى

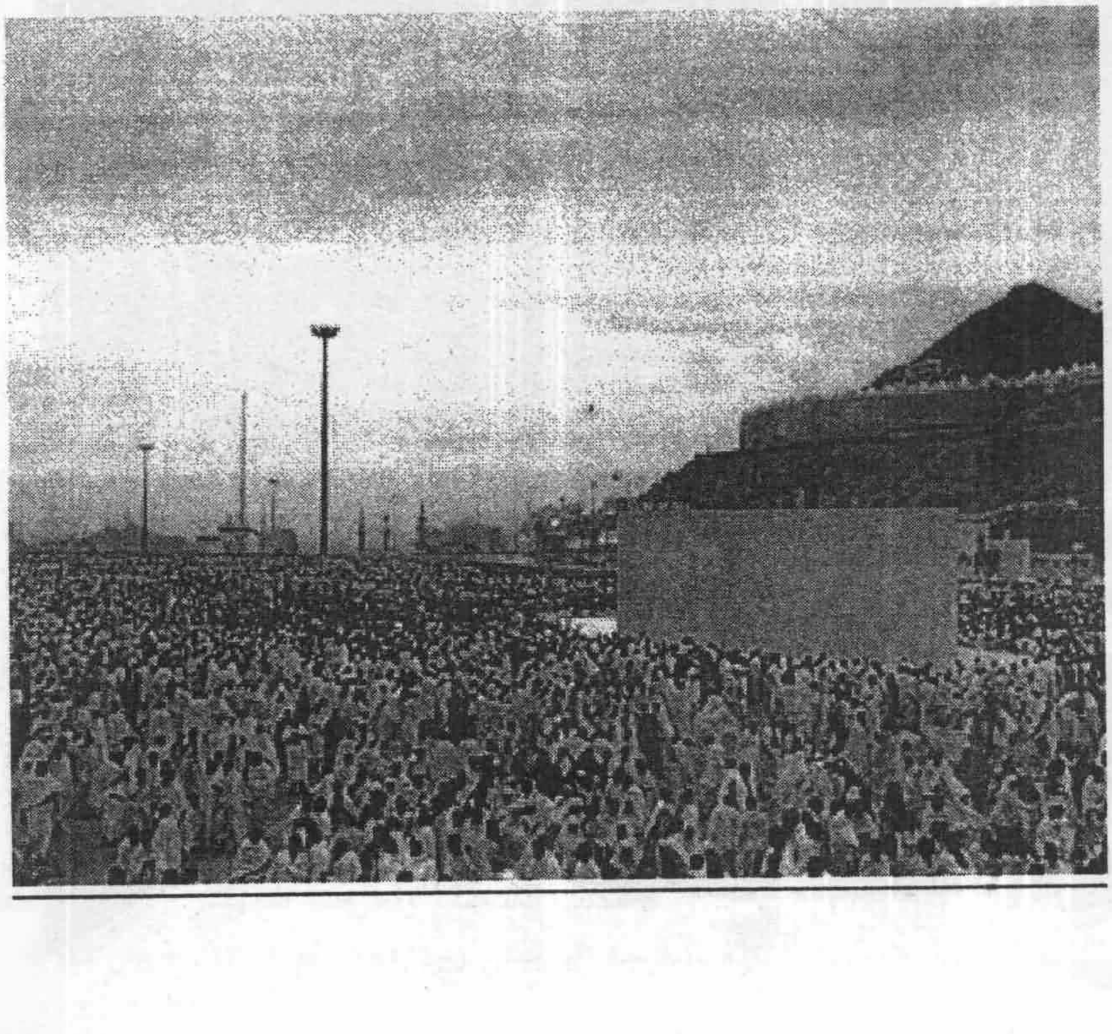
سميت منى لما يمنى فيها من الدماء وقيل لاجتماع الناس بها .تقع منى بين مكة ومزدلفة على بعد ٧كم شمال شرق المسجد الحرام وعن طريق النفق ٤كم.وبها يبيت الحجاج ليالي ٩-١١-١٢ من ذي الحجة لمن يتعجل وليلة ١٣ لمن يتأخر وهو مشعر داخل حدود الحرم وبها رمى ابراهيم عليه السلام الجمار وذبح كبشا بدل اسماعيل عليه السلام وبها مسجد الخيف والجمرات الثلاث وبها تمت بيعة الانصار المعروفة ببيعة العقبة الاولى و الثانية وبها نزلت سورة النصر اثناء حجة الوداع .

وادي محسر

قال ابن القيم سمي ذلك الوادي محسر لان الفيل حسر فيه اي اعيي وانقطع عن الذهاب وقال ايضا: وهو المكان الذي اهلك الله فيه الفيل واصحابه، ويسن للحاج الاسراع فيه اثناء عودته من مزدلفة الى منى وقد اشير الى حدوده بين منى والمزدلفة باللوحات الارشادية المكتوب عليها وادي محسر وهو من الحرم وليس بمشعر .

الجمرات

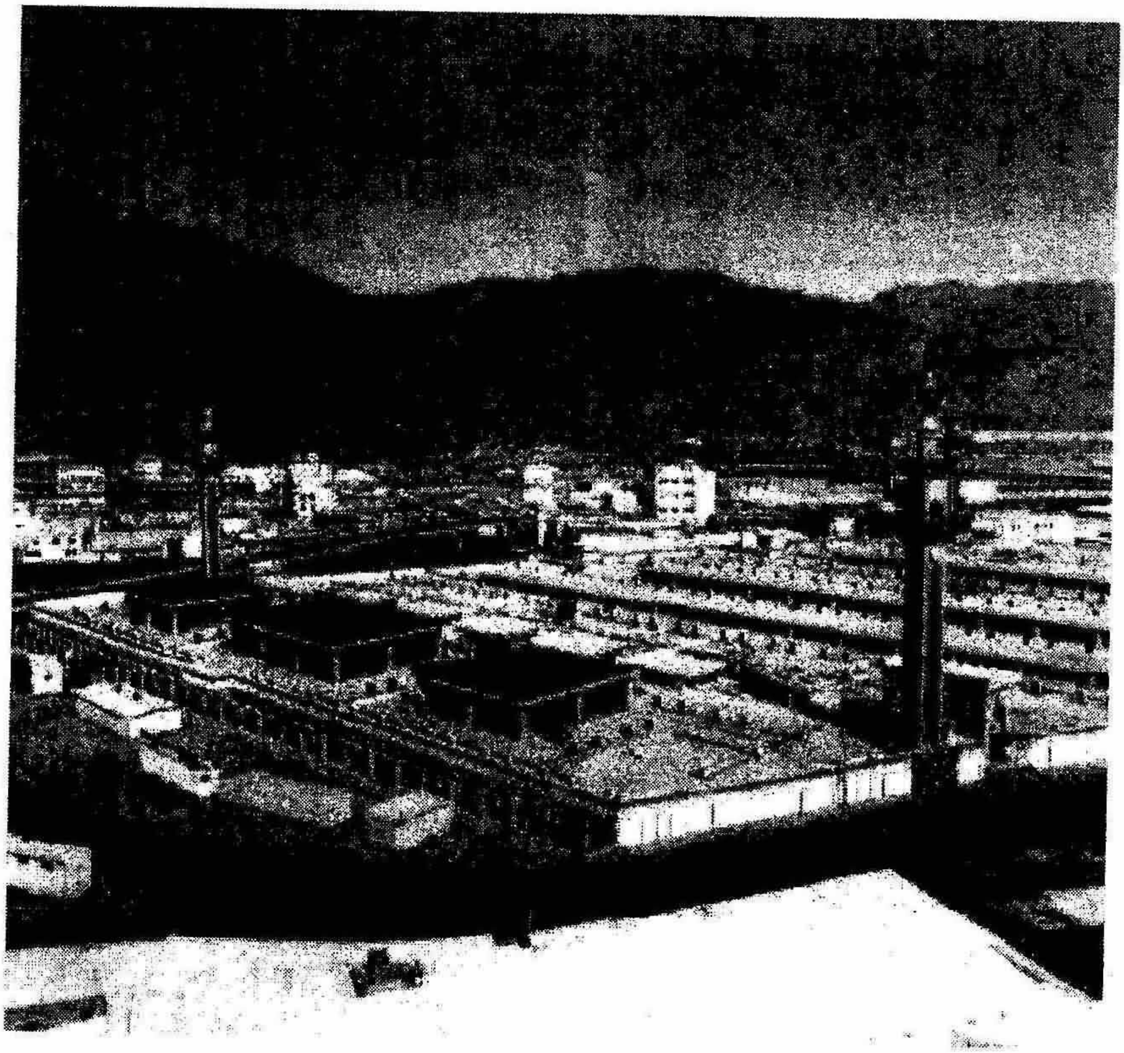
جمع جمرة وهي الحصاة الصغيرة وجمرات المناسك الثلاث بمنى هي:الجمرة الصغرى والوسطى والعقبة، وهي عبارة عن اعمدة حجرية وسط احواض ثلاث علامة للمكان الذي ظهر به الشيطان ورماه سيدنا ابراهيم عليه السلام. اما الاحواض التى حول الاعمدة فانها احدثت بعد سنة ١٢٩٢هـ لتخفيف الزحام ولجمع الحصى في مكان واحد ومما يلاحظ ان حوض جمرة العقبة بني من جهه واحدة وذلك لان هذه الجمرة كانت ملاصقة لجبيل ولما ازيل الجبيل لتوسعة الشارع بقي الحوض نصف دائرة ونظرا لتزايد الحجاج بني دور علوي للجمرات بعد سنة ١٣٨٣هـ وقد تمت توسعته اكثر من مرة والمسافة بين جمرة العقبة والوسطى نحو ٢٤٧متر وبين الوسطى والصغرى نحو ٢٠٠متر .



مسجد الخيف

مسجد الخَيف:الخيف بفتح الخاء وسكون الياء ..ما انحدر عن غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء ..ومنه سمي مسجد الخيف ، ويقع في سفح جبل منى الجنوبي قريبا من الجمرة الصغرى وقد صلى فيه النبي ﷺ والانبياء من قبله. فعن يزيد بن الاسود قال: شهدت مع النبي ﷺ حجته فصليت معه صلاة الصبح في مسجد الخيف .

وقد كان هذا المسجد موضع اهتمام وعناية خلفاء المسلمين على مر التاريخ وتمت توسعته وعمارته في سنة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م وبه أربع منائر وهو مكيف ب ٤١٠ وحدة تكييف كما يساعد على تلطيف الهواء في المسجد ١١٠٠ مروحة ويليه مجمع دورات المياه ويوجد به اكثر من الف دورة مياه وثلاثة آلاف صنبور للوضوء .



جبل عرفات

سميت بذلك لتعارف آدم وحواء فيها. أو لأن جبريل عليه السلام عَرَّف فيها إبراهيمَ عليه السلام المناسكَ ثم سأله: هل عرفت؟ قال: نعم. قال ابن عباس: فمن ثَمّ سميت عرفة. أو لأن الناس يعترفون فيها بذنوبهم. وقيل غير ذلك. وهي مشعر خارج حدود الحرم، وتقع إلى الجنوب الشرقي من المسجد الحرام على بعد ٢٢ كم عبر شارع المسجد الحرام، وإجمالي مساحتها ١٠،٤ كم مربع، ويجتمع فيها الحجاج في اليوم التاسع من شهر ذي الحجة حيث يُصَلُّون الظهر والعصر قصرا وجمعا جمع تقديم بأذان وإقامتين ويدعون بما تيسر تأسيا برسول الله ﷺ القائل: "الحَجُّ عَرَفَةُ"(١).

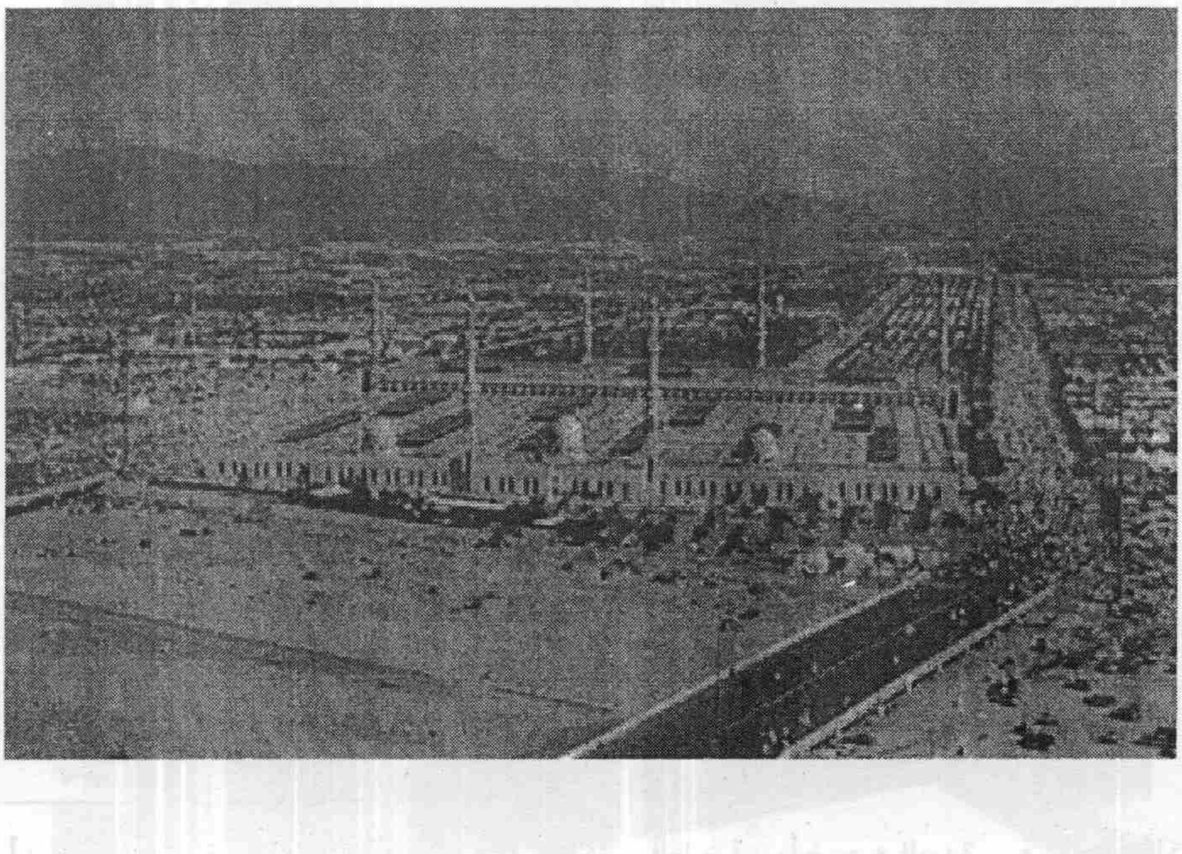
---

(1) أخرجه الحاكم (ج٢/٣٠٥ رقم ٣١٠٠) ط الكتب العلمية، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى (ج٥/١٧٣ رقم ٩٥٩٣) ط دار الباز، وأخرجه الطيالسي (ج١/١٨٥ رقم ١٣٠٩) ط دار المعرفة.

مسجد نمرة

بفتح النون وكسر الميم وسكونها. ونمرة جُبَيل غرب المسجد وبه يسمى مسجد نمرة. وقد نزل النبي ﷺ يوم عرفة في خيمة بنمرة وبعد زوال الشمس انتقل إلى بطن وادي عُرَنة وخطب وصلى ثم انتقل إلى موقفه عند الصخرات، وبعد غروب الشمس تحرك منها إلى المزدلفة.

وقد بُني مسجد في موضع خطبته وصلاته ﷺ ببطن وادي عرنة في أول عهد الخلافة العباسية في منتصف القرن الثاني الهجري. وبطن الوادي ليس من عرفة. وبعد توسعات المسجد التي تمت على مر التاريخ أصبحت مقدمة المسجد خارج عرفات ومؤخرة المسجد في عرفات، وهناك لوحات إرشادية.

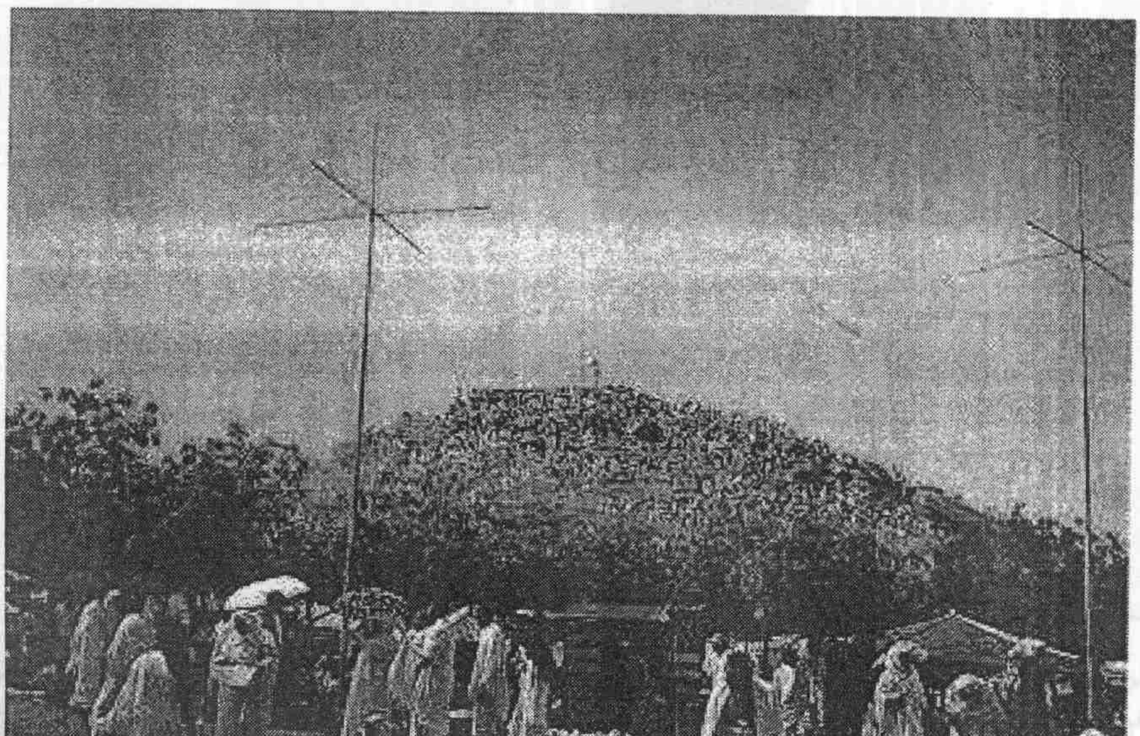


جبل الرحمة

جبل صغير يتكون من حجارة صلدة كبيرة يقع في شرق عرفات بين الطريق رقم ٧ و ٨، وسطح الجبل مستو واسع يدور عليه حائط ساند ارتفاعه نحو ٥٧ سم، وفي منتصف الساحة دكة مرتفعة بحوالـــي ٤٠ سم، وبأسفل هذا الجبل مسجد الصخرات ومجرى عين زبيدة، ويحيطه في السهل رشاشات الماء بارتفاع ٤ م لرش الماء وقت الوقوف لتلطيف الجو وتخفيف حرارة الشمس.

معلومات إضافية عن الجبل

محيطه	عرضه شرقا	عرضه غربا	طوله شمالا	طوله جنوبا	ارتفاعه من سطح البحر	ارتفاعه من سفحه
٤٠٦م	170م	100م	200م	170م	372م	65م



المزدلفة

تقع مزدلفة بين منى وعرفة، وسميت بذلك لنـزول الناس بها في زلف الليل، أو لأن الناس يدفعون منها زلفة، أي جميعا، وتسمى جَمعًا لاجتماع آدم مع حواء بها بعد نزولهما من الجنة، أو لاجتماع الحجاج بها، وقيل غير ذلك.

وحدها مِن بعد وادي مُحَسِّر إلى المَأزِمَين، وهما جبلان متقابلان بينهما طريق بطول ٤ كم وبضع مائة متر، ومساحتها نحو ١٢,٢٥ كم مربع. وورد أن رسول الله ﷺ جمع في حجة الوداع المغرب والعشاء بالمزدلفة وهو نازل عند قبلة المسجد وقال: "وَقَفتُ ههنا، وجَمعٌ كلُّها مَوقِفٌ"[١]. فهي مبيت الحجاج حين يهبطون من عرفة بعد غروب الشمس من يوم التاسع من ذي الحجة، ويصلون بها المغرب والعشاء قصرا وجمعا جمعَ تأخير بأذان واحد وإقامتين، ويدعون الله ﷻ ويتحركون منها إلى منى بعد صلاة الفجر وقبل الشروق، ويجوز أخذ حصى الجمار منها، وإلا فمن الطريق، أو من منى.



(١) أخرجه مسلم (ج٢/٨٩٣ رقم ١٢١٨) ط إحياء التراث العربي، وأخرجه أبو داود (ج٢/١٨٧ رقم ١٩٠٧) ط دار الفكر.

غار ثور

هو الغار الذي أوى إليه النبي ﷺ وأبو بكر ﵁ وهما في طريقهما إلى المدينة في رحلة الهجرة النبوية، فدخلا فيه، حتى إذا هدأ طلب قريش لهما تابعا طريقهما.

وفي أثناء وجودهما في الغار جاءت قريش تبحث عنهما، حتى وقفت على فم الغار، إلا أن الله ردها بفضله وقدرته، وقال أبو بكر ﵁: لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا. فقال له النبي ﷺ: "يا أبا بكر، ما ظَنُّكَ باثنينِ اللهُ ثالثُهما"(١) رواه البخاري ومسلم. وقد ذكر الله تعالى هذه الحادثة في كتابه؛ فقال سبحانه: ﴿ **إلاَّ تَنصُرُوه فقد نَصَرَه اللهُ إذ أخرَجَه الذين كَفَرُوا ثانيَ اثنَين إذ هما في الغارِ إذ يَقُولُ لصاحبِه لا تَحزَنْ إنَّ اللهَ معنا فأنزَلَ اللهُ سَكينَتَه عليه وأيَّدَه بجُنُود لم تَرَوها وجَعَلَ كَلمةَ الذين كَفَرُوا السُّفلى وكَلمةُ اللهِ هي العُليا واللهُ عَزيزٌ حَكيمٌ** ﴾ (التوبة: ٤٠).

ويقع غار ثور على بعد نحو أربعة كيلو مترات من مكة المكرمة في الجهة الجنوبية من المسجد الحرام، وارتفاعه نحو ٧٤٨ م من سطح البحر، وهو عبارة عن صخرة مجوفة ارتفاعها ١,٢٥ م، وله فتحتان: فتحة في جهة الغرب، وهي التي دخل منها النبي ﷺ وأبو بكر ﵁، وفتحة من جهة الشرق.

---

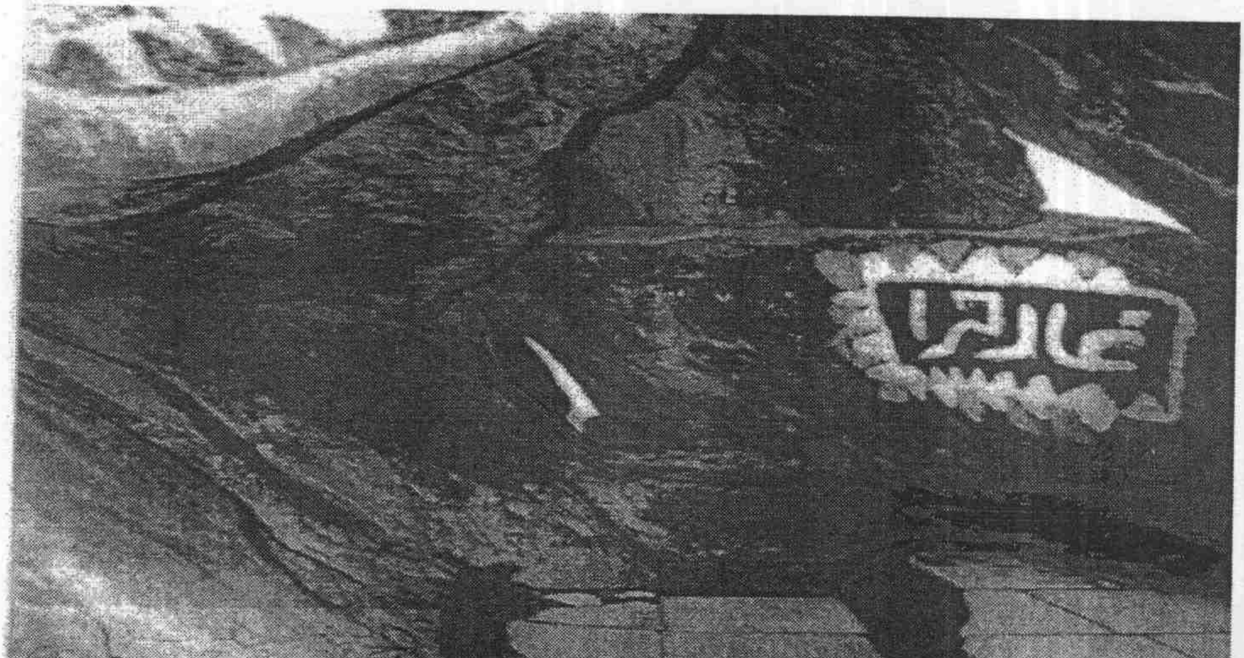
(١) أخرجه البخاري (ج٣/١٣٣٧ رقم ٣٤٥٣) ط ابن كثير- اليمامة، وأخرجه مسلم (ج٤/١٨٥٤ رقم ٢٣٨١) ط إحياء التراث العربي.


غار ثور

غار حراء

حظي غار حراء بشرف عظيم؛ إذ هو المكان الذي أكرم الله نبيه محمدًا ﷺ فيه بمقام النبوة. فالتقى الملك جبريل رسول رب العالمين بمحمد ﷺ فألقى عليه أوائل سورة العلق ﴿ **اقرَأ باسمِ رَبِّكَ الذي خَلَقَ...** ﴾ (العلق:١)، وكان الغار قبل ذلك محلا لعبادته وتقربه ﷺ إلى ربه جلا وعلا، وثبت في الصحيحين عن عائشة أم المؤمنين: (وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه وهو التعبد)[1].

ويقع غار حراء شمال شرقي المسجد الحرام على جبل حراء بأعلى مكة على يسار الذاهب منها إلى منى، وبينه وبين مكة نحو ٤,٨ كيلو مترات، ويرتفع قرابة ٦٣٤ مترا، ويسميه أهل مكة جبل النور، وفي أعلاه يقع غار حراء، وهو عبارة عن فجوة بابها نحو الشمال تسع نحو تسعة أشخاص جلوسا، وارتفاعه قامة متوسطة.



(1) أخرجه البخاري (ج١/٥ رقم ٣) ط ابن كثير- اليمامة، وأخرجه مسلم (ج١/١٤٢ رقم ١٦٠) ط إحياء التراث العربي.

المدينة المنورة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى إخوانه المرسلين وآله وصحبه والتابعين بإحسان إلى يوم الدين ،،،

ثم أما بعد،،،

فإن من حكمة الله تعالى البالغة أن يصطفي من خلقه ما يشاء، ويفضل بعضهم على بعض، ويؤتي ما يشاء لمن يشاء، وله في ذلك الحجة الدامغة والمشيئة المطلقة.. ﴿وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ﴾(الرعد:٤١) .

فاصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس، وجعل من الملائكة رؤساء ومقربين، ومن الناس اصطفى النبيين ومن النبيين اصطفى أولي العزم الصابرين .. واصطفى من الناس أقواماً ومن الأقوام أشخاصاً كما قال نبيه الكريم عليه أفضل الصلوات والتسليم.

(إن الله اصطفى كنانة من بني إسماعيل، واصطفى من كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم فـ ...) الحديث

كذلك أصطفى الله تعالى صديقين وأولياء صالحين، فاصطفى مريم على نساء العالمين قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَمَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاء الْعَالَمِينَ ﴾(آل عمران:٤٢) ، وقال تعالى: ﴿ مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾(المائدة:٧٥) ، واصطفى أبا بكر الصديق صاحباً لحبيبه ﷺ قال تعالى ﴿ إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ

هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة: ٤٠).

واصطفى أزماناً وأحوالاً، فاصطفى لنا رمضان على الشهور، والجمعة على الأيام، واصطفى الأسحار للاستغفار، واختص الفجر والعصر يتعاقبهما ملائكة فينا.. وكذلك اصطفى أمكنة على أخرى، فجعل أرض فلسطين والشام أرضاً مقدسة وبارك فيها للعالمين، وقدّس وادي طوى بسيناء.. كما حرم أرضاً أخرى وجعلها البلد الأمين، والبلد الحرام، وجعلها حصناً لبيته الحرام المعمور. أول بيت وضع للناس في مكة المكرمة.

ومن أعظم الأماكن التي اصطفاها ربنا ﷻ وفضلها على غيرها كثيراً "المدينة المنورة" مدينة رسول الله ﷺ، أن جعلها مهجر نبيه ﷺ ومأوى السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، ومرعى الدعوة والرسالة، ومنطلق الدولة الإسلامية الفاضلة، وشهدت لتأييد الإلهي للجماعة المسلمة الأولى، وذكرها في كتابه باسمها قال تعالى: قال تعالى: ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى النِّفَاقِ لاَ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾ التوبة:١٠١) قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ اللّهِ وَلاَ يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَطَؤُونَ مَوْطِئاً يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾(التوبة:١٢٠) قال تعالى: ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾(المنافقون:٨)، وباسمها القديم قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لاَ مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَاراً ﴾ الأحزاب:١٣)

بصفتها قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىَ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾(الحشر:٩) .

واختارها ﷻ مقاماً لنبيه ﷺ الذي أبى أن يرجع عنها بعد فتح مكة وكانت محل إقامته إلى أن توفاه ربه سبحانه ، فكانت مرقده ﷺ ، وشرفت أرضها باحتضان جسده الشريف ومن ثم صارت موطن المعالم النبوية والمكارم المحمدية.

ففي المدينة المنورة أول مسجد بني في الإسلام (مسجد قباء) ، وفيها مسجد نبي الله ﷺ ، والقبر النبوي الشريف، والبقيع المبارك (بقيع الغَرْقَد) حيث دفن الكثير من آل بيت النبوة وصحابة النبي ﷺ ، ومسجد القبلتين، وعلى مقربة منها جبل أُحد، ومقابر شهداء أُحد من الصحابة.

فهذه المدينة - بهذا - هي محل نظر ربنا ﷻ، ومحط رحماته وبركاته، إليها تهفو نفوس المؤمنين، وقلوب المحبين، لا يزال المسلمون يتوافدون إليها في موسم الحج وأيام العمرة مقبلين على زيارة نبيهم الكريم ﷺ وزيارة قبره ومسجده والصلاة بين بيته ومنبره ﷺ والوقوف على آثار السلف والرعيل الأول وتذكر سيرهم وأيام الإسلام العظمى، مستلهمين معنوياتهم التي كانت عامرة بالإيمان والجهاد والهمة .

وبعد:

فإن في مدينة رسول الله ﷺ أسراراً وأنواراً ، وذكريات وعبراً، حفظها الله تعالى من كل شر وجميع المسلمين على منهاج صاحبها وما أنزل فيها من وحي وذكر، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

والحمد لله رب العالمين

موقع المدينة

مدينة رسول الله ﷺ هي المدينة المنورة التي نورها المصطفى ﷺ بهجرته الشريفة إليها، وهي طَيبة، وطابة، ويثرب، والدار، فهي تلك البقعة المباركة التي تقع في الشمال الغربي للمملكة العربية السعودية الآن، شرقِيّ البحر الأحمر، الذي يبعد عنها حوالي مائتين وخمسين كيلو مترًا، وتمتد بين خطَي طول (٣٠- ٣٦ و ١٥- ٤٢ شرقًا)، ودائرتي عرض (٣٠-٢٢ و ٣٠- ٢٧- شمالاً)، وتبلغ مساحتها نحو ١٥٣,٨ ألف كم٢ وهو ما يعادل ٦,٧٢% من إجمالي مساحة المملكة، وهي محاطة من الغرب بجبل الحُجّاج وجبل سَلع من الشمال الغربي، وجبل العَير من الجنوب، وجبل أُحُد من الشمال، وتقوم المدينة المنورة على هضبة جبلية مسطحة عند تقاطع ثلاثة أودية هي: وادي العَقل، ووادي العَقيق، ووادي الحَمض؛ مما نجم عنه وجـــود مساحات كبيرة خضراء وسط منطقة جبلية جافة في مظهر جغرافي بديع.

المدينة المنورة قبل الإسلام

وبإلقاء نظرة تاريخية سريعة عن تاريخ المدينة المنورة قبل الإسلام، تذكر المصادر التاريخية أن (يثرب) اسم لرجل من أحفاد نوح عليه السلام، وأن هذا الرجل أسس هذه البلدة فسُمِيَت باسمه.

وقد اختلفت المصادر التاريخية في تحديد عدد الأجيال التي تفصل (يثرب) عن جده (نوح) عليه السلام، وفي بعض أسماء سلسلة الآباء والأبناء، فبعضها يجعل (يثرب) في الجيل الثامن بعد نوح، فهو (يثرب بن قاينة بن مهلائيل بن إرم بن عبِيل بن عوض بن إرم بن سام بن نوح). وبعضها الآخر يجعله في الجيل الخامس (يثرب بن عبيل بن عوض بن إرم بن سام بن نوح)، ولهذا الخلاف أثر تأريخي في تقرير أية قبيلة سكنت يثربَ أولَ الأمر، هل هي قبيلة عُبَيل، أم قبيلة العماليق، والأرجح أن قبيلة عُبَيل هي الأسبق، ثم جاء العماليق فأخرجوهم منها وسكنوها.

وقد وجدت وثائق في الحضارات الأخرى تذكر أن وجود اسم المدينة يرجع إلى الألف الأولى قبل الميلاد، حيث اتُّخذت محطة تجارية على طريق التجارة القديم بين الشمال والجنوب، وقد أوردها بطليموس في جغرافيته باسم لاثريب (Lathrippe) وعرفت في اللغة الآرامية باسم ميدنتا (Medinta) وهي تعني المدينة، وظهر اسمها في نقش على عمود حجري بمدينة حران (إتربو) (ITRIBO).

وقد ورد اسم يثرب في الكتابات عند مملكة (مَعِين) وذكرت بين المدن التي سكنتها جاليات معينية. ومن المعروف أن المملكة المعينية قامت في جزء من اليمن في الفترة ما بين ١٣٠٠ و ٦٠٠ قبل الميلاد. وامتد نفوذها في فترة ازدهارها إلى الحجاز وفلسطين، وعندما ضعف سلطانها كونت مجموعة مستوطنات لحماية طريق التجارة إلى الشمال، وكان هذا الطريق يمر بيثرب، فتعد المدينة من أقدم المدن التي عُرِفَت في منطقة شبه الجزيرة العربية.

ثم سيطر الكَلدانيُّون على المدينة منذ سنة ٥٨٩ ق.م، حتى ٥٣٩ ق.م وبعدها سقط مُلكُ الكلدانيين على يد قُورَش الفارسي، وكان قد هاجر إليها كثيرٌ من اليهود هروبًا من بُختُنَصَّرَ البابلِيِّ الذي دَمَّرَ أُورَشَلِيمَ (القدس العربية) وظل بعض أشتات اليهود الهاربة تأتي إلى يثرب حتى ٧٠ ق.م بسبب اجتياح الإمبراطور الروماني تيتوس أورشليم وتدميرها مرة ثانية، وكانت آخر مشاهد هروبهم إلى يثرب عندما أرسل الإمبراطور الروماني هارديان جيشًا إلى فلسطين لإخراج اليهود منها ومنعهم من دخولها نهائيا، فتجمعت تلك الأشتات وعاشت جنبًا إلى جنب مع أهلها العرب الأصليين، والذين كانوا بقايا قبائل العماليق، مع قبائل توافدت من شتى بقاع الجزيرة العربية.

وقد سيطر اليهود على الأمر في يثرب حتى وصول قبيلتَي الأَوس والخَزرَج إلى يثرب، وبعد أن وصلت القبيلتان في أول الأمر طلبوا من اليهود أن يسمحوا لهم بالبقاء في يثرب، فوافق اليهود لأنهم كانوا في حاجة إلى الأيدي العاملة، وتزايد أعداد الأوس والخزرج، وأقامت معهم اليهود العهود ثم نقضتها، وقد خشي اليهود من تزايد قوة الأوس والخزرج فسعت إلى إحداث الفتنة بينهم وإشعال المعارك فيما بينهما وبدأت بالفعل تلك المعركة بداية بحرب سُمَير ووصولاً إلى حرب بُعاث قبل هجرة النبي ﷺ بخمس سنوات.

كانت تلك لمحة تأريخية عن المدينة المنورة قبل مجيء المصطفى ﷺ، وهي لمحة مهمة لنعلم ماذا أحدثت الهجرة النبوية في المدينة، وما ترتب على ذلك من آثار وأحكام شرعية.

المدينة المنورة بعد الإسلام

ماذا أحدثت الهجرة النبوية في المدينة؟

في نهاية السنة الثانية عشرة للبعثة النبوية المباركة، وفور بيعة العقبة الثانية التي دعا فيها المسلمون من أهل يثرب رسولَ الله ﷺ وبقيةَ المسلمين في مكة إلى الهجرة إليهم، وبعد أن تهيأت الظروف للهجرة وَجَّه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المسلمين إلى الهجرة للمدينة، ثم تبعهم مع صاحبه أبي بكر الصديق. وأول مكان وصل إليه النبي ﷺ هو قُباء، فأقام فيها بضعة أيام وأسس مسجدها، ثم انتقل إلى المدينة ونزل في دار أبي أيوب الأنصاري، ثم أنشأ المسجد النبوي، وبنيت له غرفة ملاصقة في الجهة الشرقية الجنوبية من المسجد، سكن فيها مع زوجته سَودة وبناته، ثم بنيت غرفة أخرى عندما تزوج عائشة رضي الله عنها. ووصل إلى المدينة كلُّ مَن استطاع الخروج مِن مكةَ مِن المسلمين، ولَم يبقَ في مكة من المسلمين غير المستضعفين والذين يكتمون إسلامهم.

وبدأت التغييرات الكبيرة في المدينة المنورة، فأُلغي اسم يثرب وصار: طَيبة، وطابة، والدار، ونشأ تجمع بشري جديد تآخى فيه المهاجرون والأنصار، وانتهت العداوة بين الأوس والخزرج، فأصبحوا إخوة في الإسلام وأسلم عدد قليل جدًّا من اليهود، وتقوقع الباقون في أحيائهم يكيدون للإسلام والمسلمين.

فأصبحت المدينة مُتَبوّأ الإيمان، وحصينة الإسلام والمسلمين، حيث نقلها المصطفى ﷺ نقلة تاريخية عالمية دينية، فأصبحت بدخوله عليه السلام حرمًا كحرم مكة، وأصبحت عاصمة الدولة الإسلامية الأولى، وتكونت دولة الخلافة والحضارة الإسلامية انطلاقًا منها، وأصبحت معظم طرق التجارة تحت سيطرتها وإدارة حكامها، وزاد المدينة تشريفًا بعد ذلك احتواؤها على المسجد النبوي ثاني الحرمين الشريفين، وما شهدته من أحداث ذات صلة وثيقة بانتصار الدعوة، وتكونت أول مدرسة ثقافية حضارية في الإسلام منطلقة من المسجد النبوي وما حوله، معتمدة على التوثيق العلمي

والحقائق والقيم والأخلاق، مما هيّا لتلك المدرسة أن تؤدي دورًا ثقافيًا عميق الأثر، وبالتالي شكلت النموذج الأمثل للعاصمة الثقافية.

لم تستمر سيادة المدينة سياسيًا واقتصاديًا وثقافيًا أكثر من ثلاثين عامًا، فقد انتقلت الخلافة بعد الصراع الذي احتدم في أواخر العهد الراشد إلى الكوفة ثم إلى دمشق مع قيام الخلافة الأموية، ولكنها عادت لمكانتها التجارية باعتبارها محطة على طريق القوافل، وظلت تحتفظ بأهميتها الدينية، حيث يتجه إليها الحُجّاج والعُمّار من جميع أنحاء العالم الإسلامي للصلاة في المسجد النبوي الشريف وزيارة قبر رسول الله ﷺ.

ولقد نالت المدينة -رغم إقصائها عن كونها عاصمة سياسية- اهتمام الحكام المسلمين في كل زمان، بداية بنهاية الخلافة الراشدة في الكوفة، ثم بالدولة الأموية في الشام، ومن بعدها العباسية في بغداد. وبدأ وضعها التجاري يقل بعد اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح، الذي جعل التجارة تمر بعيدًا عن أراضي العالم الإسلامي ثم فتح القسطنطينية (اسطنبول) بيد المسلمين العثمانيين، وانهيار طريق التجارة عبر ساحل البحر الأحمر، كل ذلك أدى إلى فقدان المدينة لمورد مالي كبير، إلا أن اهتمام العالم الإسلامي باستمرار الرحلات لزيارة مكة والمدينة للحج والعمرة، وتشجيع العثمانيين على ذلك، قد أنعش الحركة التجارية في المدينة، وعوض الخسائر التي نجمت عن تحويل طريق التجارة.

وببداية القرن العشرين اكتمل خط سكة حديد الشام – الحجاز، مارًّا بالمدينة، فربط الأماكن المقدسة بتركيا مقر الخلافة الإسلامية، ورغم قصر مدة تشغيل هذا الخط إلا أنه لفت الأنظار إلى أهمية موقع المدينة المنورة.

وظل الاهتمام بالمدينة حتى عهد المملكة العربية السعودية، واعتبر ملوك المملكة خدمة المدينة ومكة المكرمة من أعظم ألقاب التشريف -وهو كذلك- حيث استبدل الملوك لقب جلالة الملك إلى خادم الحرمين الشريفين، فكانت تلك البقعة المباركة هي موضع اهتمام كل الملوك والحكام وهي تستحق ذلك ويزيد.

وبذلك نكون قد تعرفنا على تاريخ المدينة المنورة في لمحة سريعة بداية من تأريخها

القديم قبل الميلاد، وحتى أيامنا هذه، وقد ذكرت تلك اللمحة التأريخية السريعة؛ لأن المعلومات التاريخية والجغرافية عن المدينة المنورة تساعد في فهم ما سنذكره من فضل لها، وآثار وأحكام شرعية.

أهم ما يشرف المدينة النبوية الحرم النبوي الشريف الذي يشتمل على المسجد النبوي، والروضة الشريفة التي تضم الجسد الطاهر، وسوف نفرد للمسجد النبوي والقبر الشريف فصولاً خاصة.

ويلي الحرمَ النبويَّ في العظمة البقيعُ، وهو المقبرة الرئيسة لأهل المدينة المنورة منذ عهد الرسول ﷺ، وهو أقرب الأماكن التاريخية إلى مبنى المسجد النبوي، ويقع في مواجهة القسم الجنوبي الشرقي من سور الحرم النبوي، وقد ضُمَّت إليه أراضٍ مجاورة وبُنِي حولَه سورٌ جديد مرتفع. وتبلغ مساحته الحالية ٢٨٠ ألف متر مربع.

فالبقيع هو تلك المقابر التي ضمت الأجساد الطاهرة من آل البيت الكرام كالسيدة فاطمة الزهراء، وابن رسول الله ﷺ إبراهيم، وعمه العباس، وعمته صفية، وحفيده الحسن بن علي رضي الله عنهم أجمعين، وكذلك يضم أجساد زوجات رسول الله ﷺ عدا خديجة وميمونة رضي الله عنهن أجمعين، كما يضم أجساد العديد من الصحابة أمثال عثمان بن مَظعُون، وأسعَد بن زُرارة، وغيرهم الكثير وقد يصل عدد مَن دفن في البقيع من الصحابة إلى عشرة آلاف صحابي.

وتُستَحَب زيارةُ هذه المقابر لما في ذلك من صلة وبِرٍّ وبركة بأصحابها، واتباعًا لسنة المصطفى ﷺ؛ حيث كان يزورها ويدعو لَمن دُفِن فيه، فقد وردت الآثار الكثير في ذلك، منها: أن رسول الله ﷺ كان يخرج من آخر الليل إلى البقيع، فيقول: «السلام عليكم دارَ قومٍ مؤمنين، وأتاكم ما تُوعَدُون، غدًا مُؤَجَّلُون، وإنّا إن شاء الله بكم لاحِقُون، اللهم اغفر لأهل بَقِيع الغَرقَدِ»[1].

---

(1) أخرجه مسلم (ج٢/٦٦٩ رقم ٩٧٤) ط إحياء التراث العربي، وأخرجه ابن حبان (ج٧/٤٤٥) ط مؤسسة الرسالة.

ومن أهم الأماكن المقدسة في المدينة كذلك مسجدُ قباء، وهو أول مسجد بني في الإسلام، فقد خطه الرسول ﷺ بيده عندما وصل المدينة مهاجرًا من مكة، وشارك في وضع أحجاره الأولى، ثم أكمله الصحابة رضي الله عنهم، وقد أخبر ربنا في كتابه بأنه مسجد أسس على التقوى من أول يوم، فقال: ﴿ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾ (التوبة:١٠٨)، وكان رسول الله ﷺ يقصده بين الحين والآخر ليصلِّيَ فيه، وكان يأتيه خاصة في يوم السبت؛ فعن ابن عمر رضي الله عنها قال: (كان رسول الله ﷺ يأتي مسجدَ قُباءَ كلَّ سَبتٍ ماشيًا وراكبًا)[١].

وقد حث النبي ﷺ على زيارته والصلاة فيه، فقال: «مَن تَطَهَّرَ في بيته وأتى مسجدَ قُباءَ فصَلّى فيه صلاةً فله أجرُ عُمرة»[٢] ويقول ﷺ: «مَن خَرَجَ حتى يأتيَ هذا المسجدَ - يعني مسجدَ قُباءَ - فصَلّى فيه كان كعِدلِ عُمرةٍ»[٣]. وقد اهتم المسلمون بمسجد قباء على مر العصور؛ فجدده عثمان بن عفان ﷺ، ثم عمر بن عبد العزيز الذي بالغ في تنميقه وجعل له رَحَبة وأَروِقةً ومئذنة، وهي أول مئذنة تقام فيه، وفي سنة ٤٣٥هـ جدده أبو يعلى الحسيني.

وظل الحكام والملوك يعتنون به وبتجديده حتى العهد الحالي؛ حيث امتدت التوسعة وأعيد بناؤه بالتصميم القديم نفسه، ولكن جعل له أربع مآذن عوضًا عن مئذنته الوحيدة القديمة، كل مئذنة في جهة وبارتفاع (٤٧) مترًا.

وبني المسجد على شكل رُواق جنوبي وآخر شمالي تفصل بينهما ساحة مكشوفة، ويتصل الرواقان شرقًا وغربًا برواقين طويلين، ويتألف سطحه من مجموعة من القباب المتصلة منها: (٦) قباب كبيرة قطر كل منها (١٢) مترًا، و(٥٦) قبة صغيرة

---

(1) أخرجه البخاري (ج٣٩٩/١ رقم ١١٣٥) ط ابن كثير- اليمامة.

(2) أخرجه ابن ماجه (ج٤٥٣/١ رقم١٤١٢) ط دار الفكر.

(3) أخرجه أحمد (ج٤٨٧/٣ رقم١٦٠٢٤) ط مؤسسة قرطبة، وأخرجه الحاكم في المستدرك (ج١٣/٣ رقم٤٢٧٩) ط الكتب العلمية.

قطر كل منها (٦) أمتار، وتستند القباب إلى أقواس تقف على أعمدة ضخمة داخل كل رواق.

وقد بلغت مساحة المصلى وحده (٥٠٣٥) مترًا مربعًا، وبلغت المساحة التي يشغلها مبنى المسجد مع مرافق الخدمة التابعة له (١٣٥٠٠) متر مربع، في حين كانت مساحته قبل هذه التوسعة ١٦٠٠ متر مربع فقط، كما ألحق بالمسجد مكتبة.

● مسجد ذي القبلتين هو المسجد الذي شهد نزول الوحي بتغيير القبلة من المسجد الأقصى ببيت المقدس في القدس إلى المسجد الحرام بمكة المكرمة، وكان ذلك ظهر يوم الثلاثاء النصف من شهر شعبان من السنة الأولى للهجرة النبوية المباركة، فمن ذلك الحين وهو يعرف بمسجد (ذو القبلتين) أو (مسجد القبلتين)، وفي ذلك التحويل إشارة لانتقال الريادة الدينية من القدس إلى مكة، ومن بني إسرائيل إلى العرب، ولقد أشار العهد الجديد لمسألة تحويل القبلة، ففي إنجيل يوحنا في حوار المرأة مع المسيح يقول: "قالت له المرأة: يا سيدي، أرى أنك نبي، آباؤنا سجدوا في هذا الجبل، وأنتم تقولون إن في أورشليم الموضع الذي ينبغي أن يسجد فيه، فقال لها يسوع: يا امرأة صدقيني أنه تأتي ساعة لا في هذا الجبل ولا في أورشليم تسجدون" [يوحنا:٤/ ١٩،٢٠،٢١].

فجاء القرآن الكريم محققا لتلك النبوءة، قال تعالى: ﴿ **سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ ما وَلَّاهم عن قِبلَتِهم التي كانوا عليها** ﴾ (البقرة:١٤٢) وقال سبحانه: ﴿ **قد نرى تَقَلُّبَ وَجهِكَ في السَّماءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبلةً تَرضاها فوَلِّ وَجهَكَ شَطرَ المَسجدِ الحَرامِ وحَيثُ ما كنتم فوَلُّوا وُجُوهَكم شَطرَه وإنَّ الذين أُوتُوا الكِتابَ لَيَعلَمُونَ أنَّه الحَقُّ مِن رَبِّهم وما اللهُ بغافلٍ عَمّا يَعمَلُونَ** ﴾ (البقرة:١٤٤).

وهو مسجد يُنسب لبني حَرامٍ مِن بني سلمة، وتذكر بعض المصادر أن بني سواد بن غَنم بن كعب هم الذين أقاموه على عهد رسول الله ﷺ. ويقع في شمال غربي المدينة المنورة على مقربة مِن مسجد الفتح، ويقع في الجنوب الغربي مِن بئر رُومةَ قرب وادي

العَقيق وفوق رابيةٍ مرتفعة قليلاً، ويبعد عن المسجد النبوي خمسة كيلو مترات باتجاه الشمالي الغربي. وفيه محرابان:الأول: مبنيٌّ في الاتجاه الذي كان يصلي إليه النبي ﷺ نحو بيت المقدس في الركعتين الأُولَيين من صلاة الظهر قبل نزول الآية التي تخبر بتغيير جهة القبلة.

وجُدِّدَ بناء المسجد في عهد عمر بن عبد العزيز (٨٧ ــ٩٣هـ)، وجُدِّدَ ثانية في عهد السلطان سليمان القانوني عام ٩٥٠هـ، وتم تطويره وتوسعته؛ فأزيلت الرابية وأقيم مكانها مبنى جديد واسع يتألف من طابقين؛ الطابق الأرضي ويشمل: الميضأة، والمستودعات، والوحدات السكنية للإمام والمؤذن. أما الطابق العلوي: ففيه المصلّى، ومساحته (١١٩٠) مترًا مربعًا، وخصصت شرفة واسعة مساحتها (٤٠٠) متر مربع للنساء تطل على ساحة المصلّى، ورُواق لتحفيظ القرآن الكريم، كما أقيم بجانبه فناء داخلي غُرِس بالأشجار.

● ومن أهم معالم المدينة المنورة كذلك (جبل أُحُد)، ويقع في الجهة الشمالية منها، وهو في الحقيقة سلسلة متصلة من الجبال يمتد من الشرق إلى الغرب، ويميل نحو الشمال قليلا، يبلغ طوله سبعة كيلومترات وعرضه ما بين ٢- ٣ كيلومترات.

ومعظم صخور جبل أحد من الجرانيت الأحمر، وفيه أجزاء تميل ألوانها إلى الخضرة الداكنة والسواد. وتتخلله تجويفات طبيعية تتجمع فيها مياه الأمطار، وتبقى معظم أيام السنة؛ لأنها مستورة عن الشمس، وتسمى هذه التجويفات (المهاريس).

وتنتشر على مقربة من جبل أحد عدة جبال صغيرة، أهمها "جبل ثور" في شماله الغربي، وجبل عَيْنَين في جنوبه الغربي. ويمر عند قاعدته وادي قناة ويتجاوزه غربًا ليصب في مجمع الأسيال.

ويرتبط اسم هذا الجبل بموقعة تاريخية وقعت في السنة الثالثة للهجرة، وسميت باسمه وهي "غزوة أحد"، وكان ميدانها الساحة الممتدة ما بين قاعدته الجنوبية الغربية وجبل عَيْنَين الذي يبعد عنه كيلومترا واحدا تقريبًا، ويسمى أيضًا جبل الرُّماة.

ورغم أن هذا الجبل تَشَرَّف بأنه في مدينة رسول الله ﷺ، إلا أن هذا الشرف تضاعف كثيرًا لحُبِّ رسول الله ﷺ له، وإخباره بأن هذا الجبل أيضا يحبه المسلمون ويحب المسلمين، فعن أبي حُمَيد الساعديّ قال: (أقبَلنا مع النبي ﷺ من غزوة تبوك، حتى إذا أشرَفنا على المدينة قال: «هذه طَابَةُ، وهذا أُحُدٌ: جَبَلٌ يُحبُّنا ونُحبُّه»)[1].

كما أن هذا الجبل الأشمَّ استجابْ في خضوع وطاعة لأمر حبيبه وسيده النبي ﷺ عندما ضَرَبَه برجله الشريفة لما اهتَزَّ أُحُدٌ به هو وأصحابه، فقد صحَّ عن أنس ﷺ: (أن النبي ﷺ صَعَدَ أُحُدًا وأبو بكر وعمرُ وعثمانُ، فرَجَفَ بهم، فضربه برِجله وقال: «اثبُت أُحُدٌ، فما عليك إلا نَبيٌّ أو صِدِّيقٌ أو شَهيدان»)[2].

جبل أحد، ذلك الجبل العظيم الذي أحب رسولَ الله ﷺ والمسلمين، وأحبه رسولُ الله ﷺ والمسلمون، يحتوي على مسجد وغار صغير، كما أن في ساحته مقبرة شهداء أحد.

وأول تلك الأماكن المباركة التي يحتوي عليها هذا الجبل مسجد جبل أحد أو مسجد الفسح، وهو مسجد صغير يقع أسفل الجبل، في طرف الشِّعب المؤدي إلى المِهراس جنوب الغار الذي يبعد (١٠٠م) تقريبًا.

وقد وصله العمران الآن، وأصبح وسط المنازل الشعبية، وقد تَهَدَّم أكثَرُه، ولم يَبقَ إلا جزءٌ بسيط منه، وهو محاط بالسِّياج، وقد رُوي أن النبي ﷺ صلى في المسجد الصغير الذي بأُحُدٍ في شِعب الجرار لازِقًا بالجبل. وقد صلى النبي ﷺ الظهر والعصر بعد انتهاء المعركة.

ويسمى هذا المسجد الفَسح، وقيل إن سبب تسميته بهذا الاسم أن المسجد كان

---

(1) أخرجه البخاري (ج٤/١٦١٠ رقم٤١٦٠) ط ابن كثير- اليمامة، وأخرجه مسلم (ج٢/١٠١١ رقم١٣٩٢) ط إحياء التراث العربي.

(2) أخرجه البخاري (ج٣/١٣٤٥ رقم٣٤٧٢) ط ابن كثير- اليمامة، وأخرجه الترمذي (ج٥/٦٢٤ رقم٣٦٩٧) ط إحياء التراث العربي.

ضيقًا فازدحم الناس للصلاة فيه مع رسول الله ﷺ حتى لم يجد البعض مكانًا يقف فيه للصلاة، فكانت هذه الحادثة سببًا في نزول قوله تعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا قِيلَ لكم تَفَسَّحُوا في المَجالسِ فافسَحُوا يَفسَحِ اللهُ لكم وإذا قِيلَ انشُزُوا فانشُزُوا يَرفَعِ اللهُ الذين آمَنُوا منكم والذين أُوتُوا العِلمَ دَرَجاتٍ واللهُ بما تَعمَلُونَ خَبِيرٌ** ﴾ (المجادلة: ١١).

ومن معالم أُحُد كذلك حيّ سيِّد الشهداء، ويقع بسَفح جبل أحد، ويبعد عن المسجد النبوي الشريف مسافة أربعة كيلومترات تقريبًا شَمالاً، ومِن أبرز الأسماء التي عُرِف بها حيّ سيِّد الشهداء: حيّ الشهداء، وحيّ أحد، وحيّ سيِّدِنا حمزة، ويمتد حيّ سيِّد الشهداء بمحاذاة جبل أحد بطول ثمانية كيلومترات تقريبًا من الشرق إلى الغرب، ويخترقه وادي قناة، ويتوسطه جبل الرماة ويحده من الشرق طريق المطار، ومن الجنوب الخط الدائري الثاني، ومن الغرب طريق العيون.

يعتبر موقع حي سيد الشهداء من المواقع التاريخية، وله مكانه عظيمة في نفوس المسلمين؛ حيث يُشرف عليه جبل أحد، وفيه كانت معركة أحد المشهورة، ويضم ثَراه أكثرَ مِن سبعين شهيدًا مِن أعظم شهداء الأرض، ومنهم حمزة بن عبد المُطَّلب عم رسول الله ﷺ (سيد الشهداء)، ومُصعَب بن عُمَير أول داعية بعثه النبي ﷺ، وحَنظَلة بن عامر (غَسِيل الملائكة)، وفيهم عبد الله بن جَحش، وشماس بن عثمان، وعَقِيل ابن أبي أُمَيّة رضي الله عنهم أجمعين.

ومقبرة شهداء أحد تُعَدّ مَزارًا يرتاده القادمون إلى المدينة وزُوّار رسول الله ﷺ، وذلك برًّا لهؤلاء العظماء وصلة لهم، وتبرُّكًا بهم، وقبل ذلك كله اتباعًا لسُنّة النبي ﷺ، فقد ورد في الحديث الذي يرويه العَطّاف بن خالد المخزومي عن عبد الأعلى بن عبد الله بن أبي فَروة عن أبيه (أن النبي ﷺ زار قبورَ الشهداء بأحد، فقال: «اللهم إن عبدك ونبيك يشهد أن هؤلاء شهداء، وأنه مَن زارهم وسَلّم عليهم إلى يوم القيامة رَدُّوا عليه». قال العَطّاف: وحدثتني خالتي أنها زارت قبور الشهداء، قالت: وليس معي إلا

غلامان يحفظان عليَّ الدابة. قالت: فسلمتُ عليهم فسمعت ردَّ السلام. قالوا: والله إنا نعرفكم كما يعرف بعضنا بعضا. قالت: فاقشعررت، فقلتُ: يا غلام، أدنِ بغلتي. فركِبتُ»[1].

وما زال في المدينة كثير من الأماكن المباركة والمساجد الأثرية التي يشتاق لها المسلمون، كالمساجد السبعة، وتقع هذه المساجد الصغيرة في الجهة الغربية من جبل سَلع، عند جزء من الخندق الذي حفره المسلمون في غزوة الأحزاب للدفاع عن المدينة المنورة، وكانت هذه المساجد مواقع مرابطة ومراقبة في تلك الغزوة، وقد سُمِّيَ كل مسجد باسم مَن رابَطَ فيه، عدا مسجد الفتح الذي بُنِيَ في موقع قُبّةٍ ضربت لرسول الله ﷺ.

وهذه المساجد على التوالي من الشمال إلى الجنوب هي: مسجد الفتح، مسجد سلمان الفارسي، مسجد أبي بكر الصديق، مسجد عمر بن الخطاب، مسجد علي بن أبي طالب، مسجد فاطمة الزهراء، ويسمى أيضا الأخير بمسجد سعد بن معاذ.

وهناك مساجد أخرى غير تلك السبعة، كمسجد الراية، والجمعة، والميقات، والإجابة، والعنبرية، والسجدة، والمستراح، وكلها مساجد مباركة، ولتسميتها بهذه الأسماء علاقة بأحداث نبوية مباركة.

ونكتفي بما ذكرناه من أماكن مقدسة في مدينة رسول الله، رزقنا الله زيارتها وزيارة رسول الله ﷺ آمين.

---

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (ج٣/٣١ رقم٤٣٢٠) ط دار الكتب العلمية.

آداب زيارة رسول الله ﷺ ومدينته المنورة والجلوس في الروضة الشريفة:

زيارة قبر النبي ﷺ قُربةٌ من أفضل القربات إلى الله ﷻ، ومن أسباب استحقاق شفاعة الحبيب الأعظم ﷺ، وهي بعض الوفاء لحقه علينا ﷺ.

١. يستحب للزائر أن ينوي التقرب إلى الله بالصلاة في مسجد النبي ﷺ لفضل ثواب الصلاة في مسجده ﷺ.

٢. يُستحب أن يُكثر في طريقه إلى طَيبة (المدينة المنورة) من الصلاة على الحبيب ﷺ ولا سيما إذا بدت له معالم المدينة وأشجارها وأبنيتها، وأن يسأل الله تعالى أن ينفعه بزيارته ويتقبلها منه.

٣. يستحب الاغتسال قبل الدخول إلى مسجده ﷺ للسلام عليه وأن ينظف نفسه، ويلبس أحسن ثيابه ويتطيّب.

٤. على المرء أن يستشعر في قلبه أنه في أشرف بقاع الأرض بعد مكة.

٥. يُستحب أن يقول عند دخول المسجد النبوي الشريف كما عند دخول المسجد الحرام: "أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم؛ بسم الله، اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك".

٦. ويصلي في الروضة سُنّة تحية المسجد، ويشكر الله تعالى على هذه النعمة ويسأله القبول، ثم يأتي القبر الشريف حيث جسد سيدنا وحبينا سيدنا محمد ﷺ، فيقف مستقبلاً القبر والقبلةُ خلفه، ناظرًا إلى أسفل المواجهة الشريفة، غاضَّ الطرف، ممتلئَ القلب إجلالاً وتعظيمًا وتوقيرًا لمنزلة مَن هو في حضرته ﷺ، ثم يسلّم بصوت معتدل قائلاً:

(السلام عليك يا رسولَ الله، السلام عليك يا نبيَّ الله، السلام عليك يا خيرةَ الله، السلام عليك يا خَيرَ خَلقِ الله، السلام عليك يا حبيبَ الله، السلام عليك يا نذيرُ، السلام عليك يا بشيرُ، السلام عليك يا طاهرُ، السلام عليك يا نبيَّ الرحمة، السلام عليك يا نبيَّ الأمة، السلام عليك يا أبا القاسم، السلام عليك يا رسولَ ربِّ العالمين، السلام عليك يا خيرَ الخلائق أجمعين، السلام عليك يا قائدَ الغُرِّ المُحَجَّلين، السلام عليك وعلى آلِ بيتِك وأزواجِك وذريتِك وأصحابِك أجمعين، السلام عليك وعلى سائر الأنبياء وجميع عباد الله الصالحين، جزاك الله يا رسولَ الله عنا أفضل ما جزى نبيًّا عن أمته، وصلّى الله عليك وسلم كلما ذكرك ذاكر وغفل عن ذكرك غافل أفضلَ وأطيبَ وأكملَ ما صلّى على أحد من الخلق أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنك عبده ورسوله وخِيرته مِن خلقه، وأشهد أنك قد بلّغتَ الرسالةَ، وأدَّيتَ الأمانةَ، ونَصَحتَ الأمةَ، وجاهدتَ في الله حق جهاده، اللهم آته الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقامًا محمودًا الذي وَعَدتَه، وآتِه نهايةَ ما ينبغي أن يسأله السائلون، اللهم صلِّ على سيدنا محمد عبدِك ونبيِّك ورسولِك النبيِّ الأميِّ وعلى آل سيدنا محمد وأزواجه وذريته كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم، وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وأزواجه وذريته كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد).

- وهذه الصيغة مستحبة، وله الاقتصار على بعضها مما يحفظه، وحبّذا لو حفظ ما يقدر على حفظه دون أن يقرأ من الورق كما يفعل بعض الناس.
- ويبلّغ سلامَ مَن أوصاه بالسلام على رسول الله ﷺ فيقول: السلام عليك يا رسولَ اللهِ مِن فلان ابن فلان ...
- وبعد السلام يتأخر إلى اليمين قدر نصف متر فيسلم على سيدنا أبي بكر الصدِّيق ويثني عليه بما هو أهله ﷺ.
- ثم يتأخر إلى اليمين قدر ذراع فيسلّم على سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ ويثني عليه بما هو أهله.

● فإذا انتهى تأخَّر فوقف مستقبلاً القبلة، حيث أمكنه من الروضة، والأفضل - إن تيسَّر - بين القبر والسارية، فيحمد الله تعالى ويمجده، ويدعو لنفسه ولوالديه ولإخوانه ولسائر المسلمين.

٧. وليحرص على الصلاة في الروضة؛ فقد روى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على حوضي»(١). وينبغي أن يحرص على أن يصلي الصلوات كلَّها في مسجد رسول الله ﷺ، وأن ينوي الاعتكاف فيه.

٨. ويُسَنُّ الخروج إلى البقيع كل يومٍ، ولا سيما يوم الجمعة وذلك بعد أن يسلم على النبي ﷺ، ويقول عندما يصل إلى البقيع: (السلام عليكم دارَ قومٍ مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، اللهم اغفر لأهل بقيعِ الغَرْقَدِ، اللهم اغفر لنا ولهم)(٢).

٩. ويستحب زيارة قبور شهداء أُحُد، ويبدأ بحمزة عم رسول الله ﷺ سيد الشهداء.

١٠. ويستحب استحبابًا مؤكَّدًا أن يأتي مسجدَ قُباء، والأولى أن يأتيَه يومَ السبت؛ لِما صَحَّ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «صلاةٌ في مَسجدِ قُباءَ كعُمرةٍ»(٣).

١١. وينبغي أن يكون وهو في مدينة النبي ﷺ مستحضرًا شرف هذه المدينة، وأن يتحلّى فيها بالأدب والخُلُق المطلوبَين في ذلك المقام، ويسن أن يكثر من التصدُّقِ على فقرائها، وينبغي عدمُ رفعِ الصوتِ وتركُ المشاحنات في حضرةَ النبي ﷺ، فلقد أدَّب الله تعالى المسلمين في كتابه العزيز بقوله تعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا**

---

(1) أخرجه البخاري (ج١/٣٩٩ رقم١١٣٨) و(ج٢/٦٦٧ رقم ١٧٨٩) ط ابن كثير- اليمامة، وأخرجه مسلم (ج٢/١٠١١ رقم١٣٩١) ط إحياء التراث العربي.

(2) أخرجه مسلم (ج ٢/٦٦٩ رقم٩٧٤) ط إحياء التراث العربي وزاد فيه "وأتاكم ما توعدون، غداً مؤجلون".

(3) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (ج١/٢١٠ رقم ٥٧٠) ط مكتبة العلوم والحكم، وأخرجه ابن ماجه (ج١/٤٥٣ رقم ١٤١١) ط دار الفكر.

تَرفَعُوا أَصواتَكم فوقَ صَوتِ النبيِّ ولا تَجهَرُوا له بالقَولِ كجَهرِ بَعضِكم لبَعضٍ أن تَحبَطَ أعمالُكم وأنتم لا تَشعُرُونَ إنَّ الذين يَغُضُّونَ أَصواتَهم عندَ رسولِ اللهِ أُولَئكَ الذين امتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهم للتَّقوى لهم مَغفِرَةٌ وأجرٌ عَظِيمٌ ﴾ (الحجرات: ٢/٣).

فقد نهت الآيتان الكريمتان عن رفع الصوت عند رسول الله ﷺ وأوعَدَت مَن يرفع صوته عند رسول الله ﷺ بأن يُحبط اللهُ عملَه ويُذهبَه ولا يُثيبَه. وقد رُوِيَ أن أبا بكر الصديق ﷺ كان يقول: (لا ينبغي رَفعُ صوتٍ على نبي حيًّا ولا ميتًا)، وكانت عائشة - رضي الله عنها - إذا سمعت صوت وتد أو مسمار يُدَقّ في البيوت المجاورة ترسل إلى أهلها (لا تؤذوا رسول الله ﷺ)، وكان علي بن أبي طالب ﷺ إذا أراد أن يصنع مِصراعَي بابِ بيته خرج إلى المناصع (أي الرومية) حتى لا يؤذي رسول الله ﷺ بما يحدث من صوت أو ضجيج.

إذًا يجب على الزائر والجالس في الروضة الشريفة التأدب بآداب القرآن والتخلق بما ندب إليه حتى يسلم من إحباط العمل، فإن سوء الأدب ورفع الصوت والمجادلة والمشاحنات والمناقشات في هذا المكان منافية لما ورد في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فاحذر أيها الزائر، واحذر أيها الجالس من مخالفة كتاب الله؛ فإن ذلك يعرضك لسخط الله، أعاذنا اللهُ وجميعَ المسلمين من ذلك.

ويقول العلماء: إنّ هذا الأدب معه ﷺ كما كان واجبًا في حياته فهو واجب بجوار قبره الشريف في مسجده ﷺ، وهكذا ينبغي التّأدب في مجالس الحديث الشريف وقراءته وسماعه.

المسجد النبوي الشريف

المسجد النبوي الشريف أفضل بقعة على وجه الأرض، بل هو أفضل مكان في الوجود، وذلك لأن المسجد النبوي الآن يحتوي على القبر الشريف الذي يضم الجسد الطاهر للنبي ﷺ، والمكان الذي يضم جسد أعظم المخلوقات هو أفضل الأمكنة على الإطلاق، قال العلماء إنه أفضل بقاع الأرض حتى المسجد الحرام، وحتى الكعبة المشرفة، وإنه أفضل من السماوات حتى العرش والكرسي، فمِن ذلك ما ذكره الإمام السبكي، حيث يقول: (أما المدفن الشريف فلا يشمله حكم المسجد، بل هو أشرف من المسجد، وأشرف من مسجد مكة (يعني بيت الله الحرام) وأشرف من كل البقاع، كما حكى القاضي عياض الإجماعَ على ذلك، أن الموضع الذي ضم أعضاء النبي ﷺ لا خلاف في كونه أفضل.. ثم قال: ونظم بعضهم:

جَزَمَ الجَمِيعُ بأنَّ خَيرَ الأرضِ ما ... قد أحاطَ ذاتَ المصطفى وحَواها

ونعم، لقد صَدَقُوا، بساكِنها عَلَت ... كالنفس حين زَكَت زَكا مأواها[1]

والذي قال هذه الأبيات هو محمد بن عبد الله البسكري المغربي.

فهو أفضل البقاع، وهو وثاني الحرمين الشريفين، اختار موقعَه رسولُ الله ﷺ فور وصوله إلى المدينة مهاجرًا، وشارك في بنائه بيديه الشريفتين مع أصحابه رضوان الله عليهم، وصار مقرَّ قيادته وقيادةَ الخلفاء الراشدين من بعده، ومنذ ذلك التأريخ وهو يؤدي رسالته موقعًا متميزًا للعبادة، ومدرسةً للعلم والمعرفة، ومنطلقًا للدعوة، وظل يتسع ويزداد، ويتبارى الملوكُ والأمراء والحكام في توسعته وزيادته حتى الآن.

ومن المفيد أن نتعرف على لمحة تاريخية عن ذلك المسجد العظيم، فبعد أن أقام النبي ﷺ أيامًا بقُباء، وبنى فيها مسجدها الذي هو أول مسجد أسس على التقوى، وقد تكلمنا عنه فيما سبق، خرج منها راكبًا ناقته متوجِّهًا حيث أمره الله، فأدركته الجمعة

(1) فتاوي السبكي. ج١ ص ٢٧٨.

في بني سالم بن عوف، فصَلاّها في بطن الوادي، فخرج إليه رجال من بني سالم منهم العباس بن عُبادة وعتبان بن مالك، فسألوه أن يترل عندهم ويقيم، فقال: «خلُّوا الناقةَ؛ فإنها مأمورة».

ونهض الأنصار حوله حتى أتى دُورَ بَنِي بَياضةَ، فتلقاه زِياد بن لَبيد وفَروةُ بنُ عَمرٍو في رجال منهم، فدعَوه إلى الترول والبقاء عندهم، فقال ﷺ: «دَعُوا الناقةَ؛ فإنها مأمورةٌ»، ومضى حتى أتى دُورَ بَنِي ساعِدةَ، فتلقاه سَعدُ بنُ عُبادة والمُنذرُ بنُ عَمرٍو ورجالٌ مِن بني ساعِدة، فدَعَوه إلى الترول والبقاء عندهم، فقال ﷺ: «دَعُوا الناقةَ؛ فإنها مأمورةٌ».

ومضى حتى أتى دُورَ بَنِي الحارثِ بنِ الخَزرَجِ، فتلقاه سعدُ بنُ الرَّبيع وخارجةُ بنُ زيد وعبدُ الله بن رَواحة، فدعوه ﷺ إلى البقاء عندهم، فقال: «دَعُوا الناقةَ؛ فإنها مأمورة»، ومضى ﷺ حتى أتى دُور بني عَدِيّ بن النَّجّار، وهم أخوال عبد المطلب، فتلقاه سليط بن قيس وأبو سليط يسيرة بن أبي خارجة، ورجال من بني عدي بن النجار، فدعوه إلى الترول عندهم والبقاء، فقال: «دَعُوها؛ إنها مأمورة».

ومضى ﷺ حتى أتى دُورَ بَنِي مالك بن النَّجّار، فبَرَكَت الناقةُ في موضع مسجده ﷺ، وهو يومئذ مَربِدُ تَمرٍ لغلامين يتيمين من بني مالك بن النجار، وهما سَهل وسُهَيل، وكانا في حَجر مُعاذ بنِ عَفراءَ، وكان فيه وحَوالَيه نَخلٌ وخِرَبٌ وقبور للمشركين، فبركت الناقة فبقي ﷺ على ظهرها لم يترل، فقامت ومشت قليلا -وهو لا يُهَيِّجُها- ثم التفتت خلفها فكَرَّت إلى مكانها وبَرَكَت فيه واستقرت، فترل عنها ﷺ.

فلما نزل رسول الله ﷺ عن ناقته أخذ أبو أيوبَ رَحلَه فحمله إلى داره، ونزل ﷺ دار أبي أيوب في بيت منها عليته مسكنُ أبي أيوب، وكان أبو أيوب قد أراد أن يترل له عن ذلك المسكن ويسكنه فيه، فأبى رسول الله ﷺ، فلما كان بعد أيام سقط شيء من ماء أو غبار على رأس رسول الله ﷺ في ذلك البيت، فترل أبو أيوب وأقسم على رسول الله وأبدى الرغبة له ليَطلُعن إلى مترله ويهبط أبو أيوب عنه، ففعل ذلك

رسول الله ﷺ، فلم يزل رسول الله ﷺ ساكنًا عند أبي أيوب حتى بنى مسجدَه وحُجَرَه ومنازل أزواجه.

وقصة بناء المسجد يرويها الصحابي الجليل أنس بن مالك ﷺ، حيث يقول: (قدم النبي ﷺ المدينة، فنزل في عُلو المدينة في حيّ يقال لهم بنو عمرو بن عوف، فأقام فيهم أربع عشرة ليلة، ثم إنه أرسل إلى ملأ بني النجار، فجاءوا مُتَقَلّدين بسيوفهم، قال: فكأني أنظر إلى رسول الله ﷺ على راحلته وأبو بكر رِدفَه ومَلأُ بني النجار حولَه، حتى ألقى بفِناء أبي أيوب، قال: فكان رسول الله ﷺ يصلي حيث أدركته الصلاة، ويصلي في مَرابِض الغَنَم، ثم إنه أمر بالمسجد، قال: فأرسل إلى ملإ بني النجار، فجاءوا، فقال: «يا بَني النَّجّارِ، ثامِنُوني بحائطكم هذا». قالوا: لا والله، لا نَطلُبُ ثَمَنَه إلاّ إلى الله. قال أنس: فكان فيه ما أقول: كان فيه نخل وقبور المشركين وخِرَبٌ، فأمر رسول الله ﷺ بالنخل فقُطِع، وبقبور المشركين فنُبِشَت، وبالخِرَب فسُوِّيت، قال: فصَفُّوا النخلَ قبلةً، وجعلوا عِضادَتَيه حِجارةً، قال: فكانوا يَرتَجِزُون ورسولُ الله ﷺ معهم وهم يقولون:

«اللهم إنّه لا خَـيرَ إلاّ خَـيرَ الآخـره   فانصُـرِ الأنصـارَ والمُهـاجِره»[1]

فتم البناءُ وأسَّسَ النبيُّ ﷺ المسجد في ربيع الأول من العام الأول من هجرته، وكان طوله سبعين ذراعًا، وعرضه ستين ذراعًا، أي ما يقارب (٣٥) مترًا طولاً، و (٣٠) مترًا عرضًا. وجعل أساسه من الحجارة، والدار من اللَّبِن (وهو الطوب الذي لم يُحرَق بالنار)، وكان النبي ﷺ يبني معهم باللَّبِن والحجارة، وكان سقفه من الجريد، وله ثلاثة أبواب:

الباب الأول- في الجهة الجنوبية.

الباب الثاني- في الجهة الغربية، ويسمى باب عاتِكة، ثم أصبح يعرف بباب الرحمة.

---

(1) رواه البخاري(١/١٦٥) ومسلم(١/٣٧٣).

الباب الثالث- من الجهة الشرقية، ويسمى باب عثمان، ثم أصبح يعرف بباب جبريل. وكانت إنارة المسجد تتم بواسطة مشاعل من جريد النخل، تُوقَد في الليل.

ظلّ هذا الوضع دون تغيير لمدة (١٧) شهرًا أو يزيد، وهي مدة صلاة المسلمين ناحية بيت المقدس، فلما نزلت آية تحويل القبلة في صلاة الظهر قام رسول الله ﷺ بالإجراءات اللازمة في مسجده الشريف، فأغلق الباب الكائن في الجدار الجنوبي -جدار القبلة الحالية- وفتح بدلاً منه بابًا في الجدار الشمالي -جدار القبلة سابقًا-.

تَوسِعات المسجد النبوي الشريف

مرَّ المسجد النبوي بعشر تَوسِعات بعد توسعة النبي ﷺ، فمجموع التوسعات التي حدثت للمسجد إحدى عشرة توسعة:

التوسعة الأولى في عهد النبي ﷺ:

وكانت الأولى منها في عهد النبي ﷺ، والباقي على امتداد التاريخ منذ عهد الخلفاء حتى هذه الأيام، فالأولى عندما عاد النبي ﷺ من غزوة خيبر حيث قام بأول توسعة لمسجده الشريف على قطعة أرض اشتراها سيدنا عثمان بن عفان ﷺ على نفقته، وذلك نظرًا لزيادة عدد المسلمين، وقد تم ذلك في المحرم سنة ٧هـ، فزاد (٢٠) مترًا في (١٥) مترًا تقريبًا، حتى صار المسجد مربعًا (٥٠م×٤٩,٥) م٢، ومساحته الكلية (٢٤٧٥) م٢، بزيادة قدرها: (١٤١٥) م٢، وبلغ ارتفاع الجدران ٣,٥٠م، وعدد الأبواب: ثلاثة أبواب، وعدد الأعمدة (٣٥) عمودًا، وكانت الإنارة عبارة عن مشاعل من جَرِيد النخل، إضافة لبعض الأَسرِجة التي توقد بالزيت.

التوسعة الثانية كانت في عهد عمر بن الخطاب ﷺ:

و التوسعة الثانية كانت في عهد عمر بن الخطاب ﷺ سنة ١٧ هـ، فقد كثر عدد المسلمين في عهده، وظهر تَصَدُّعٌ ونَخرٌ في بعض أعمدة المسجد، فقرَّر عمر ﷺ عام ١٧هـ توسعة المسجد.

وقد امتدت التوسعة في ثلاث جهات: إلى الجنوب خمسة أمتار، وإلى الغرب عشرة أمتار، وإلى الشمال خمسة عشر مترًا. و لم يزد في الجهة الشرقية؛ لوجود حجرات أزواج النبي ﷺ، وبعد هذه التوسعة صارت مساحته الكلية (٣٥٧٥) م٢، بزيادة قدرها (١١٠٠) م٢، وارتفاع جدرانه (٥,٥٠) م، وعدد أبوابه: ستة أبواب، وله ستة أروقة، وجعل له ساحة داخلية (صحن المسجد) فرشت بالرمل والحَصباء من وادي العقيق، وجعل له ساحة أخرى خارجية، تسمى "البطيحاء"، وهي ساحة واسعة تقع شمال

سجد، أعدت للجلوس لمن يريد التحدث في أمور الدنيا وإنشاد الشعر، وذلك حرصًا الفاروق ﷺ على أن يظل للمسجد هيبته ووقاره في قلوب المسلمين. وظلت إنارة سجد تتم بواسطة الأسرجة التي توقد بالزيت.

فكانت هذه التوسعة مناسبةً لازدياد عدد المسلمين، كما كانت مناسبة لأدوات نصر ومواد البناء وقتها.

التوسعة الثالثة في عهد الخليفة عثمان بن عفان:

في عهد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ كانت التوسعة الثالثة، فمع مرور السنين داد عدد المسلمين، وضاق المسجد النبوي الشريف بالمصلين، وساءت حال أعمدته، مر الخليفة عثمان سنة ٢٩هـ بزيادة مساحة المسجد وإعادة إعماره، فاشترى الدور حيطة به من الجهات الشمالية والغربية والجنوبية، ولم يتعرض للجهة الشرقية؛ لوجود نجرات زوجات النبي ﷺ فيها. وتم البناء بالحجارة المنقوشة (المنحوتة) والجَصّ، وبنى أعمدة من الحجارة، ووضع بداخلها قطع الحديد والرصاص لتقويتها، وبنى السقف ن خشب الساج القوي الثمين المحمول على الأعمدة.

وأصبحت المساحة الكلية للمسجد: (٤٠٧١) م٢، بزيادة قدرها (٤٩٦) م٢، بلغ ارتفاع الجدران (٥,٥٠) م، وعدد الأروقة: سبعة أروقة، وعدد الأبواب: ستة بواب، وعدد الأعمدة: (٥٥) عمودًا، وله ساحة داخلية واحدة. وفي هذه العمارة لهر لأول مرة بناء المقصورة في محراب المسجد لحماية الإمام، وبها فتحات يراه منها لصلون. وصارت إنارة المسجد تتم بواسطة قناديل الزيت الموزعة في أنحاء المسجد.

التوسعة الرابعة في عهد الوليد بن عبد الملك:

وكانت التوسعة الرابعة في عهد الوليد بن عبد الملك حيث أمر واليَه على المدينة لمنورة عمر بن عبد العزيز سنة ٨٨هـ بزيادة مساحة المسجد وإعادة إعماره، ووفَّر له لمواد الضرورية والعمال اللازمين، فشرع عمر ببناء المسجد، واستمر البناء إلى عام

٩١هـ. وقد أحدثت هذه العمارة تغييرات كثيرة في مبنى المسجد، وأضافت إليه عناصر جديدة لم تكن موجودة من قبل، ومنها: بناء المآذن الأربع على أركان المسجد، وإيجاد المحراب المجوف، وزخرفة حيطان المسجد من الداخل بالرخام والذهب والفسيفساء، وتذهيب السقف ورؤوس الأساطين، وعَتَبات الأبواب. وقد تمت التوسعة من جميع الجهات بما فيها الجانب الشرقي، حيث أُدخِلَت الحجرات الشريفة، وعُمِل حولها حاجزٌ من خمسة أضلاع، وبلغت مساحة المسجد بعد هذه التوسعة (٦٤٤٠) م٢، بزيادة قدرها: (٢٣٦٩) م٢، وارتفاع الجدران: (١٢,٥٠) م، وعدد الأروقة: (١٧) رواقًا، وعدد الأبواب: أربعة أبواب، وعدد النوافذ: (١٤) نافذة، وارتفاع المآذن يتراوح بين (٢٧,٥٠) و (٣٠) مترًا، وله ساحة داخلية واحدة. وما زالت الإنارة تتم في المسجد بواسطة قناديل الزيت الموزعة في أنحائه.

التوسعة الخامسة في عهد الخليفة المهدي العباسي:

وكانت التوسعة الخامسة في عهد الخليفة المهدي العباسي (١٦١ - ١٦٥هـ)، وقد تركزت الزيادة على الجهة الشمالية للمسجد، واستمر البناء فيها حتى عام ١٦٥هـ، وكان مقدار الزيادة: (٢٤٥٠) م٢، وأصبحت المساحة الكلية للمسجد: (٨٨٩٠) م٢. وبلغ ارتفاع جدران المسجد: (١٢,٥٠) م، وعدد الأروقة: (١٩) رواقًا، وعدد الأبواب: (٢٤) بابًا. وبلغ عدد النوافذ في المسجد: (٦٠) نافذة، وبذلك تحققت الإضاءة الطبعية والتهوية الجيدة للمسجد، وأما الإنارة ليلاً فكانت تتم - كالسابق- بواسطة قناديل الزيت الموزعة على أنحاء المسجد.

زار الخليفة المهدي العباسي المسجد النبوي الشريف سنة ١٦٠هـ، فرأى الحاجة إلى توسعته وإعادة إعماره، فأمر بذلك، ولما عاد إلى مركز الخلافة في بغداد أرسل الأموال اللازمة لذلك.

ثم توقفت التوسعات فترة من الزمن بسبب ما أصاب الأمة من عدوان خارجي، وبسبب ما أصاب المسجد النبوي من حوادث أدت إلى الاتجاه إلى ما يسمى بإعادة

إعمار المسجد، فقد حصل الحريق الأول للمسجد النبوي أولَ رمضان سنة ٦٥٤هـ في عهد الخليفة العباسي المستعصم، ولما علم الخليفة بذلك بادر سنة ٦٥٥هـ بإصلاح المسجد وإعادة إعماره، وأرسل الأموال اللازمة لذلك، ولكن البناء لم يتم بسبب غزو التتار وسقوط بغداد سنة ٦٥٦هـ.

فتولى الأمر بعد ذلك السلاطين المماليك في مصر، فتمت عملية البناء والترميم سنة ٦٦١هـ (بعد عَين جالُوت ٦٦٠ هـ)، وعاد المسجد إلى ما كان عليه قبل الحريق، وكان ممن ساهم في بناء المسجد وتأثيثه ملك اليمن المُظَفّر الذي أرسل منبرًا جديدًا بدلاً من المنبر المحترق. وأرسل الظاهر بيبرس سنة ٦٦٥هـ مقصورة خشبية لتوضع حول الحاجز المُخَمَّس المحيط بالحجرات الشريفة، ثم بنى السلطان المملوكي المنصور قَلاوُون سنة ٦٧٨هـ القبة التي فوق الحجرة الشريفة، وأصبحت منذ ذلك الحين علامة مميزة للمسجد النبوي. وفي عام ٧٠٦هـ، أمر السلطان محمد بن قلاوون ببناء المئذنة الرابعة (مئذنة باب السلام التي هدمت في العهد الأموي).

كانت تلك الحوادث التي أصابت المسجد النبوي الشريف سببًا في تلك الجهود التي انصبَّت في إعادة إعماره.

إعمار القبة الشريفة:

في عام ٦٧٨هـ أمر السلطان المملوكي المنصور قلاوون الصالحي بعمارة قبة فوق الحجرة النبوية الشريفة، فجاءت مربعة من أسفلها، مثمنة من أعلاها، مصنوعة من أخشاب كسيت بألواح بالرصاص. وفي الفترة من عام ٧٥٥ – ٧٦٢هـ جدَّد الناصر حسن بن محمد بن قلاوون ألواح الرصاص التي على القبة الشريفة. وفي عام ٧٦٥هـ عمل السلطان شعبان بن حسين بعض الإصلاحات في القبة الشريفة. وفي عام ٨٨١هـ أبدل السلطان قايتباي سقف الحجرة الخشبي بقبة لطيفة، جاءت تحت القبة الكبيرة.

وفي عام ٨٨٦هـ احترقت القبة الكبيرة باحتراق المسجد النبوي الشريف،

فأعاد السلطان قايتباي بناءها بالآجُر عام ٨٩٢هـ، ثم ظهرت بعض الشقوق في أعاليها فعمل لها بعض الترميمات، وجعلها في غاية الإحكام. وفي عام ٩٧٤هـ أصلح السلطان سليمان القانوني العثماني رصاص القبة الشريفة ووضع عليها هلالاً جديدًا. وفي عام ١٢٢٨هـ جدَّد السلطان محمود الثاني العثماني القبة الشريفة، ودهنها باللون الأخضر، فاشتهرت بالقبة الخضراء، بعد أن كانت تعرف بالبيضاء أو الزرقاء أو الفَيحاء.

التوسعة السادسة للمسجد النبوي في عهد السلطان الأشرف قايتباي:

ثم كانت التوسعة السادسة للمسجد النبوي، وقد جمعت هذه التوسعة بين التوسعة وبين إعادة الإعمار، فقد حصل الحريق الثاني للمسجد النبوي عام ٨٨٦هـ فتمت الكتابة بذلك للسلطان الأشرف قايتباي، فحزن حزنًا شديدًا، وأرسل بالأموال والصُّنّاع والمواد اللازمة، وأمر بإعمار المسجد، وقد امتدت العمارة حتى رمضان ٨٨٨هـ، وجرى زيادة على مساحة المسجد الأولى مقدارها: (١٢٠) م٢، وأصبحت المساحة الكلية للمسجد: (٩٠١٠)م٢. وبلغ ارتفاع الجدران: (١١) مترًا، وعدد الأروقة (١٨) رواقًا، وسدت معظم أبواب التوسعة العباسية، وبقي للمسجد أربعة أبواب فقط، وزيدت مئذنة في المسجد فصار عدد المآذن خمسًا. وأُحدِثَت شرفات ونوافذ وطاقات في الأجزاء العليا من الجدران للتهوية والإضاءة، وبقي للمسجد ساحة داخلية واحدة. أما الإنارة فهي كالسابق بقناديل الزيت الموزَّعة في أنحاء المسجد.

وبعد انتهاء البناء حضر السلطان الأشرف إلى المدينة، وأوقف بعض الأوقاف على المسجد النبوي الشريف، ومنها: رباط، ومدرسة، وطاحون، وسبيل، وفرن، وغير ذلك.

التوسعة السابعة في عهد السلطان العثماني عبد المجيد:

وكانت التوسعة السابعة في عهد السلطان العثماني عبد المجيد، وأهم ما أضيف

في تلك المرة هو الإنارة الكهربائية؛ فقبلها كانت الإنارة عن طريق (٦٠٠) مصباح زيتي، ثم أدخلت الإنارة الكهربائية، وأضيء المسجد لأول مرة في ٢٥ من شعبان ١٣٢٦هـ، وزادت مساحة المسجد في هذه المرة حيث أصبحت المساحة الكلية للمسجد: (١٠٣٠٣) م٢، وارتفاع الجدران: (١١) مترًا، وعدد الأروقة: (١٩) رواقًا، والأبواب: خمسة أبواب، والمآذن: خمس مآذن، يتراوح ارتفاعها بين (٤٧,٥٠) و(٦٠) م، وأصبح عدد الأعمدة: (٣٢٧) عمودًا، والقباب: (١٧٠) قبة. وبقي للمسجد ساحة داخلية واحدة، وبني في أقصى الجهة الشمالية من المسجد كتاتيب لتعليم القرآن الكريم، وفتح لها طاقات بشبابيك من حديد خارج المسجد وداخله.

وأمّا التوسعات منذ الثامنة وحتى العاشرة فكانت بعد الدولة السعودية الحديثة، والتي أنشئت على يد الملك عبد العزيز آل سعود.

التوسعة الثامنة في عهد الملك عبد العزيز آل سعود: رحمه الله

وكانت التوسعة الثامنة في عهد الملك عبد العزيز آل سعود (١٣٧٠ - ١٣٧٥هـ) وبلغت المساحة المضافة في هذه التوسعة (٦٠٢٤) م٢. وقد احتفظت التوسعة بالأبواب الخمسة التي كانت في التوسعة المجيدية، وأضافت إليها مثلها، فأصبح مجموع الأبواب بعد هذه التوسعة عشرة أبواب، ثلاثة منها بثلاثة مداخل. وفي ركني الجهة الشمالية أقيمت مئذنتان ارتفاع الواحدة (٧٢) مترًا تتكون من أربعة طوابق، وبهذا يصبح مجموع المآذن بعد التوسعة أربع مآذن.

التوسعة التاسعة في عهد الملك فيصل بن عبد العزيز: رحمه الله

ثم كانت التوسعة التاسعة في عهد الملك فيصل بن عبد العزيز (١٣٩٣هـ) أضيفت مساحة (٤٠,٥٥٠) م٢ في الجهة الغربية الخارجية للمسجد على مرحلتين: الأولى: (٣٥,٠٠٠) م٢، والثانية: (٥,٥٥٠) م٢.

التوسعة العاشرة:

وكانت التوسعة العاشرة في ١٨ من رجب عام ١٣٩٧هـ خصص الملك خالد الأرض الواقعة في الجنوب الغربي من الحرم النبوي الشريف لخدمات المصلين والزائرين، حيث أقيم على قسم منها مظلات للصلاة تحتها، والمساحة الباقية جعلت مواقف لسيارات المصلين والزائرين. بلغت مساحة هذه الأرض (٤٣٠٠٠) م٢.

توسعة الملك فهد بن عبد العزيز رحمه الله:

التوسعة الأخيرة الكبرى التي قام بها خادم الحرمين الشريفين -رحمه الله- الملك فهد بن عبد العزيز، وكانت في الفترة ما بين (١٤٠٥-١٤١٤ هـ) وبلغت مساحة تلك التوسعة الإجمالية (٣٨٤٠٠٠) م٢ مما جعل المساحة الكلية للمسجد الحالية (٩٨٣٢٧) مترًا مربعًا، مستوعبا نحو (١٦٧) ألف مصلٍّ، يضاف إليها مساحة (٦٧) ألف متر مربع وهي مساحة سطح المبنى الجديد، والذي يستوعب (٩٠) ألف مصلٍّ، كما يمكن استخدام مساحة الساحات المحيطة، والتي تبلغ (٢٣٥) ألف متر مربع، لاستيعاب (٤٥٠) ألف مصلٍّ، وليبلغ إجمالي مساحة الحرم النبوي شاملة الأسطح والساحات نحو (٤٠٠٣٢٧) مترا مربعا، بتضاعف قدره (٢٥) مرة عن كامل التوسعات السابقة، ولتستوعب المساحة الجديدة أكثر من (٧٠٧) آلاف مصلٍّ، في الفترات العادية، وما يزيد على المليون مصلٍّ في أوقات الذروة، وقد أصبح مجموع أبواب الحرم النبوي الشريف بعد التوسعة الجديدة (٨٦) بابا.

فكانت هذه التوسعة أعظم التوسعات، وكانت من أكبر حسنات الملك الراحل رحمه الله تعالى.

الروضة المشرفة[1]

يُذكر المسجد النبوي الشريف -ثاني المساجد قدسيةً عند المسلمين بعد المسجد الحرام كة المكرمة- وتقفز للذهن صورة القبة الخضراء التي تعلو سقف الحجرة النبوية المشرفة حيث مرقد الجسد الطاهر للنبي محمد ﷺ وصاحبَيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

وما أن يدخل الزائر إلى داخل الحرم من باب السلام غرب المسجد حتى يباشره لنبر الشريف، وبعده بمسافة قصيرة الحجرة الشريفة، وما بينهما من مسافة يعرف الروضة الشريفة، وتبلغ مساحة الروضة نحو (٣٣٠) مترًا مربعًا، وقد أخذ الجدار لغربي للحجرة الشريفة جزءًا منها، وتزخَر الروضة الشريفة وأطرافها بمعالم فضائل جليلة، جاءت بها الأحاديث الشريفة.

من هذه الأحاديث قوله ﷺ: «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على حوضي»[2].

وللعلماء في تفسير هذا الحديث ثلاثة أقوال:

الأول- أي كروضة من رياض الجنة في حصول السعادة ونزول الرحمة، وذلك لملازمة العبادة فيها.

الثاني- أن العبادة فيها طريق موصل لدخول الجنة.

الثالث- أن هذه البقعة بعينها هي جزء من الجنة، وستنقل يوم القيامة إليها.

ومن أبرزها الحجرة الشريفة في الجهة الشرقية، ومحراب النبي ﷺ في وسط جدارها من ناحية القبلة، والمنبر الشريف في جهتها الغربية، وفي الجهة القبلية من

---

(1) قام بعمل هذا الملحق إلى آخر الكتاب مركز الدراسات المنهجية .

(2) أخرجه البخاري (ج١/٣٩٩ رقم١١٣٨) و(ج٢/٦٦٧ رقم ١٧٨٩) ط ابن كثير- اليمامة ، وأخرجه مسلم (ج٢/١٠١١ رقم١٣٩١) ط إحياء التراث العربي.

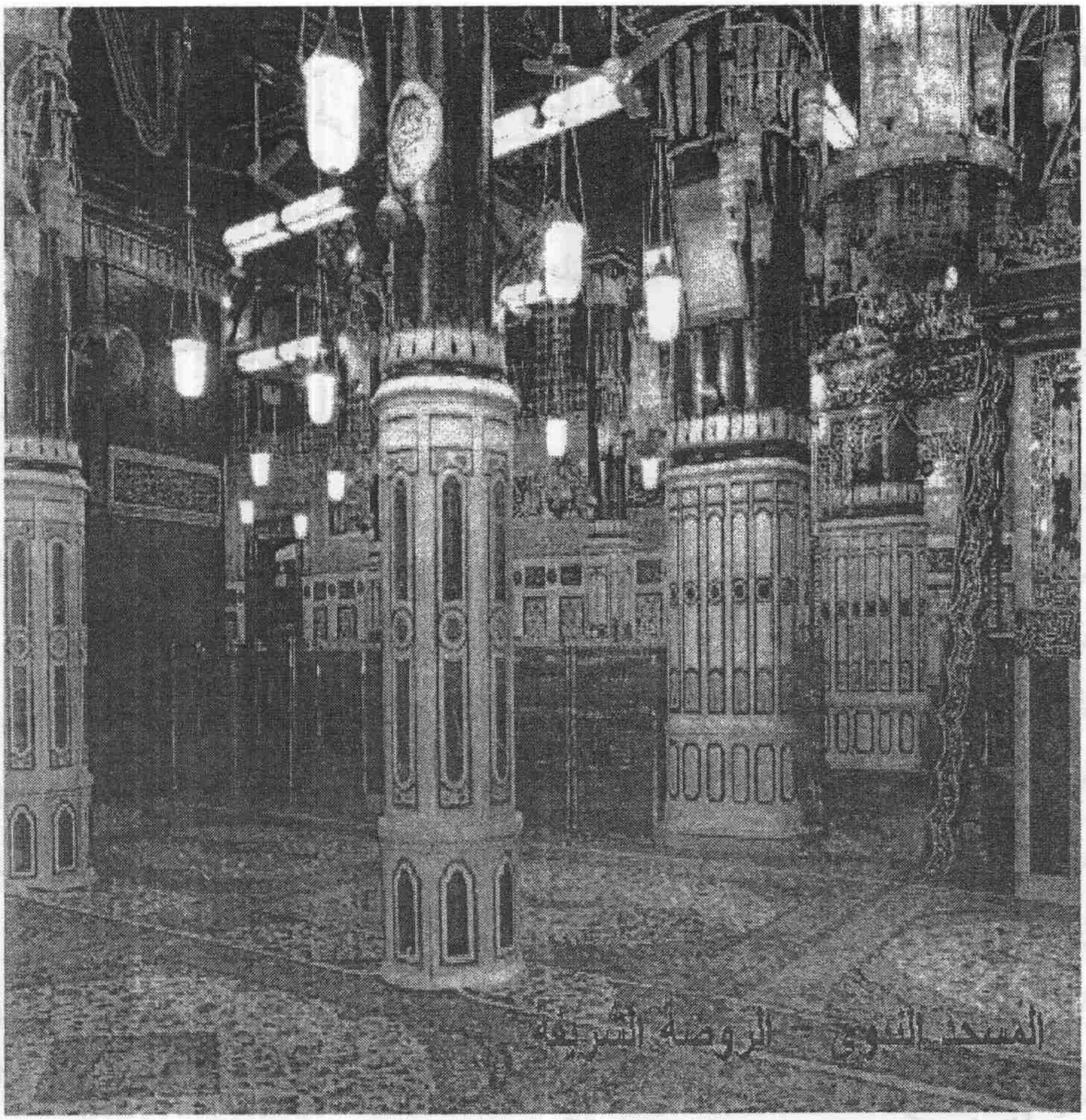
الروضة حاجز نحاسي جميل يفصل بين مقدمة المسجد والروضة بارتفاع متر واحد أقيم عليه مدخلان، يكتنفان المحرابَ النبوي، وتنتشر في الروضة الأساطين الحجرية، التي وضعت عليها خطوط مذهبة تميزها عن غيرها من أساطين المسجد.

وتقوم "المُكَبِّرِيّة" -والتي يرفع من عليها النداء في أوقات الصلوات وترديد التكبيرات في العيدين- وسط الروضة. وللاستخدام الأمثل تم رفع بنائها بحيث يمكن استخدام قدر من المساحة أسفلها للصلاة .

والصلاة في المسجد النبوي بأجر ألف صلاة فيما سواه، غير أنها في الروضة الشريفة لها معنى وفضل زائد على ذلك.

وكثير من أساطين الروضة الشريفة ارتبط بمناسبات في عهد النبي ﷺ وأُطلق عليه اسم خاص يشير إلى تلك المناسبات، ولما كان بعضُ جلوسه ﷺ عند هذه الأسطوانات وغيرها من أماكن المسجد النبوي فإنها كانت محلاً لنزول الكثير من الآيات القرآنية وورود الأحاديث النبوية وارتياد جبريل عليه السلام على النبي ﷺ.

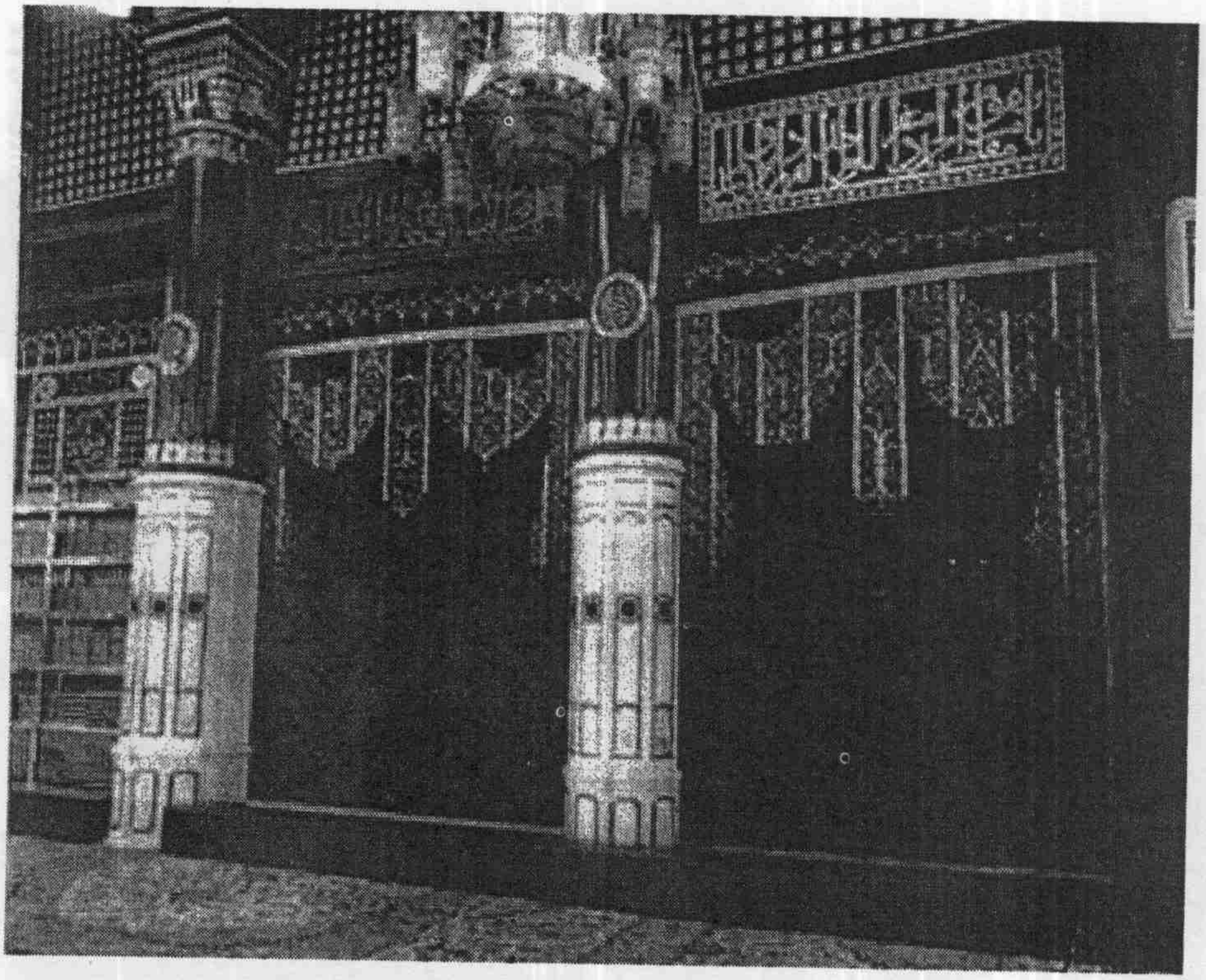
وحَظِيَت الروضةُ المشرفة باهتمام ولاة المسلمين، فقد قام السلطان سليم العثماني بتلبيس أساطينها إلى النصف بالرخام الأبيض المطعَّم بالأحمر، ثم جاء السلطان عبد المجيد العثماني فجدَّدَ هذه الأساطين وأعاد الرخام عليها كما كان، وزاد في صقله وتحليته، كما حظيت خلال التوسعات السعودية وآخرها عام ١٤٠٤هـ بكسوة الأعمدة برخام أبيض مميز عن سائر أساطين المسجد. ومن أبرز الأسطوانات ست وفق كتب الحديث والسنن المشهورة وهي:



يظهر في الصورة أعلاه أسطوانة عائشة (الإجابة) وعلى يسارها أسطوانة التوبة

أسطوانة السيدة عائشة: وتقع في وسط الروضة الشريفة، وقد اتخذ النبي ﷺ مكانها مصلًّى بعد تحويل القبلة مدة، ثم تحول إلى مصلاّه، وكان أفاضل الصحابة والتابعين يُفَضِّلون الجلوس عندها.

وأسطوانة التوبة: وتسمى أيضًا: أسطوانة "أبي لبابة" ـــ وهي الرابعة شرق المنبر، وسُمِّيَت بذلك لأن الصحابي الجليل أبا لبابة الأنصاري ربط نفسه فيها لذنب أذنبه، حتى تاب الله عليه ثم أُطلق.



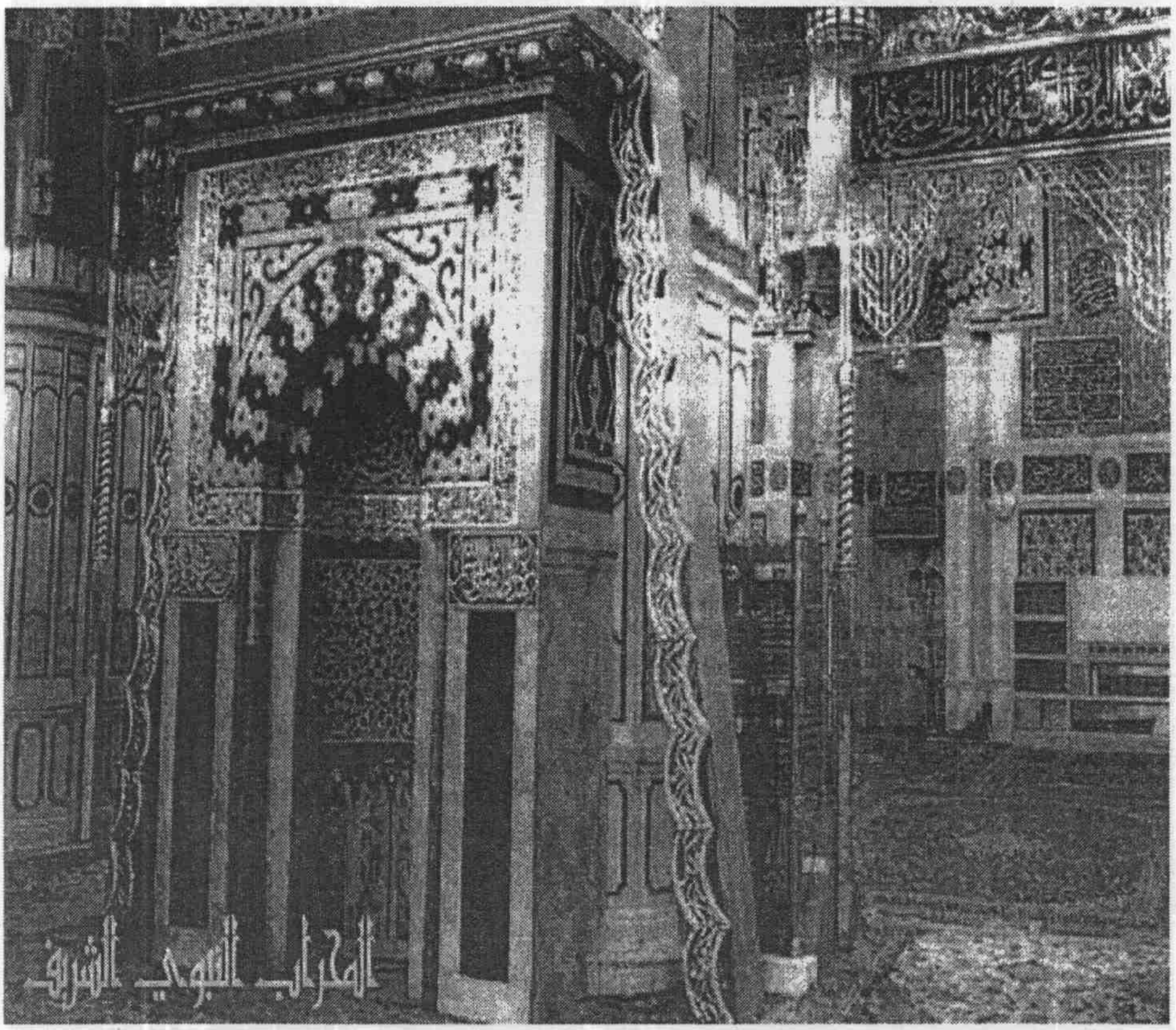
يظهر في الصورة أعلاه كلٌّ من أسطوانة المحرس وخلفها أسطوانة الوفود

وأسطوانة الوفود: وهي ملاصقة لشباك الحجرة الشريفة، سُمِّيت بذلك لأن النبي ﷺ كان يجلس عندها لوفود العرب القادمة عليه.

وأسطوانة السرير: ملاصقة لشباك الحجرة الشريفة من الجنوب، وسبب تسميتها: لأن النبي ﷺ كان إذا اعتكف في المسجد وُضِعَ له سرير عندها.

أسطوانة المُحَرَّس أو الحَرَس: وتقع خلف أسطوانة التوبة من الشمال، وكان بعض الصحابة يجلس عندها لحراسة النبي ﷺ.

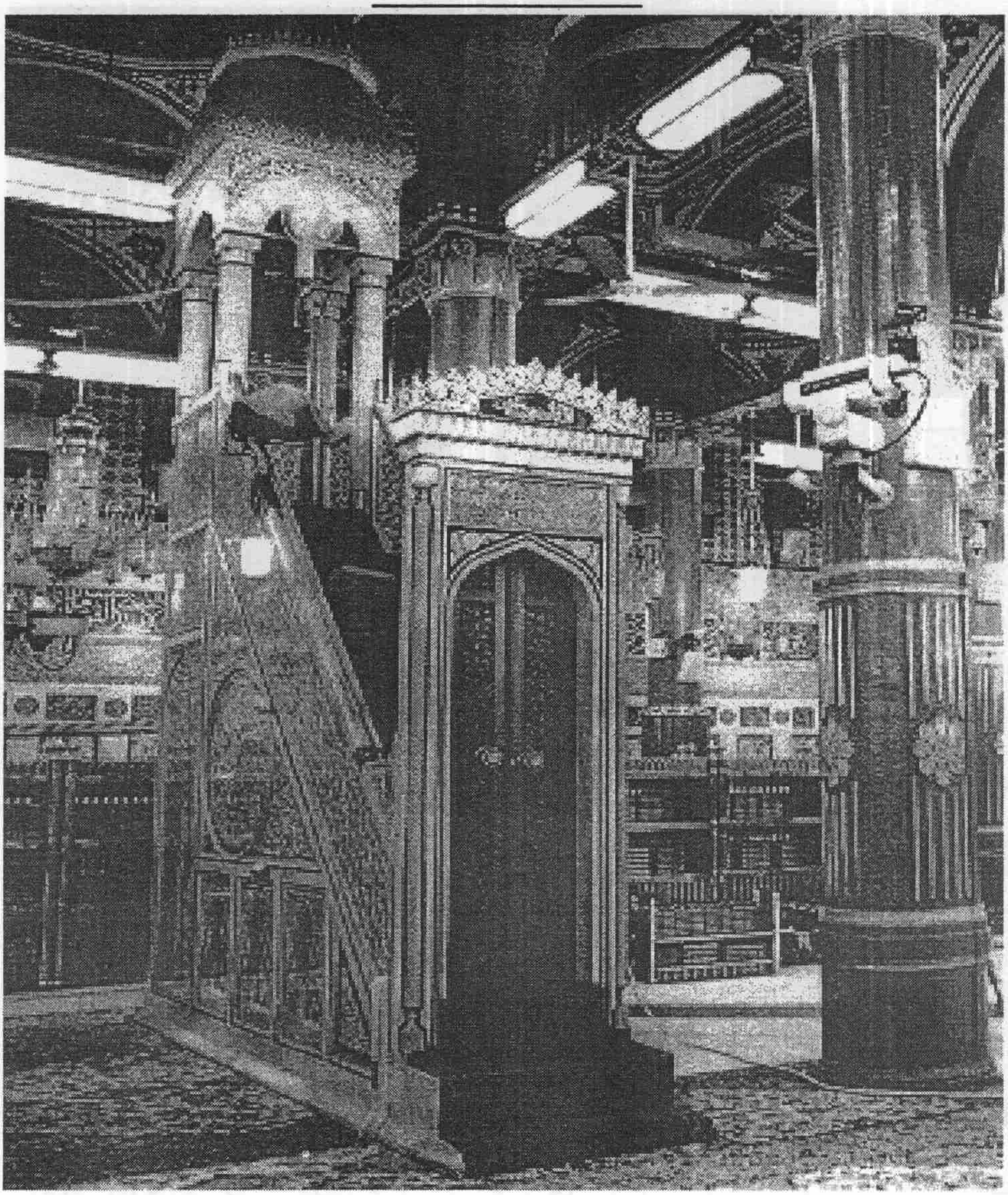
* وبداخل شباك الحجرة الشريفة أسطوانات أخرى تتعذر الصلاة عندها، منها أسطوانة مَربَعة القبر، سُمِّيت بذلك لوقوعها في ركن المربعة الغربية الشمالية من الحجرة الشريفة، وأسطوانة التهجد وهي التي في مكان تهجده ﷺ من الليل.



يظهر في الصورة أعلاه محراب سيدنا رسول الله ﷺ وعلى يمينه من الخلف الأسطوانة

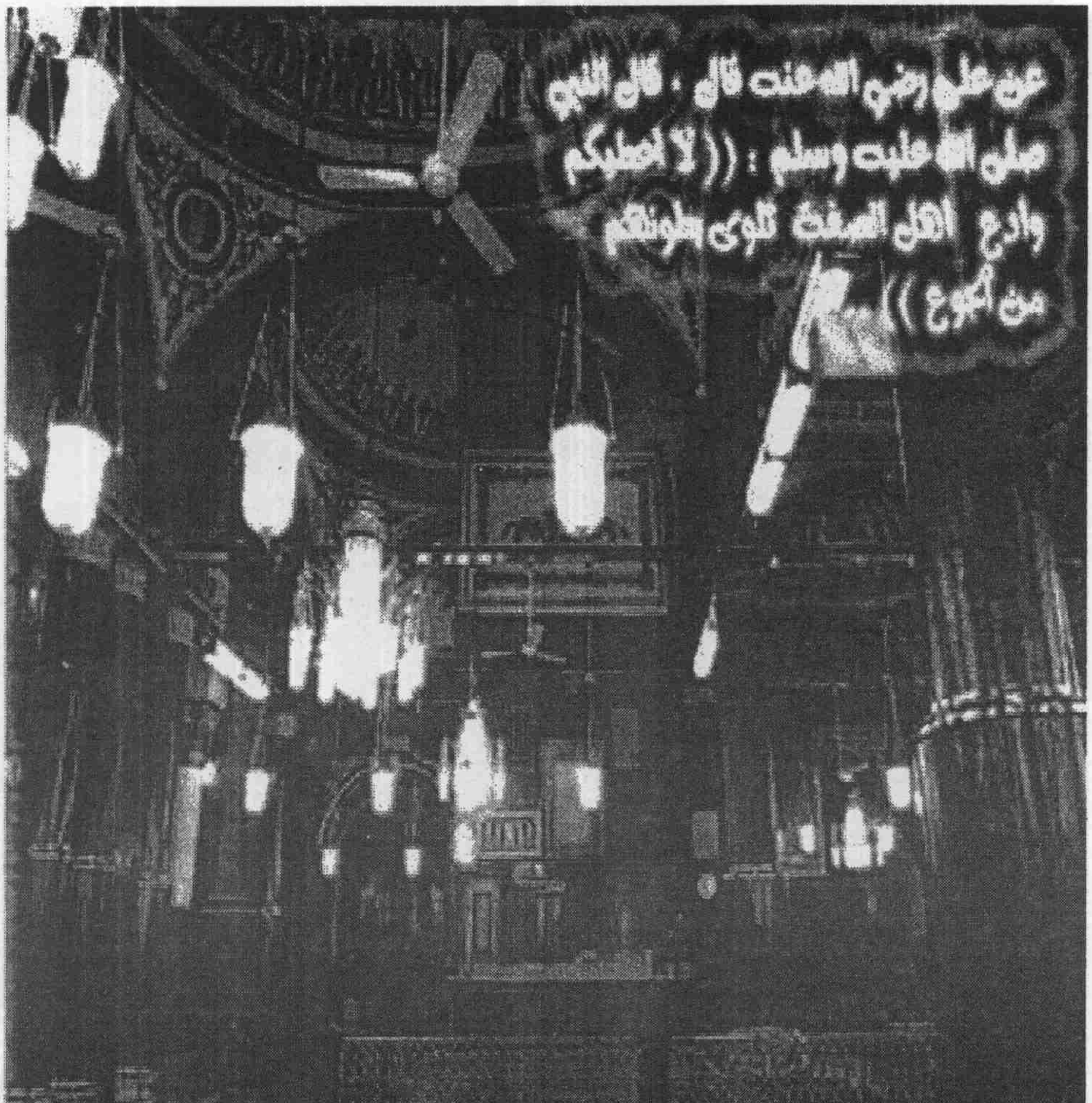
والأسطوانة المُخلَّقة: وهي ملاصقة لمحراب النبي ﷺ من جهة القبلة، سُمِّيت بذلك لأن النبي ﷺ رأى عليها نخامة فساءه ذلك، فقام وأزالها وطُيب مكانها بالخلوق، فسُرَّ النبي ﷺ لذلك.

المنبر الشريف



المنبر الشريف: وهو مصنوع من الرخام البديع، بيارقه من المخمل الأخضر مُمَوَّهٌ بماء الذهب، وأعلامه من الذهب والفضة، وفَرشه من الجوخ الأحمر. وكان في المسجد دِكّتان اتُّخِذَتا لإقامة الصلاة.

مقر أهل الصفة (أروِكة الأغوات)



وتلحق بالمسجد عدة أبنية أهمها: مقر أهل الصُّفّة "أروِكة الأغوات"، ومكتبة الحرم النبوي الشريف، ومكتبة المصحف التي تضم مجموعة نادرة من المصاحف الشريفة.

البقيع

يقع شرقي المسجد النبوي الشريف، وهو مدفن أهل المدينة من عهد الرسول ﷺ وإلى الآن، وقد دُفِنَ به أكثر من عشرة آلاف من الصحابة والتابعين وأهل بيت النبي ﷺ وبناته وعماته وزوجاته (عدا خديجة وميمونة) رضوان الله عليهم جميعا.

وتشير المصادر التاريخية إلى أنَّ أوَّلَ مَن دُفِن في تلك البقعة الطاهرة - وكانت بستانًا يحوي أشجارا من العَوسَج - هو الصحابي الجليل عثمان بن مظعون؛ حيث شارك الرسول ﷺ بنفسه في ذلك، ثم دُفِن إلى جانبه إبراهيمُ ابن الرسول ﷺ؛ ولذلك رغب المسلمون فيها وقطعوا الأشجار ليستخدموا المكان للدفن.

وكان الرسول ﷺ كثيرَ التردد إلى البقيع والدعاء لأهله. وكان يخرج إليه ليلاً ليدعو ويستغفر لهم.

فضائل البقيع:

عن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - قالت: كان رسول الله ﷺ كلما كان ليلتها من رسول الله ﷺ يخرج من آخر الليل إلى البقيع، فيقول: «السَّلامُ عليكم دارَ قومٍ مُؤمنين، وأتاكم ما تُوعَدُون، غَدًا مُؤَجَّلُون، وإنّا إن شاء الله بكم لاحِقُون، اللهم اغفِر لأهلِ بَقيعِ الغَرقَدِ»[١].

وعن مُحَمَّد بن قَيس بن مَخرَمة بن المطلب أنه قال: سمعت عائشة تحدِّث فقالت: ألا أحدثكم عن النبي ﷺ وعني؟ قلنا: بلى، قالت: لما كانت ليلتي التي كان النبي ﷺ فيها عندي انقَلَبَ فوضع رداءه وخَلَعَ نَعلَه فوَضَعَها عند رِجلَيه... وذكرت قصة خروجه ﷺ إلى البقيع ثم قالت: فجَعَلتُ دِرعِي في رأسي واختَمَرتُ وتَقَنَّعتُ إزاري ثم انطلقت على إثره حتى جاء البقيعَ فقام، فأطال ثم رفع يده ثلاث مرات ثم انحرف.

(1) أخرجه مسلم (ج ٢/٦٦٩ رقم٩٧٤) ط إحياء التراث العربي.

وذكرت قصة عودها قبله. وفيه قال ﷺ: «فإنْ جبريل أتاني فأجبته فقال: إن ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم»، قالت عائشة: كيف أقول لهم يا رسول الله؟ قال: «قولي: السلامُ على أهلِ الدِّيارِ مِن المؤمنين والمسلمين، ويَرحَمُ اللهُ المُستَقدمين منّا والمُستأخِرين، وإنّا إن شاء الله بكم للاحقون»(١).

عن أبي مُوَيهبة مولى رسول الله ﷺ قال: (بعثني رسول الله ﷺ من جوف الليل فقال: «يا أبا مويهبةَ، إني قد أُمرتُ أن أستغفرَ لأهل البقيع، فانطَلق معي»، فانطلقتُ معه، فلما وَقَفَ بين أظهُرِهم قال: «السلام عليكم يا أهلَ المَقابر، لِيَهنِ لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح فيه الناسُ، لو تعلمون ما نجّاكم اللهُ منه، أقبَلَت الفِتَنُ كقِطَعِ الليلِ المُظلِمِ يَتبَعُ أولَها آخرُها، الآخرةُ شرٌّ مِن الأُولى». قال: ثم أقبل عليَّ فقال: «يا أبا مويهبةَ، إني قد أُوتيتُ مَفاتيحَ خَزائنِ الدنيا والخُلد فيها ثم الجنة، وخُيِّرتُ بين لقاء ربي عز وجل والجنة»، قال: قلتُ: بأبي أنت وأمي فخذ مفاتيح الدنيا والخلد فيها ثم الجنة، قال: «لا والله يا أبا مويهبة، لقد اخترتُ لقاءَ ربي والجنة»، ثم استغفرَ لأهل البقيع، ثم انصرف، فبدأ وَجَعُ رسولِ الله ﷺ في وَجَعه الذي قَبَضَه اللهُ عز وجل فيه حين أصبَحَ(٢).

وعن عَلقَمةَ بنِ أبي عَلقَمةَ عن أمه عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قام ذات ليلة، فلبس ثيابه ثم خرج قالت: فأَمَرتُ جاريتي بَرِيرةَ تَتبَعُه، فتبعَته، حتى جاء البقيعَ، فوقف في أدناه ما شاء الله أن يقف، ثم انصرف، فسبقَته بريرةُ، فأخبرَتني فلم أذكر له شيئاً حتى أصبح، ثم ذكرتُ ذلك له، فقال: «إني بُعثتُ إلى أهلِ البقيعِ لأُصَلِّيَ عليهم»(٣).

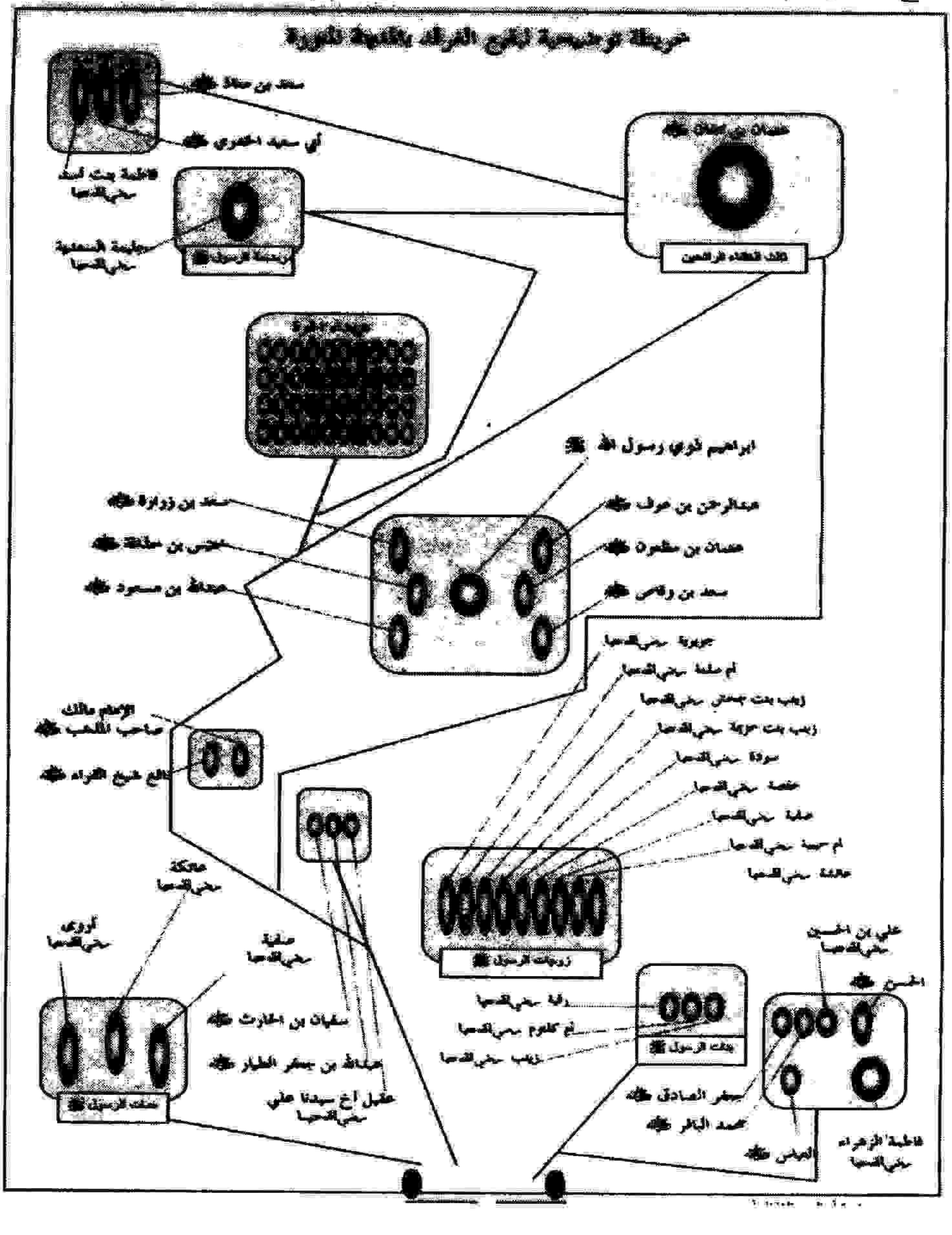
---

(1) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (ج١/٦٥٦ رقم٢١٦٤) ط الكتب العلمية، وأخرجه في السنن "المجتبى" (ج٤/٩٣ رقم٢٠٣٧) ط المطبوعات العلمية، وأخرجه ابن حبان (ج١٦/٤٧ رقم٧١١٠) ط مؤسسة الرسالة.

(2) أخرجه أحمد (ج ٤٨٩/٣ رقم ١٦٠٣٩ و١٦٠٤٠) ط مؤسسة قرطبة، وأخرجه الحاكم (ج٣/٥٨ رقم٤٣٨٣) ط الكتب العلمية.

(3) الموطأ ٢٤٢/١، النسائي ٩٣/٤، المسند لأحمد ٩٢/٦، ابن أبي شيبة ٨٩/١ و ٩٠، ابن حبان ٢٤/٦، المستدرك ٤٨٨/١ وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

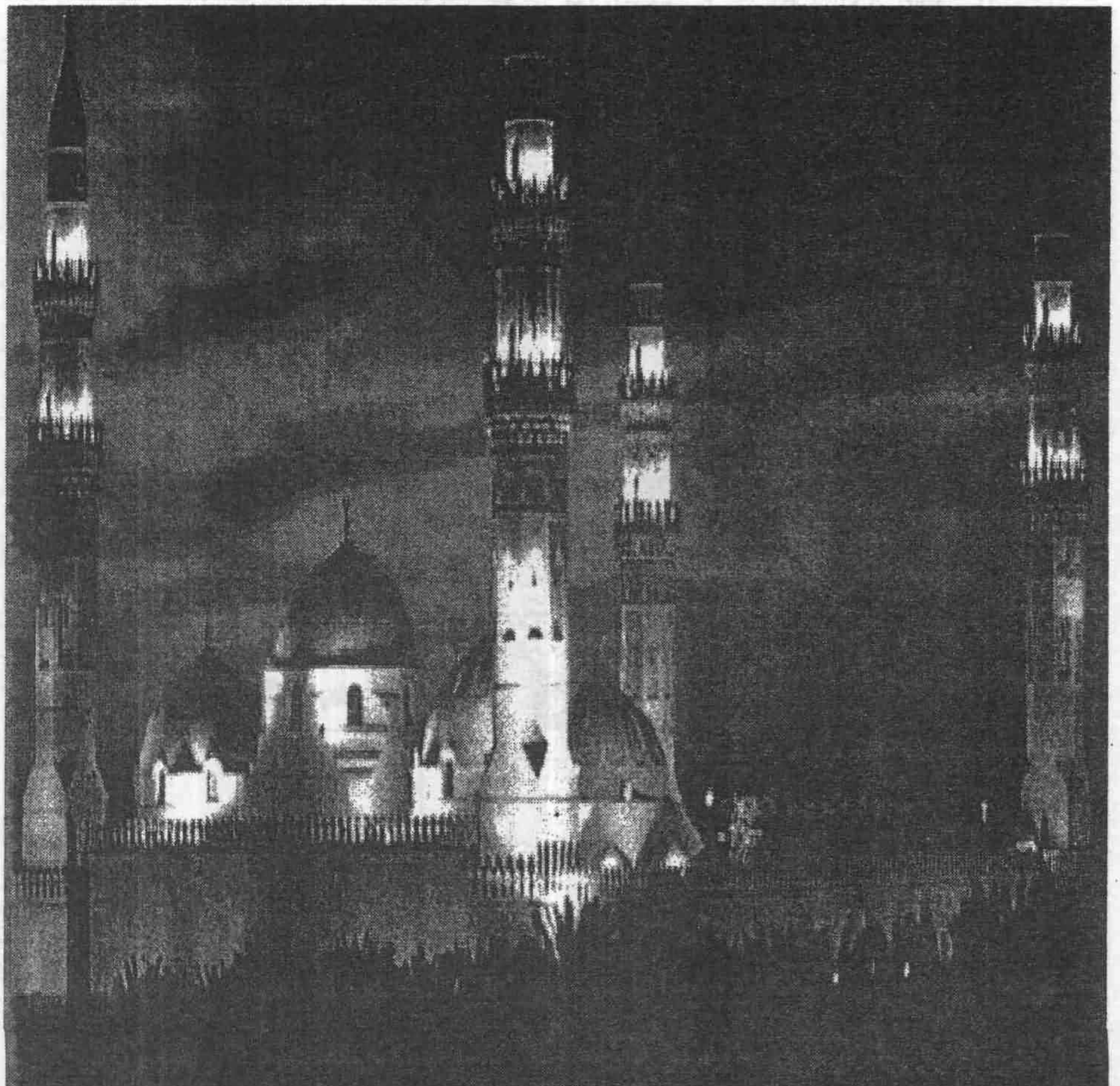
وعن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله ﷺ كان يخرج إلى البقيع فيدعو لهم، فسألَته عائشة عن ذلك فقال: «إنِّي أُمرتُ أن أَدعُوَ لهم»(١).



---

(1) أخرجه اسحاق بن راهويه باب (ما يروى عن عبد الله بن أبي بكر) (ج٢ /ص٥٣٣).

(٥) مسجد قباء



مسجد قباء هو أول مسجد أُسِّسَ على التقوى، وأول مسجد بني في الإسلام، قال الله تعالى: ﴿ والذين اتَّخَذُوا مَسجدًا ضرارًا وكُفرًا وتَفريقًا بينَ المُؤمنينَ وإرصادًا لِمَن حارَبَ اللهَ ورَسُولَه مِن قَبلُ ولَيَحلفُنَّ إن أَرَدنا إلاّ الحُسنى واللهُ يَشهَدُ إنَّهم

لَكاذِبُونَ * لا تَقُم فيه أَبَدًا لَمَسجِدٌ أُسِّسَ على التَّقوى مِن أَوَّلِ يَومٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فيه فيه رِجالٌ يُحِبُّونَ أن يَتَطَهَّرُوا واللهُ يُحِبُّ المُطَّهِّرِينَ ﴾. (التوبة:١٠٧/١٠٨).

هاتان الآيتان تشهدان لهذا المسجد العظيم بالعظمة والخير والبركة، وقد جاء في الحديث: «صلاةٌ في مَسجدِ قُباءَ كعُمرةٍ»[1].

وكان النبي ﷺ هو أول مَن وضع حَجَرًا في قِبلته؛ فكان يأتي بالحجر قد لصقه إلى بطنه فيضعه فيأتي الرجل يريد أن يقله فلا يستطيع حتى يأمره أن يدعه ويأخذ غيره، ثم جاء أبو بكر بحجر فوضعه، ثم جاء عمر بحجر فوضعه إلى حجر أبي بكر.

موقعه

يقع هذا المسجد في الجنوب الغربي للمدينة المنورة، ويبعد عن المسجد النبوي حوالي ثلاثة كيلومترات ونصف الكيلومتر، وله محراب ومنارة، ومنبر رخامي، وفيه بئر تُنسب لأبي أيوب الأنصاري، وفيه مُصلّى النبي ﷺ، وكان فيه مَبرَكُ الناقة.

تاريخ إنشاء المسجد

لما سمع المسلمون في المدينة المنورة بخروج رسول الله ﷺ من مكة المكرمة كانوا يخرجون كل يوم إلى الحَرّة أولَ النهار، فينتظرونه فما يردُّهم إلا حَرُّ الشمس. ولما وصل رسول الله ﷺ قرية قباء في شهر ربيع الأول نزل في بني عمرو بن عَوفٍ بقُباءَ على كُلثومِ بنِ الهَدمِ، وكان له مِربَد، فأخذه منه رسول الله ﷺ وأسس مسجد قباء، وهو أول مسجد أُسِّسَ على التقوى، وكان ﷺ ينقل بنفسه الحجر والصخر والتراب مع صحابته.

وفي قبالة هذا المسجد قام المنافقون ببناء مسجد آخر، ودَعَوا رسولَ الله ﷺ ليصلي فيه، فنزل جبريل عليه السلام يحذر النبي ﷺ منهم ومِن كيدهم، ويقرأ عليه هذه

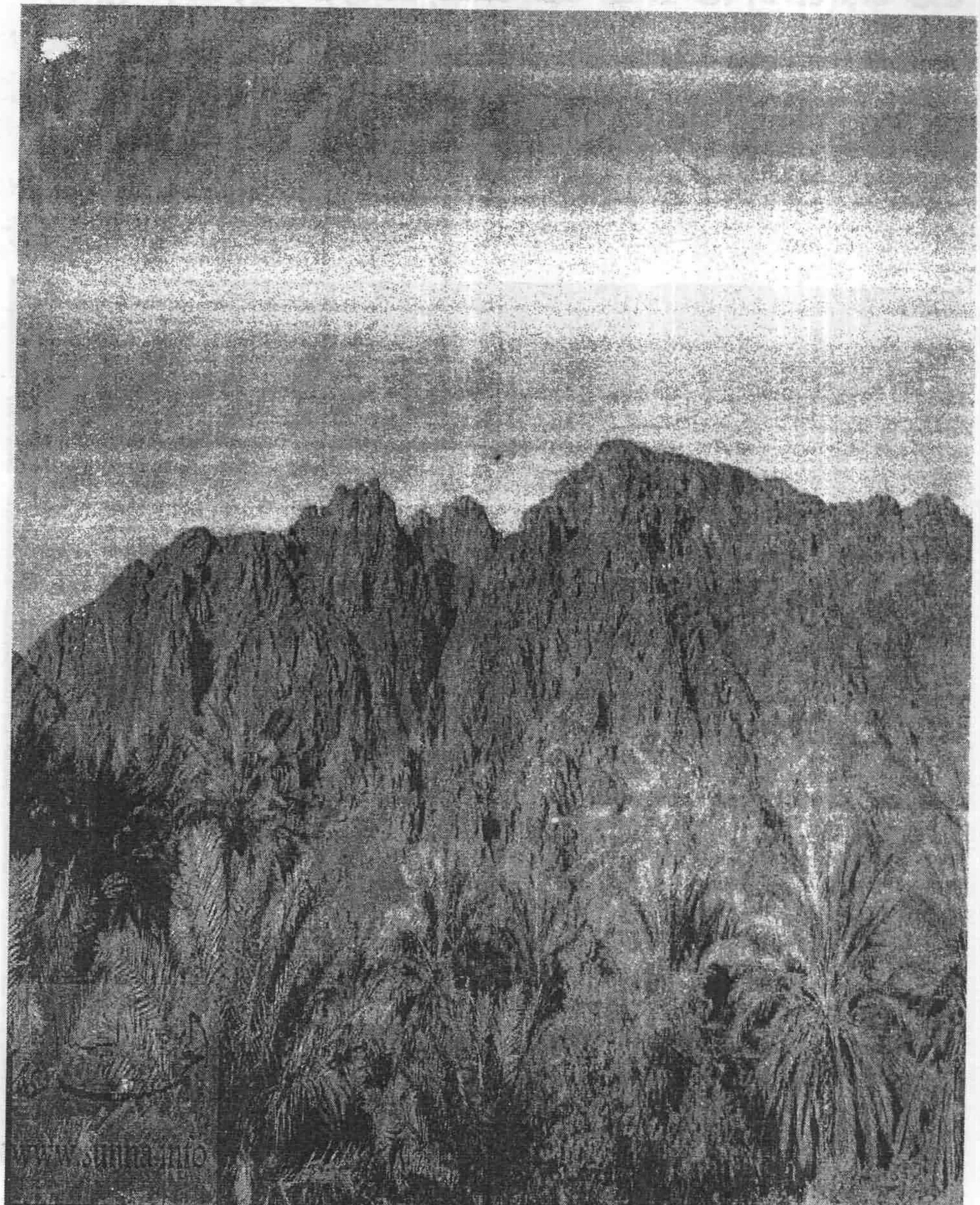
---

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (ج١/٢١٠ رقم ٥٧٠) ط مكتب العلوم والحكم، وأخرجه ابن ماجه (ج١/٤٥٣ رقم ١٤١١) ط دارالفكر.

الآيات: ﴿ **لا تَقُم فيه أَبَدًا لَمَسجِدٌ أُسِّسَ على التَّقوى...** ﴾. وعبّر القرآن عنه بأنه مسجد ضِرار؛ فأمر النبي ﷺ بهدمه وإحراقه.

اهتم المسلمون بمسجد قباء خلال العصور الماضية فجدَّدَه عثمان بن عفان، ثم عمر بن عبد العزيز الذي بالغ في تنميقه وجعل له رَحَبة وأروِقة ومئذنة، وهي أول مئذنة تقام فيه، وفي سنة ٤٣٥هـــ جدده أبو يَعلى الحسيني، وفي سنة ٥٥٥هـــ جدده جمال الدين الأصفهاني. وقد جُدِّدَ مسجد قباء مرات عديدة، وسقطت منارته سنة ٨٧٧ هـــ، فجددها السلطان قايتباي سنة ٨٨١ هـــ مع عمارة المسجد النبوي.

(٦) جبل أحد



هو أكبر جبال المدينة المنورة، ويحتضنها مِن الشَّمال، وسُمِّي "أُحدًا" لتفرده

وتوحده وانقطاعه عن بقية الجبال من حوله، وهو عبارة عن سلسلة جبال ممتدة من الشرق إلى الغرب، ويبلغ طول هذه السلسلة سبعة كيلومترات، وعرضه قرابة الثلاثة كيلومترات، ويبعد عن المسجد النبوي قرابة خمسة كيلومترات.

وجبل "أُحد" أَحَدُ الشواهد التاريخية التي تزيد من جمال المدينة المنورة الممتلئة بعبَق التاريخ الإسلامي، وكان ﷺ يحبُّه ويعلن على الملأ هذه العاطفة الجياشة بقوله: «هذا أُحُدٌ، جَبَلٌ يُحِبُّنا ونُحِبُّه»[1].

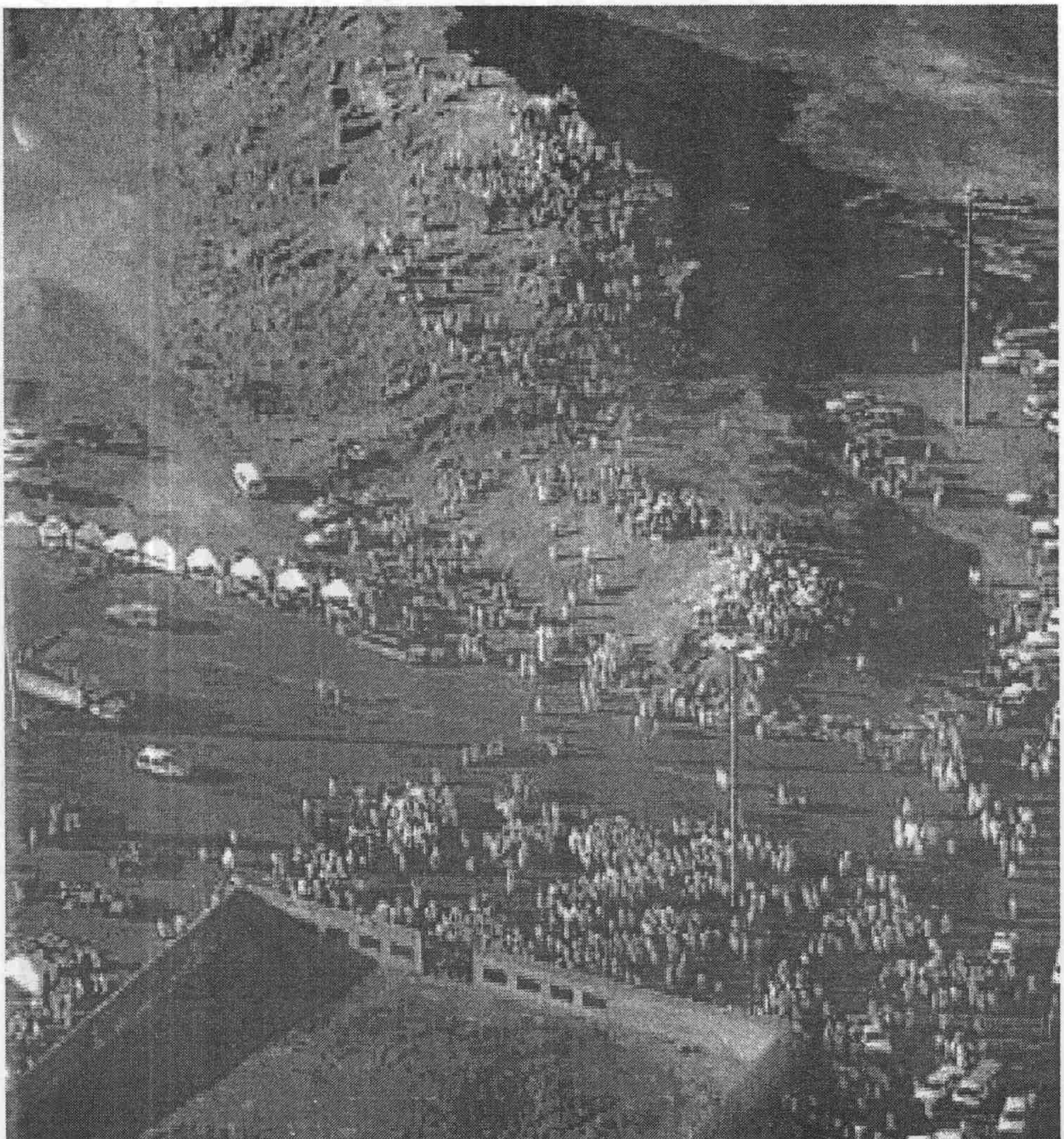


1 - أخرجه البخاري (ج٣/١٠٥٨ رقم٢٧٣٢) ط ابن كثير- اليمامة وأخرجه مسلم (ج٢/٩٩٣ رقم١٣٦٥) ط إحياء التراث العربي.

ويرتبط ذكرُ جبلِ أحد بالمعركة التاريخية الشهيرة (معركة أحد) التي دارت على مقربة منه، وكانت الغلبة فيها في جولتها الثانية للمشركين، نتيجة خطأ ارتكبه الرُّماة حيث عَصَوا أمرَ النبيِّ ﷺ بعدم النزول من الجبل، فنزلوا ظنًّا منهم أن المعركة انتهت، فكشفوا ظهورَ المسلمين، فحمل المشركون على المسلمين، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ويستحب لَمن زار المدينة أن يقصد زيارة قبور شهداء أُحُد ممن قتل في معركة أحد، فيسلم عليهم ويدعو لهم.

(٧) جبل عينين أو جبل الرماة



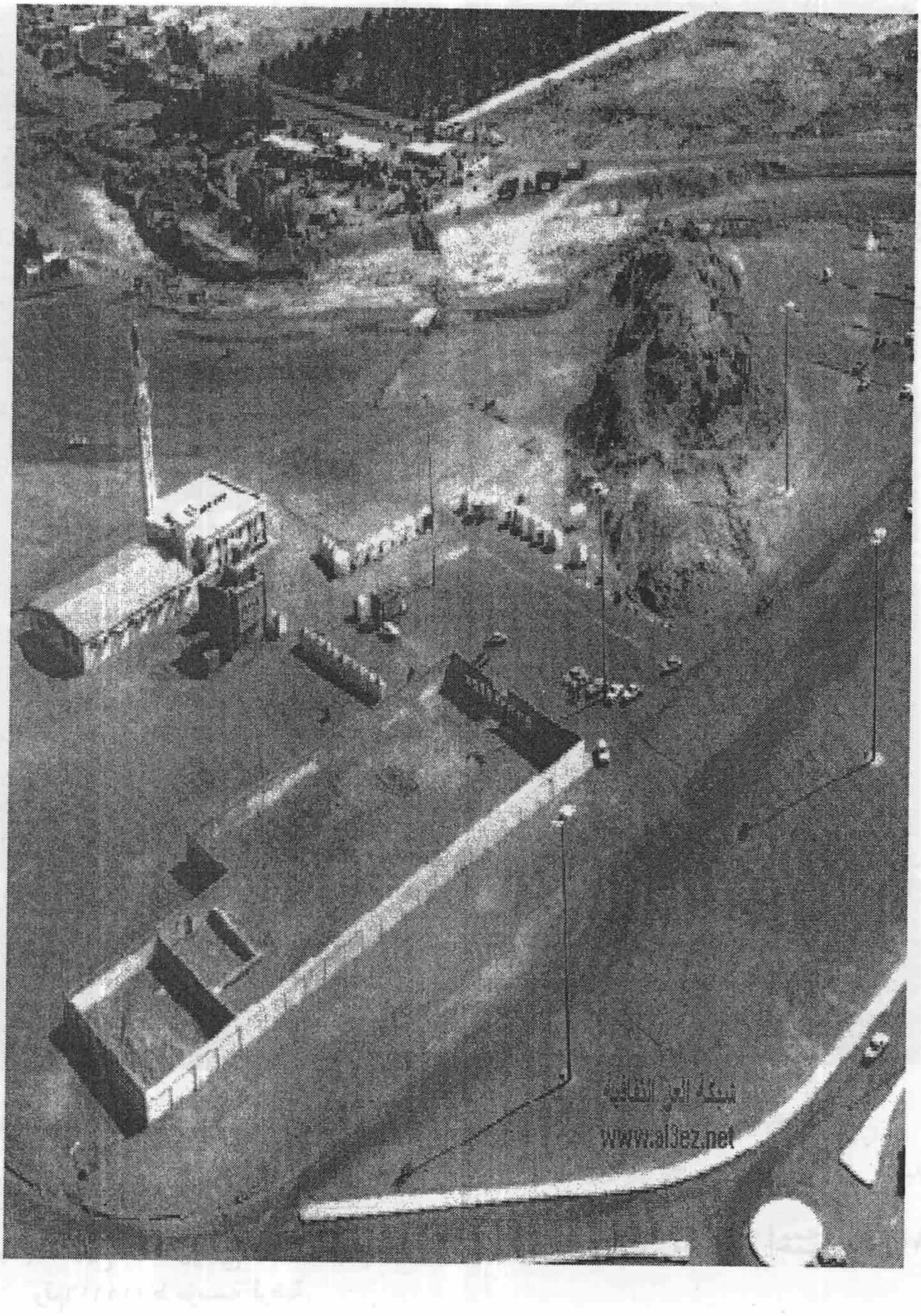
جبل صغير يقع شمال المسجد النبوي على بعد نحو ثلاثة كيلومترات منه. وهو الجبل الذي أمر النبي ﷺ الرماة أن يتمركزوا فيه في غزوة أحد، وكان عددهم خمسين رجلاً، ليَحمُوا ظهورَ المسلمين مِن تسلُّلِ المشركين. لكن وقع ما ذكرناه آنفًا.

واسم الجبل جبل عَيْنَين، لكن بعد حصول تلك الوقعة سمي بجبل الرماة.

وفي الصحيح عن البراء بن عازب - رضي الله عنهما - يحدِّث قال: (جعل النبي ﷺ على الرَّجَّالة يوم أحد -وكانوا خمسين رجلا- عبدَ الله بنَ جُبَير، فقال: «إن رَأيتمونا تَخطَفُنا الطَّيرُ فلا تَبرَحُوا مكانَكم هذا حتى أُرسِلَ إليكم، وإن رأيتمونا هَزَمنا القَومَ أو وأوطأناهم فلا تَبرَحُوا حتى أُرسِلَ إليكم»، فهزموهم، قال: فأنا -والله- رأيتُ النساءَ يَشتَدِدنَ قد بَدَت خَلاخِلُهنَّ وأَسوُقُهنَّ رافعات ثِيابَهنَّ، فقال أصحابُ عبد الله بنِ جُبَير: الغَنيمةَ أي قَومِ، الغنيمةَ، ظَهَرَ أصحابُكم، فما تَنتَظِرُون! فقال عبدُ الله بن جُبَير: أَنَسِيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ، قالوا: والله لَنَأتِيَنَّ الناسَ فلَنُصيبَنَّ من الغنيمة، فلمّا أَتوهم صُرِفَت وُجُوهُهم، فأَقبَلُوا مُنهَزِمين، فذاكَ إذ يَدعُوهم الرَّسُولُ في أُخراهم، فلم يَبقَ مع النبي ﷺ غيرُ اثني عشر رَجُلا، فأَصابُوا منّا سبعين)[١].

(1) صحيح البخاري (ج٣/١١٠٥ رقم٢٨٧٤) ط ابن كثير- اليمامة، وأخرجه أحمد (ج٤/٢٩٣ رقم١٨٦١٦) ط مؤسسة قرطبة.

(٨) قبر سيدنا حمزة رضي الله عنه وشهداء أحد



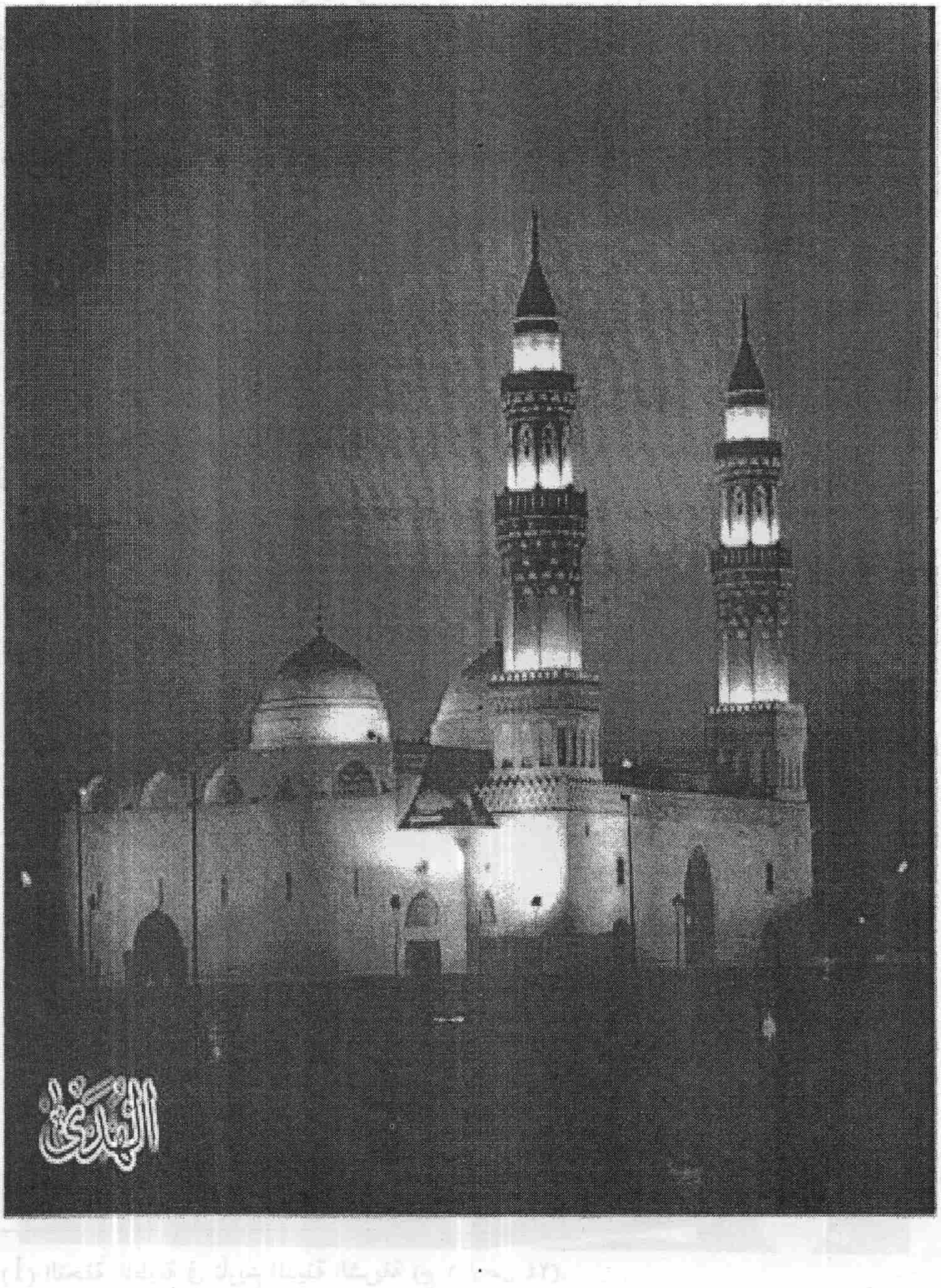
هو أسد الله وسيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب بن هاشم عم رسول الله ﷺ وأخوه من الرضاعة، أَسَنُّ مِن رسول الله ﷺ بسنتين. أَسلَم في السنة الثانية مِن المبعث، شَهِدَ بَدرًا، وأَبلى بَلاءً عظيمًا مشهورًا حتى إنه قاتل يوم بَدر بين يدي رسول الله ﷺ بسيفين. واستشهد يوم أُحُد على يد "وَحشِيّ" الحَبَشِيّ، ومَثَّلَ به المشركون، وكان استشهاد حمزة للنصف من شوال من سنة ثلاث، وكان عمره سبعًا وخمسين سنة، وعن ابن عباس قال: صلّى رسول الله ﷺ على حمزة فكبّر سبعَ تكبيرات، ثم لم يُؤتَ بقتيل إلا صلّى عليه معه، حتى صلّى عليه اثنتين وسبعين صلاة.

وكان حمزة أول شهيد صلى عليه رسول الله ﷺ.

وهو ومصعب بن عمير في قبر واحد، ويقال إن عبد الله بن جَحش بن رَباب (ابن أخت حمزة) معهما(١).

(1) التحفة اللطيفة في تأريخ المدينة الشريفة (ج ١ / ص ٢٤).

(٩) مسجد القبلتين

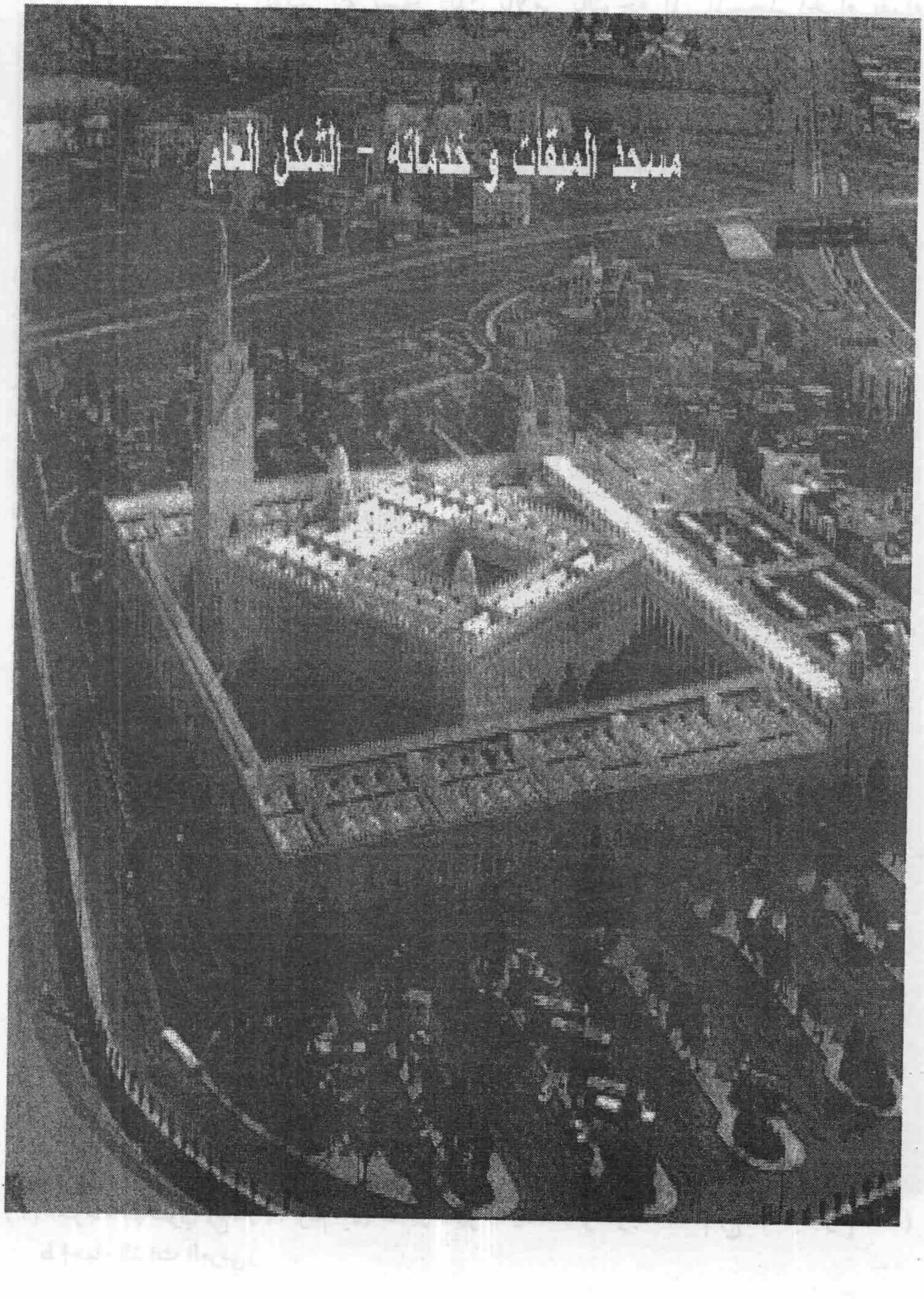


لعله يتضح من اسم المسجد وجودُ علاقة بينه وبين ما مرَّ به المسلمون من الصلاة أولاً إلى بيت المقدس ثم نَسخ ذلك بالأمر بالتوجه إلى المسجد الحرام بقوله تعالى: ﴿ قد نَرى تَقَلُّبَ وَجهكَ في السَّماء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبلةً تَرضاها فوَلِّ وَجهَكَ شَطرَ المَسجد الحَرامِ وحيثُ ما كنتم فوَلُّوا وُجُوهَكم شَطرَه وإنَّ الذين أُوتُوا الكتابَ لَيَعلَمُونَ أنَّه الحَقُّ مِن رَبِّهم وما اللهُ بغافلٍ عَمّا يَعمَلُون ﴾ (البقرة:١٤٤)، ذلك أن الله ﷻ لما أنزل على نبيه الأمر بالتوجه إلى المسجد الحرام أرسل رسول الله ﷺ مناديًا يُبَلِّغ المسلمين في أطراف المدينة أنّ القبلة قد حُوِّلت، فلمّا جاء إلى محلة بني حَرام مِن بَني سلمة وجدهم وهم ركوع في صلاة الفجر وقد صلُّوا ركعة، فنادى: ألا إنّ القبلةَ قد حُوِّلت، فمالُوا كما هم نحو القبلة[1]. ومنذ ذلك الحين والمسجدُ يدعى بهذا الاسم.

ويقع مسجد القبلتين في الجنوب الغربي قرب وادي العَقيق وفوق رابية مرتفعة قليلاً، ويبعد عن المسجد النبوي قرابة خمسة كيلومترات بالاتجاه الشمالي الغربي، وقد جُدد بناؤه وتوسعته وتجديده مرات عديدة، حتى صار طابقين: الطابق الأرضي يشمل مصالح المسجد، والطابق العلوي للصلاة، ويبلغ مساحته (١١٩٠) مترًا مربعًا، وخُصصت شرفة واسعة مساحتها (٤٠٠) متر مربع للنساء تطل على ساحة المصلّى، ورواق لتحفيظ القرآن الكريم، كما أقيم بجانبه فناء داخلي غُرِسَ بالأشجار.

(1) أخرجه البخاري (ج١/ ٢٤ رقم ٤٠) ط ابن كثير- اليمامة، وأخرجه مسلم (ج١/ ٣٧٥ رقم ٥٢٧) ط إحياء التراث العربي.

(١٠) مسجد الميقات (أبيار علي)



ويعرف بمسجد الشجرة، ومسجد أبيار عَلِيّ، ومسجد الإحرام، ومسجد ذي الحُلَيفة. وهو مِيقات أهل المدينة، وذو الحليفة اسم لمنزل كان النبي عليه الصلاة والسلام يحب النزول فيه تحت الشجرة؛ فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: (أن رسول الله ﷺ كان يخرج من طريق الشجرة ويدخل من طريق المُعَرَّس. وأن رسول الله ﷺ كان إذا خرج إلى مكة يصلي في مسجد الشجرة، وإذا رجع صلى بذي الحُلَيفة ببطن الوادي، وبات حتى يصبح)[1].

ويقع في طريق الهجرة ويبعد عن المسجد النبوي الشريف تسعة كيلو مترات تقريبًا.

---

(1) أخرجه البخاري (ج٢/٥٥٦ رقم١٤٦٠) ط ابن كثير- اليمامة.

مركز الدراسات المنهجية والمعرفية

فريق العمل

الشيخ/ عماد الدين مصطفى طه

(المشرف العام)

أ/ أحمد محمد خلف — الشيخ/ أسامة فتحي بدر

أ/ عبد الحميد منصور شوقي — أ/ لطيفة محمد عبد الرحيم

قسم المراجعة

صياغة وتحرير

أ/ مدحت ماهر الليثي ـ (منسق التدريب بدار الإفتاء المصرية)

مراجعة فقهية /

الشيخ / عماد الدين أحمد عفت ـ (أمين الفتوى بدار الإفتاء المصرية)

مراجعة نهائية /

د/ أسامة السيد الأزهرى ـ (أستاذ الحديث بجامعة الأزهر)

قائمة المصادر والمراجع

م	اسم المرجع	اسم المؤلف	الناشر
١.	الأم	محمد بن إدريس الشافعي	دار المعرفة
٢.	بدائع الصنائع	مسعود بن أحمد الكاساني	دار الكتب العلمية
٣.	البداية والنهاية	إسماعيل بن عمرو بن كثير	مطبعة السعادة
٤.	تاريخ الطبري	محمد بن جرير بن يزيد الطبري	دار الكتب العلمية
٥.	سبل السلام	محمد بن إسماعيل الصنعاني	دار الحديث
٦.	سنن ابن ماجه	محمد بن يزيد القزويني	دار الفكر
٧.	سنن أبي داود	سليمان بن الأشعث السجستاني	دار الفكر
٨.	سنن البيهقي ص	أحمد بن الحسين بن علي البيهقي	مكتبة الدار
٩.	السنن الكبرى	أحمد بن الحسين بن علي البيهقي	دار الباز
١٠	سنن الترمذي	محمد بن عيسى السلمي الترمذي	دار إحياء التراث
١١	سنن الدارقطني	علي بن عمرو الدارقطني البغدادي	دار المعرفة
١٢	سنن الدارمي	عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي	دار الكتاب العربي
١٣	السنن الكبرى	أحمد بن شعيب النسائي	دار الكتب العلمية
١٤	(المجتبى)	أحمد بن شعيب النسائي	مكتبة المطبوعات الإسلامية
١٥	الشرح الصغير	أحمد بن محمد بن أحمد الدردير	دار المعارف

١٦.	الشرح الكبير	أحمد بن محمد بن أحمد الدردير	دار إحياء الكتب العربية
١٧.	شرح صحيح مسلم	يحيى بن شرف النووي	دار إحياء التراث
١٨.	شرح منهاج الطالبين	جلال الدين المحلي	دار إحياء الكتب العربية
١٩.	شعب الإيمان	أحمد بن الحسين بن علي البيهقي	دار الكتب العلمية
٢٠.	صحيح ابن حبان	محمد بن حبان التميمي	مؤسسة الرسالة
٢١.	صحيح ابن خزيمة	محمد بن إسحاق النيسابوري	المكتب الإسلامي
٢٢.	صحيح البخاري	محمد بن إسماعيل البخاري	دار ابن كثير
٢٣.	صحيح مسلم	مسلم بن الحجاج النيسابوري	دار إحياء التراث العربي
٢٤.	الفتاوى الكبرى	أحمد بن عبد الحليم بن تيمية	دار الكتب العلمية
٢٥.	فتح الباري	أحمد بن علي بن حجر العسقلاني	دار المعرفة
٢٦.	الفواكه الدواني	أحمد بن غنيم بن سالم النفراوي	دار الفكر
٢٧.	فيض القدير	عبد الرؤوف المناوي	المكتبة التجارية
٢٨.	كشف الخفاء	إسماعيل بن محمد العجلوني	مؤسسة الرسالة
٢٩.	لسان العرب	جمال الدين محمد ابن منظور	المطبعة الأميرية
٣٠.	المبسوط	محمد بن أحمد بن السرخسي	دار المعرفة
٣١.	مجمع الزوائد	علي بن أبي بكر الهيثمي	دار الكتاب العربي
٣٢.	المجموع	يحيى بن شرف النووي	مطبعة المنيرية

٣٣	مجموع الفتاوى	أحمد بن عبد الحليم بن تيمية	مجمع الملك فهد
٣٤	المحلى	علي بن أحمد بن سعيد بن حزم	دار الفكر
٣٥	المدخل	محمد بن محمد العبدري	دار التراث
٣٦	المستدرك	محمد بن عبد الله الحاكم	دار الكتب العلمية
٣٧	مسند أبو يعلى	أبو يعلى أحمد بن علي التميمي	دار المأمون للتراث
٣٨	مسند أحمد	الإمام أحمد بن حنبل	مؤسسة قرطبة
٣٩	مسند البزار	أحمد بن عمرو بن البزار	مؤسسة علوم القرآن
٤٠	مسند الشاشي	أبو سعيد بن الهيثم بن كليب	مكتبة العلوم والحكم
٤١	مسند الشهاب	محمد بن سلامة القضاعي	مؤسسة الرسالة
٤٢	مسند الفردوس	شيرويه بن شهردار الديلمي	دار الكتب العلمية
٤٣	مصنف ابن أبي شيبة	عبد الله بن أبي شيبة الكوفي	مكتبة الرشد
٤٤	مصنف عبد الرزاق	عبد الرزاق بن همام الصنعاني	المكتب الإسلامي
٤٥	المعجم الأوسط	سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني	دار الحرمين
٤٦	المعجم الصغير	سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني	دار عمار
٤٧	المعجم الكبير	سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني	مكتبة العلوم والحكم
٤٨	المغني	عبد الله بن أحمد بن قدامة	دار إحياء التراث لعربي
٤٩	الموضوعات	الحسن بن محمد القرشي الصغاني	دار المأمون

٥٠.	الموطأ	الإمام مالك بن أنس	دار إحياء التراث
٥١.	النهاية	ابن الأثير	المطبعة الخيرية
٥٢.	نيل الأوطار	محمد بن علي الشوكاني	دار الحديث
٥٣.	الكافي	عيد الله بن قدامة المقدسي	دار الفكر
٥٤.	الأدب المفرد	محمد بن إسماعيل البخاري	دار البشائر الإسلامية
٥٥.	المهذب	أبو إسحاق إبراهيم الفيروز أبادي	دار الفكر
٥٦.	بداية المجتهد	محمد بن أحمد بن محمد بن رشد	دار الفكر
٥٧.	مغني المحتاج	الخطيب الشربيني	دار الفكر
٥٨.	مسند الطيالسي	سليمان بن داود الطيالسي	دار المعرفة
٥٩.	فتاوى السبكي	تقي الدين أبو الحسن السبكي الكبير	دار الفكر
٦٠.	التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة	السخاوي	أسعد طرابزوني الحسيني

الفهرس